

أستاذ التجديد..
ابن دقيق العيد

مفاتيح شخصيته وأسرار عبقريته

د. فؤاد بن يحيى الهاشمي

مدرسة ابن دقيق العيد (٢)

أستاذ التجديد

ابن دقيق العيد


بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ التجديد

ابن دقيق العيد

مفاتيح شخصيته وأسرار عبقريته

تأليف

فؤاد بن يحيى الهاشمي

أستاذ التجديد ابن دقيق العيد

مفاتيح شخصيته وأسرار عبقريته

فؤاد بن يحيى الهاشمي

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



Business Center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith
London W6 9Dx, UK

www.Takween-center.com
info@Takween-center.com

الموزع المعتمد
+966555744843
المملكة العربية السعودية - الدمام
+201007575511
مصر - القاهرة

مؤسسة دراسات تكوين
للنشر والتوزيع
س ٠ ت ، ٢٠٥٠١١٧١٢٠
جوال : ٠٥٥٥٧٤٤٨٤٣





المحتويات

الموضوع	الصفحة

مدارات ابن دقيق العيد المعرفية

كنت أتوهّم أن المدارات المعرفية لابن دقيق العيد ثلاثة:

١) الاستنباط.

٢) النقد.

٣) الدِّقة.

ثم خلصت إلىٰ أن كل معارفه ووظائفه تشعّ من (الدّقة)؛ فهي شمسُه التي تدور عليها عبقريته.

نعم؛ إنها الدّقة المشتقة من اسم جَدِّه لأبيه: (دقيق العيد)، الذي تكوَّر يوما بعمامة بيضاء تشبه (دقيق العيد).

وما (وسوسته) التي ورثها عن جده لأمه (ابن المقترَح) إلا إحدىٰ تمثُّلات دقته، والتي دارت عليها معارفه، وشوَّشتْ عليه في اختياراته، فتلكّأ في الجزم، وحاس الناس بنقوده، فقد كان في ذِروة سَنام النقد، جرىٰ في سَهْله، وأذعن له صعبه، أما الاستنباط؛ فلا يستلّ الشعرة من (دقيق العيد) إلا من دقَّت آلتُه، وعمُق نظرُه.

كم هو عجيب هذا (الدقيق الأبيض)؛ الذي تناثر يوما علىٰ (عمامة الجد)، وقد أضحىٰ (للحفيد) تاجًا يتلألأ باللؤلؤ ويسطَع بنُوره، وتتوهج منه كل معارفه ووظائفه وعاداته.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أصل هذه الترجمة: مستلٌّ مِنْ رسالة الدكتوراه للباحث.

وموضوعها: «**اختيارات الإمام ابن دقيق العيد الفقهية**» جمعًا ودراسة.

وقد أجيزت الرسالة: في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبويَّة، كلية الشريعة، قسم الفقه، مساء يوم الأربعاء ٢٠-٢-١٤٣٤هـ الموافق ٢-١-٢٠١٣م، بتقدير: «**ممتاز مع مرتبة الشرف الأولىٰ**».

لجنة المناقشة:

المشرف: د. رجاء بن عابد المطرفي.

المناقش الداخلي: د. عبد الرحمن السعدي.

المناقش الخارجي: د. إبراهيم البراهيم.

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه، ملءَ السموات والأرض وما بينهما وملءَ ما شئت مِنْ شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ.

اللّهم صلِّ علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأزواجه وذريّته الطاهرين الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد.

أيها القارئ الكريم؛ بين يديك القِطعة المتعلقة بترجمة الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ . . رأيتُ أنْ أقتطعها مِنْ أصلها في اختياراته الفقهية، وأنْ أطبعها مُفردةً علىٰ غِرار ما صنعتُ في رسالة الماجستير؛ حيث فصلتُ ما التصق إبّان البحث، فنشرت ترجمة ابن حزم مفردة بعنوان: «مِنْجَنِيق الغرب: ابن حزم . . ترجمة لرُوح أندلسية، ورسم لأصول ظاهرية»، وعزلتُها عن أصلها في «نظرية الإلزام، ابن حزم أنموذجًا».

فإنه مِن المَعِيب في التصنيف الإطالة في الترجمة ولا سيَّما إذا لم تكن شديدة الصلة بموضوع البحث، وإنما غرَّني في تطويل الترجمتين ضمن الأُطروحة الأكاديمية: حماس الشَّبيبة، مع ما وقع مِن الفِتنة بالإمامين، إضافة إلىٰ ضعف

الخبرة، فالبحث ينبغي أنْ تكون مباحثه قاصرة علىٰ صُلْبه، وما يخدمه، ويحل مشكلاته، ويحقق أهدافه.

وقد شاع بين المعاصرين التطويل في التصنيف مِنْ غير طائل، لأسباب؛ منها ما سبق، ومنها حل المشكلات التي تعترضهم أثناء معالجة المسائل، بسبب حداثة سِنِّهم في البحث، أو ضِيق عَطَنِهم في العلم، فيضطر إلىٰ تسويد الأوراق، فيُتخم الكتاب، ويتورّط القرّاء بحمل أوزان ثقيلة، وقراءة فصول طويلة، لم تكن كذلك لولا أنَّ المؤلف المبتكر حاس فيها واعتاص.

وقد وسمتُ الكتاب بـ « أُستاذ التجديد ابن دَقِيق العِيد . . . مفاتيح شخصيته وأسرار عبقريته»، ووصفه بـ «**الأستاذية**» في «**التجديد**» أمرٌ «**دقيق**»، وذلك لأمور:

أولا: ما توارد عليه المترجمون مِنْ وصفه بمجدِّد القرن السابع، حتىٰ حكَوْا في ذلك الاتفاق.

ثانيا: أنَّ طريقة الإمام في التصنيف تشبه طريقة الأستاذ في التدريس، ولا سِيَّما إذا عرفنا أنَّ عامة تواليفه كانت إملاء علىٰ الطلبة، ومنها الشرحان المشهوران: «**شرح العمدة**»، و«**شرح الإلمام**»، وقد تستكثر أنْ يكون ذلك إملاء منه، خصوصا إذا رأيتَ بحثه للمسائل المُلْتَبِسَة، فإن دَيْدَنَهُ الإغراق في التدقيق، لكن إذا انتصفتَ في قراءة ترجمته هان ذلك عليك، فهو مِنْ عباقرة الدنيا، فذا في أستاذيته، شأنه أكبر من أن يقال فيه: بزَّ غيرَه؛ فالسيف ينقص قدرُه إذا قيل: إن السيف أمضىٰ من العصا.

ثالثا: ما في ذلك مِنَ انتظام في السجع، فبين التجديد وابن دقيق العيد، الياء والدال، والدقة، وجمال العِيد، فاتفقا نظمًا كما اتفقا معنىٰ.

وقد وصفه الإمام تاج الدين السبكي بالغاية القصوىٰ في الاثنين: فهو مجدِّد القرن السابع بالاتفاق، وهو أيضًا أستاذ زمانه عِلمًا ودينًا.

يقول في ذلك: «لم ندرك أحدًا مِنْ مشايخنا يختلف في أنَّ ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث علىٰ رأس السبعمائة، المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي، صلىٰ الله علىٰ قائله وسلم، وأنه أستاذ زمانه عِلمًا ودِينًا»[1].

ولعلك تتساءل: كيف يكون مجدِّدًا وهو لا يكاد يختار، ولا تُعرف له أقوال اختص بها، وأين التجديد الذي أتىٰ به؟

لقد كان ابن دقيق العيد: مدقِّقًا، وهذا أدَّاه أن يكون في ذِروة النَّقد، فتراشقت سهامه نحو المدخول، وأي مدخول؟ في لحظات التفكير، في خطرات النفس، في جذور الدليل، في عمق الأصول، في صُلب التطبيق، لله أبوه؛ لقد ضرب ضربته في مقاتل الأخطاء.

والنقد إذا ارتقىٰ: يضرب في المُغَبَّر فينفضه، ويضرب في البالي فيجدّده، ويضرب في الخامل فينشّطه.

ما النقد إلا مضرب التجديد، وإذا أصاب مقاتل الميت بعثه من مَرْقَدِه وأحياه.

فؤاد بن يحيىٰ الهاشمي
Twitter: fhashmy
4daress@gmail.com
قناة (صناعة الباحث)
telegram.me/fhashmy

(١) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢٠٢، ٢٠٩)، «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/ ٣٢٩).

ينتظم الكتاب في خمسة محاور:

المحور الأول: ترجمة أيامه.

المحور الثاني: صفات إمام.

المحور الثالث: العقيدة والمذهب.

المحور الرابع: المؤلفات.

المحور الخامس: الملحقات.

المحور الأول

ترجمة أيامه

المبحث الأول: شجرة نسبه وألقابه.

المبحث الثاني: مولده.

المبحث الثالث: أسرته.

المبحث الرابع: نشأته.

المبحث الخامس: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث السادس: ابن دقيق العيد والكتب.

المبحث السابع: الإفتاء والتدريس.

المبحث الثامن: تَوَلِّيه القضاء.

المبحث التاسع: اشتهار ابن دقيق العيد.

المبحث العاشر: وفاة الإمام ابن دقيق العيد.

المبحث الأول
شَجَرَةُ نسَبه وألقابه[(١)]

هو أبو الفتح تقيّ الدِّين محمد بن أبي الحسن مجد الدين علي بن أبي العطايا وهب بن أبي السَّمْع مُطيع بن أبي الطاعة، القُشَيري[(٢)]، البَهْزي[(٣)]، اليَنْبُعي المولد[(٤)]، المنفَلُوطي الأصل[(٥)]، القُوْصي المنشأ[(٦)]، الصَّعيدي، القاهري

---

(١) **مصادر ترجمته**: «**رحلة العبدري**» (٢٩٩-٣١١)، «**الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**» للأُدْفُوي ص٥٦٧-٥٩٩، «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» للذهبي (رقم: ٦٠٩٨)، «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لابن فضل الله العمري (٥/ ٤٩٩-٥٠٦)، «**مرآة الجنان**» للرافعي (٤/ ١٧٧)، «**طبقات السبكي**» (٩/ ٢٠٧، ٢٤٩)، «**رفع الإصر عن قضاة مصر**» ص٣٩٤-٤٠٣ (رقم: ٢١٢)، «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**» (٤/ ٩١-٩٦)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٧٦).

(٢) **القُشَيري**: نسبة إلىٰ قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر، وهي قبيلة كبيرة، ينتسب إليها كثير من العلماء. اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٣٧)، مستفاد الرحلة والاغتراب ص١٦، ٣٦.

(٣) **البَهزي**: لأنه مِنْ ذرية بَهْز بن حكيم. «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٤) **اليَنْبُعي**: نسبة إلىٰ ينبع، بلدة علىٰ البحر في الحجاز، تقع حوالي ٢٠٠ كم غرب المدينة المنورة. وينظر: «**مستفاد الرحلة**» ص١٦، ٣٧.

(٥) **مَنْفَلُوط**: بلدة مشهورة مِنْ بلاد الصعيد، أصله منها، وقد وُلِدَ فيها والدُه. «**مستفاد الرحلة والاغتراب**» ص١٦، ٣٧.

(٦) **قُوْص**: مدينة كبيرة، وهي قصبة صعيد مصر وأعلاها، وقد نشأ فيها ابن دقيق العيد. «**مستفاد الرحلة**» ص١٦، ٣٧، «**الطالع السعيد**» ص١٣.

المنزل[1]، الثَّبَجي[2]، الحاكم[3]، المالكي، الشافعي، الشهير بابن دقيق العيد[4].

وسبب هذا اللقب: أنَّ جَدَّه «**وهب**» كان عليه طَيْلَسان[5] شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد! فلُقِّب به[6].

---

(١) **القَاهري**: نسبة إلىٰ القاهرة منزله. «**مستفاد الرحلة**» ص١٦، ٣٧.

(٢) **الثَّبَجي**: كان يكتبه أحيانًا بخطه، وتوهَّم بعضهم أنَّ «**الثبجي**» هو وصفٌ لخطه، أي: إنه كان يكتب بخطه الثبجي المعمَّىٰ الذي لا يبين، والصحيح أنه من ثَبَج البحر؛ لأنه وُلد فيه كما سيأتي.
وصحَّف بعضُهم الكلمة إلىٰ «**السجي**». ينظر: «**الاقتراح**» ص٤٢، «**الطالع السعيد**» ص٥٧٠، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٩).

(٣) **الحاكم**: لقَّبه به تلميذه التجيبي، وهو لقب مَنْ أحاط بجميع الأحاديث المروية. «**برنامج التجيبي**» ص١٥٤، ١٩٩، «**اليواقيت والدرر**» (٢/ ٤٢١).

(٤) ولهذا فقد لقَّبه بعضهم بالدَّقيقي، وهو غير الدقيقي للأمير ابن ماكولا، وغير الدبيقي فإنه ابن نقطة. «**الإكمال**» (٣/ ٣٥١)، «**مستفاد الرحلة**» ص٣٧، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٤٩٩).

(٥) **طَيلَسان**: مِنْ لباس العجم مدور أسود، ومنه قولهم في الشتم: يا ابن الطيلسان، يراد أنك أعجمي. المغرب في ترتيب المعرب (**مادة**: ط ل س).

(٦) «**الطالع السعيد**» ص٤٣٥، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

المبحث الثاني
مولد الإمام ابن دقيق العيد

أرَّخ الإمامُ ابن دقيق العيد رحمه الله **يوم مولده بخطه:** فهو يوم السبت، الخامس والعشرون مِنْ شعبان، عند ارتفاع الضحىٰ، سنة ٦٢٥هـ الموافق ٣٠ جولاي، تموز ١٢٢٨م. في ثَبَج البحر المالح (الأحمر)، بساحل ينبُع، ووالداه متجهان مِنْ قُوص إلىٰ مكة للحج[١].

وقد أخذه والدُه علىٰ يده، فطاف به، ودعا الله له في الملتزم أنْ يجعله عالمًا فقيهًا عاملًا، وقد ذكر لتلامذته بعد أنْ روىٰ لهم حديثًا مسلسلًا، أنه دعا به لولده، فاستُجيب له[٢]، وفي ذلك يقول **الصفدي**:

ومِنْ عند الطواف بخير بَيْتٍ ... غدًا يدعو أبوه له هنالِكْ
بأنْ يمتاز في عملٍ وعلمٍ ... فقل لي: كيف لا يأتي كذلِكْ[٣]

(١) «**مستفاد الرحلة والاغتراب**» ص٣٦، «**الطالع السعيد**» ص٥٧٠، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٩).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٠، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٩).

(٣) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٠).

المبحث الثالث
أسرة الإمام ابن دقيق العيد
المطلب الأول
أبوه وأمه وجده

نشأ الإمامُ ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت علم:

فأبوه: الشيخ أبو الحسن مجد الدين علي، وُلِد بمنفلوط سنة ٥٨١هـ. بما **يعني أنَّ عُمره وقت ولادة ابنه ٤٤ سنة.**

نَزَلَ قوص، وتولَّىٰ الحكم بأسيوط ومنفلوط وعملهما.

كان مالكي المذهب[١]، جمع بين العلم والعمل، والورع والزهادة، والإحسان إلىٰ الخلائق[٢]، اختصر «**المحصول**»[٣] اختصارًا جيدًا، وحكىٰ عنه

---

(١) أخذ الفقه المالكي مِنْ أبي الحسن ابن المفضَّل، ومن ابن الحاجب، بينما أخذ الفقه الشافعي من ابن بنت الجمَّيْزي، وكان يُدرِّس المذهبين، والغريب أنه مالكي المذهب، والذين تخرّجوا عليه شافعية، ولا يُعرف مالكيٌّ انتُفع به ذلك الانتفاع. «**الطالع السعيد**» ص٤٢٥، ٤٣٣.

(٢) كان شفيقًا، كثير الشفاعة، يتردّد في حاجات الناس، ويسعىٰ لطلبته علىٰ قدر استحقاقهم، فمَن يصلح للحكم سعىٰ له فيه، ومَنْ يصلح للتعديل سعىٰ له فيه، ومَنْ لم يصلح لهما سعىٰ له في إمامة أو في شغل؛ الله أكبر؛ ما أجمل سيرته العطرة!! كان مفتاحا من مفاتيح الخير؛ وما أكرمه سبحانه أن جازاه خير جزاء، بابن ملأ الدنيا علما وورعا. «**الطالع السعيد**» ص٤٢٤، «**مستفاد الرحلة**» ص١٩.

(٣) لعل المراد الكتاب الأصولي الكبير: «**المحصول**» لفخر الدين الرازي.

أصحابُه أنه كان يحفظ «**زهر الآداب**»[1].

وكان مع تورّعه وتقشّفه فيه بسطة، وكان مستغرقًا في الفكرة فيما ينفعه في الآخرة، وكان يصوم الدّهر، ملازمًا لقيام الليل، كثير التلاوة.

أتىٰ إلىٰ الصعيد: وكان مذهب الشِّيعة فاشيًا، فأجرىٰ مذهب السُّنَّة علىٰ أسلوب حكيم، وقد ذكروا في ترجمته أنه كان شيخ أهل الصعيد.

ومما حُفِظ عنه: أنه شكا بعضُهم إليه ضرورةً، فكتب: المملوك فقير الحال، ومَضْرُور (وكتب: مَظْرُور بالظاء)، وقليل الحظّ (وكتبه بالضاد)، فتبسَّم الشيخ وقال: يا فقيه، ضرُّك قائم، وحظُّك ساقط!

مات: بقوص سنة ٦٦٧هـ، وعُمره ٨٦ سنة، وكان عُمر ولده تقي الدين حينها ٤٢ سنة[2].

والدته: هي بنت الشيخ المُقْتَرَح أبي الفتح تقي الدين مظفر بن عبد الله ابن علي المصري.

فيتبين بذلك: أنَّ أصلَيْ ابن دقيق العيد كانا كريمين، وأنه فرع من عائلة علم.

وقصة زواج والديه طريفة: فإنَّ ابن هبة الله[3] لما بنىٰ مدرسته، أشار عليه جماعة، منهم الشيخ المقترَح: أنْ يُحضر إليها الشيخ مجد الدين والد ابن دقيق العيد، فأرسلوا إليه فحضر، وجرىٰ الخير بسببه ما جرىٰ به القدر، فزوّج المقترَحُ ابنته لمجد الدين، فكان الابن هو مترجمنا تقي الدين محمد[4].

---

(١) «**زهر الآداب وثمر الألباب**» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٤٢٤، «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، ٢١.

(٣) النّجيبُ ابن هِبَة الله القُوصِيُّ تاجر، مِنْ كبار المتموّلين، لهُ مدرسةٌ مشهورةٌ بقُوص، بناها سنة ٦٠٧هـ. مات بمصر سنة ٦٢٢هـ. «**تاريخ الإسلام**» (١٣/٧٢٦).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٤٢٥، ٥٧١، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/٢١٠).

ولُقِّب جدُّه لأمه بالمقترَح: لشدّة كلفه بكتاب «**المقترَح**»[(١)]، وهو كتابٌ في الجدل، فقد حفظه، ثم شرحه شرحًا مستوفىٰ، وكان يعتني به؛ ولا يفارقه وقتًا مِن الأوقات، ولا علىٰ حالة من الأحوال، لا يزال ظاهرا في يده، أو داخلا في كُمِّه إلىٰ أن شُهر باسمه، واستحق بمعرفته به، وملازمته له: وسمَه به[(٢)].

وكان المقترَح: فقيهًا شافعيًّا أصوليًّا، موصوفًا بالإمامة والتحقيق، برع في أصول الدين والخلاف، كان أنظر أهل عصره، وأحدَّهم خاطرًا في علم الكلام، وأقطعهم للخصوم في المناظرة، وأعرفهم بطرق الجدال في المباحثة، له العبارات المهذَّبة، والألفاظ الرشيقة المستعذَبَة، كلامه قليل الحشو، ومشحون بالفوائد[(٣)].

---

(١) **اسم الكتاب**: المقترح في المصطلح، لأبي منصور محمد البَرَوي الشافعي المتوفىٰ ببغداد سنة ٥٦٧هـ. «**وفيات الأعيان**» (٤/ ٢٢٥)، «**البحر المحيط**» (١/ ٨)، «**حاشية العطار علىٰ شرح الجلال المحلي علىٰ جمع الجوامع**» (٢/ ٣٤٦).

(٢) «**فهرسة اللبلي**» ص٢٨، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، «**تاريخ الإسلام**» (٤٤/ ١٢٨)، «**طبقات السبكي**» (٨/ ٣٧٢).

(٣) ولد الشيخ المقترح سنة ٥٢٦هـ. وتفقّه أولًا في الإسكندرية بالمدرسة المعروفة بالسلفي، وولِّي التدريس بها، ثم توجّه إلىٰ مكة، فأشيع أنه توفي، ثم عاد، فأقام بجامع مصر يقرئ، ودرس بمدرسة الشريف ابن ثعلب، وكان كثير الإفادة، منتصبًا لمن يقرأ عليه، تخرّج به جماعة بالقاهرة، والإسكندرية، ومكة، وكان كثير التواضع، حسن الأخلاق، متورِّعا، جميل العشرة، ويقال: إنه كان يشدد ويبالغ في الطهارة. له نكت علىٰ كتاب «**البرهان**» للجويني، وهو مِنْ جملة موارد الزركشي في موسوعته الأصولية: «**البحر المحيط**». مات في شعبان سنة ٦١٢هـ. «**فهرسة اللبلي**» ص٢٧، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، «**تاريخ الإسلام**» (٤٤/ ١٢٨)، «**طبقات السبكي**» (٨/ ٣٧٢)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٢).

والطائف في ترجمة الجد يجد أن أثره في حفيده بارز في عدة نواحٍ، يلوح منها:

١- **الكنية واللقب**: أبو الفتح تقي الدين.

٢- **التخصُّص الأصولي الشافعي**: والحفيد بهذا يتجاوز أباه المالكي ليوثق الصِّلة بجدِّه الشافعي، وقد اتصل سنده العلمي به، فهو يروي عنه من طريق خالته أم إبراهيم مريم بنت الشيخ المقترح[1].

٣- النجابة والذكاء.

٤- المهارة في الجدل؛ فالجد ألَّف فيه، والحفيد مارسه بحِذْق، الجد كان أَنْظَرَ أهل عصره، وأقطعهم للخصوم، ثم تسلم حفيده رايتها، وانفرد برئاستها[2].

٥- قلة الكلام، ومجانبة الحشو، وهذه خصيصة لدىٰ الحفيد، حتىٰ قيل: لو شاء العادُّ أنْ يعدَّ كلماته لحصرها[3]، وسيأتي لها شواهد، منها تعليقه علىٰ لقائه بابن تيمية.

٦- اسم كتاب الحفيد في المصطلح: «**الاقتراح**»؛ وكأنه استعاره مِنْ لقب جدِّه: «**المقترح**»! أو من الكتاب الذي شُغف به.

٧- الوسوسة! فقد كان الجد يبالغ في الطهارة، ويشدِّد فيها، أمَّا حفيده فكان في نهاية الوسوسة؛ ومَنْ شابه جدّه فما ظلم!

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩.

(٢) **ومِنْ شواهد ذلك**: أنَّ صدر الدين ابن الوكيل لما قدم مصر في الجفل: أفهم أمراء الدولة أنه ليس في مصر مثله، وادّعىٰ علمًا كبيرًا، وطلب المناظرة، وحضر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وكان صدر الدين قد رتب شيئًا، فلما شرع فيه قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: هذا كلامٌ معبّأ، وقال: يقرأ شخص آية فقرأ شخص آية، وذكر الشيخ سؤالًا، فشرع صدر الدين يتكلم، فانتدب له عز الدين النمراوي، فقال له الشيخ تقي الدين: التزم هذا يا غرّ! هذا جيد. وانفصل المجلس، والشيخ صدر الدين مغلوب. «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٥/ ١٣).

(٣) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

المطلب الثاني
إخوة الإمام ابن دقيق العيد

ممن ذكر المترجمون مِنْ إخوة ابن دقيق العيد:

- **موسىٰ سراج الدين:** ولد بقُوص سنة ٦٤٣هـ. سمع الحديث مِنْ أصحاب السِّلَفي، وأخذ فقه مذهب الشافعي عن أبيه الشيخ مجد الدين، وروىٰ عنه أثير الدين أبو حيان. كان ذكيَّ الفطرة، ثاقب الذهن، بحَّاثًا؛ حتىٰ قال عنه أخوه **الشيخ تقي الدين**: «لو بحث مع أهل المدينتين -يعني القاهرةَ ومصر- لقطعهم، وانتهت إليه رئاسة الفتوىٰ بقوص، واشتغل عليه الطلبة، وانتفعوا به، وصنَّف كتابا في الفقه سماه «**المغني**»، لعله لم يكمله، وفيه نقولٌ كثيرة، ومباحث عزيزة، وكتب شيئًا علىٰ قاعدة: «**مد وعجوة**»، ودرَّس بدار الحديث بقوص، وبالمدرسة النجيبية، وله شعر حسن. توفي بقوص سنة ٦٨٥هـ»[١].

- **أحمد تاج الدين:** ولد بقوص سنة ٦٣٦هـ. اشتغل بالمذهبين: مذهب مالك والشافعي علىٰ أبيه، وكان قليل المعرفة بهما، وكان كثير التعبّد: يصوم الدّهر، ويتصدّق، ويكفل الأيتام، واختلط بأخرة. توفي سنة ٧٢٣هـ[٢].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٦٦٥.

(٢) «**الطالع السعيد**» ص١٠٣-١٠٥.

- **خديجة**: سمعت الحديث علىٰ العزِّ الحراني بقراءة أخيها الإمام الحافظ أبي الفتح محمد ابن دقيق العيد سنة ٦٧٩هـ. ولدت بقوص، وتوفيت بالقاهرة سنة ٧١٧هـ[١].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٢٤٠.

المطلب الثالث
نساؤه

كان الإمام ابن دقيق العيد مغرىٰ بالنكاح، كثير التسرِّي والتمتع[1].

وقد ذكر المترجمون من زوجاته: بنت البرهان ابن الفقيه نصر[2].

ومن إمائه: لوزة بنت عبد الله، سَمِعَت علىٰ ابن خطيب المزة، وابن الخيمي، وابن الأنماطي، وحدَّثت. ماتت في ذي القعدة سنة ٧٢٥هـ. وقد زادت علىٰ الخمسين[3].

يقول ابنُ فضل الله العمري في ترجمة الإمام: ورعٌ ما دنّس ثوبه ولا كدَّر صوبه، إلَّا أنه كان مغرىٰ بالنِّكاح، معزمًا منه بالمباح، يغالي في شراء الجواري، واستسراء قيم السواري، ولم تكن له جدة للإنفاق، فكان يشتريهن بالثمن الربيح إلىٰ أجل يستدينه، فإذ حل يغدو وهو رهينه، فيتسامع به أهل اليسار ممن ربطه عليه حب علمه، وحسن ظنه في دينه، لا خاب في زعمه، فيتكفل بوفاء ذلك الدين، وغسل ذمته وتنقيته مِنْ ذلك الشين، حتىٰ إذا صار بريئًا مِن الطلبات، خالصًا مِن المطالبات، عنَّ له أنْ يشتري جارية! أو يزيد نفقة جارية، فلا يلبث

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٥.

(٣) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٢٧٢).

شهرًا حتىٰ يعود أثقل ما كان ظهرًا، ويدوم علىٰ هذا في الزمان دهرًا، فيقدر له آخر، فيوفي عنه ما اشتغلت به ذمته، واشتعلت بشيب همّه لمته، واستجيزت بسببه عند أهل الورع مذمته، هكذا كان دأبه ودأب ما يحمل نفسه مِنْ أثقال التكاليف، وأنفاق جمل المصاريف، **كأنه يحتفر الذهب، أو أنَّ وفاء دينه علىٰ أهل الدنيا وجب!**[1].

(١) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٤٩٩، ٥٠٠).

المطلب الرابع
أولاده

للإمام ابن دقيق العيد عدة أولاد ذكور بأسماء الصحابة العشرة[1] وبأسماء غيرهم، وممن ذكروا:

• **علم الدين عثمان:** كُنيته أبو عمرو. ولد بقوص سنة ٦٥٢هـ. سمع مِنْ أصحاب البوصيري، وكان مِن الفقهاء الفضلاء. درس بالفاضلية بالقاهرة، ودرس بقوص، ووِلِي بها وكالة بيت المال. وكان ذكي الفطرة، حاد القريحة، حاضر الجواب، أجازه الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي بالفتوىٰ، وكتب في إجازته: وقد أجازه غرس مجده وتلميذ جده. توفي بقوص سنة ٦٩١هـ[2].

• **محيي الدين عمر:** خطيب قوص، كان مِن الصالحين المتعبِّدين المنقطعين، حتىٰ كان لا يكاد يرىٰ إلَّا يوم الجمعة. سمع الحديث مِنْ أبي المظفر علي ابن أبي الفرج ابن الجوزي، وسمع الحديث بدمشق في رحلته مع تقي الدين القشيري والده، ولما بلغت والدَه وفاتُه قال: مات لي ولدٌ صالح. توفي بقوص سنة ٦٩٥هـ[3].

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/١٣٨).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٣٥٧.

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٤٥٥.

• **القاضي ولي الدين طلحة**: ولد بحسب تقييد أبيه: سنة ٦٦٨هـ. سمع الحديث مِنَ العزِّ الحراني، وأبي بكر ابن الأنماطي، وغيرهم، وكان مِنَ الفقهاء الشافعية النبلاء الأذكياء، كان في أول أمره أهمل الاشتغال بطلب العلم، فقال له والده: اشتغلْ بصنعة، ولا تبق كلًّا علىٰ الناس إذا لم تشتغل بالعلم، فقام مِنْ وقته، وقال لأخيه محب الدين علي: أعطني «**التعجيز**»(١)، فقال له: ادْرُجْ، فما هذا عشّك، فاستعار «تعجيزًا»، ولم يخرج مِنْ مسكنه إلىٰ أنْ حفظه، ثم تفقَّه، ولازم الاشتغال، حتىٰ قال عنه أبوه: إنه يعرف مذهب الشافعي. وأجازه الشيخ بهاء الدين، ورأىٰ كمال الدين الأُدْفُوي(٢) له حواشي مفيدة وحسنة بخط يده، ولما ولِّي والدُه القضاءَ، ناب عنه، وسار سيرة حسنة، وكانت أيام أبيه في حال حياته مضبوطة، توفي وفيه شُبوبيَّة في سنة ٦٩٦هـ. فوَجَدَ عليه والدُه، وحصل له ألمٌ شديد(٣).

• **عامر العز**: سمع الحديث مِن العزّ الحراني، وابن الأنماطي، وتعدَّل، وجلس بحانوت الشهود، ثم خالط أهلَ المعاصي، فأثَّرت الخلطةُ فيه، وخرج عن طريقة أبيه، واستمرَّ علىٰ ذلك، وتمادىٰ في سلوك هذه المسالك، حتىٰ إنَّ أباه جفاه، وودَّعه وقلاه، ولما ولِّي أبوه القضاء أقامه مِن الشهود لِمَا علمه منه، وأبعده عنه. توفي بالقاهرة سنة ٧١١هـ(٤).

---

(١) «**التعجيز في مختصر الوجيز، في فروع الشافعية**»، لابن يونس الموصلي (ت: ٦٧١). «**كشف الظنون**» (١/ ٤١٧، ٤١٨).

(٢) جعفر بن ثعلب الأُدْفُوي، كمال الدين. ولد في أُدفو سنة ٦٨٥هـ. درس في قوص، ثم رحل إلىٰ القاهرة ولازم أبا حيان، ودرس علىٰ تاج الدين الدّشناوي. كان فقيهًا، ذكيًّا، يغلب عليه الأدب، وكان عنده خبرة بالموسيقىٰ، وله نظم ونثر، وكان كثيرًا ما يقيم ببلده أدفو في بستان له هناك في أيام بطالة الدروس. له: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، وفيه أوعب ترجمة لابن دقيق العيد و«**الإمتاع بأحكام السماع**». توفي سنة ٧٤٨هـ. أعيان العصر (٢/ ١٥٢)، ترجمة محقق كتابه «**الطالع السعيد**» (ي-ن).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٢٧٥.

• **علي محب الدين**: ولد بقوص سنة ٦٥٧هـ. سمع الحديث مِنْ أبيه وغيره، وحدَّث بالقاهرة، وكان فقيهًا شافعي المذهب، فاضلًا، كتب علىٰ «**التعجيز**» شرحًا جيدًا لم يكمله، درس بالمدرسة الفاضلية والصالحية، وناب في الحكم بالقاهرة في زمن أبيه، والذي ولاه النيابة عن أبيه هو الخليفة العباسي، فإنه كان تزوّج ببنت الخليفة أبي العباس أحمد العباسي، وكان محب الدين عزيز النفس مترفعًا، ويقال عنه: إنه كان يقبل الهدية في حال نيابته، ويأخذ معلومًا علىٰ السعي عند أبيه في الحاجات، ولما عاد الإمام ابن دقيق العيد إلىٰ القضاء بعد أنْ عزل نفسه رسم له أن لا يستنيب. توفي بالقاهرة سنة ٧١٦هـ[(١)].

• **كمال الدين محمد**: كان يحفظ القرآن، ويتلوه كثيرًا، وكرر مختصر مسلم للمنذري، وقيل: إنه حفظه، وسمع مِن المنذري وجماعة، وكرر علىٰ الوجيز، وجلس بالورّاقين بالقاهرة، إلَّا أنه خالط أهل السّفه، والخلطة لها تأثير، فخرج عن حدِّه، وترك طريق أبيه وجده، ولما ولي أبوه القضاء أقامه مِنَ السوق، وألحقه بأهل الفسوق، وكان قوي النفس، كثير الصدقة مع الفاقة. توفي سنة ٧١٨هـ بالقاهرة[(٢)].

• **رقية**: قوصية المولد والمنشأ، استوطنت القاهرة. سمعت مِن العز الحراني بقراءة والدها، ومِنْ أبي بكر ابن الأنماطي، وابن خطيب المزة، وحدثت بالقاهرة، وسمع منها جماعة، منهم الأدفوي. وكانت امرأة متعبّدة ملازمة للخير، مِنْ بيت العلم والصلاح. توفيت بالقاهرة يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة ٧٤١هـ. ودُفِنت بالقرافة، وقد قاربت الثمانين[(٣)].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٤٠٣-٤٠٥، «**الوافي بالوفيات**» (١٤٧/٤، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٦٥/٤، ٥٧).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٦٢٤.

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٢٤٦.

المبحث الرابع
نشأة الإمام ابن دقيق العيد
المطلب الأول
النشأة العلمية

نشأ الإمام ابن دقيق العيد بقوص، فابتدأ بقراءة القرآن الكريم، حتىٰ حصل منه علىٰ حظ جسيم.

ثم رحل في طلب الحديث: إلىٰ دِمَشق، والإسكندرية، والحجاز، وغيرها، فسمع علىٰ تحرٍّ في ذلك واحتراز[١].

ثم رجع إلىٰ قوص:

- **فعلىٰ والده**: درس الأصول، وأخذ منه المذهبين: المالكي والشافعي[٢].

- **وعن تلميذ والده بهاء الدين القفطي**[٣]: أخذ فقه الحديث، وفقه الشافعي، وكان يقول: البهاء معلِّمي[٤].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩-٥٧١.

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥.

(٣) هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل القِفْطي، أبو القاسم بهاء الدين الشافعي. دَرَسَ بقوص علىٰ مجد الدين علي ابن دقيق العيد، ودرَّس ولده أبا الفتح محمد بن علي ابن دقيق العيد، وامتدت حياة بهاء الدين حتىٰ صار مِن الشيخ تقي الدين ما صار إليه، وأتىٰ مِن القاهرة إليه إلىٰ أسنا قاصدًا لزيارته . . توفي سنة ٦٩٧هـ. «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/١٠٢).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٧١.

- **وحضر عند القاضي شمس الدين الأصفهاني**(١): وقرأ عليه الأصول لما كان حاكما بقوص.

- **وعلىٰ شرف الدين المُرْسي**(٢): قرأ العربية.

- **وعلىٰ المنذري**(٣): أخذ عنه الحديث(٤).

- **أمَّا الإمام العز ابن عبد السلام**(٥): **فقد قصده مترجمنا بالرحلة، ولازمه**(٦)**، والشيخ تقي الدين هو الذي لقبه بسلطان العلماء**(٧).

---

(١) محمد بن محمود الأصفهاني، أبو عبد الله شمس الدين. ولد بأصبهان سنة ٦١٠هـ. قدِم الشامَ بعد ٦٥٠هـ، فناظَرَ الفقهاء، وانتهت إليه الرياسة في أصول الفقه. له معرفة جيّدة بالأدب، لكنّه قليل البضاعة من الفقه والآثار. ولي قضاء مَنْبج، ثمّ قضاء قوص بمصر، ورحل إِلَيْهِ الطَّلَبة. شَرَحَ «**المحصول**»، وصنَّف «**القواعد**». توفي بالقاهرة سنة ٦٨٨هـ. «**تاريخ الإسلام**» (١٥/ ٦١٩)، «**فوات الوفيات**» (٤/ ٣٨).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المُرْسي الأندلسي، أبو عبد الله شرف الدين. الأديب، المتكلم، الفقيه، المحدث. ولد بمرسية سنة ٥٧٠هـ وتنقل في الأندلس، وزار خراسان وبغداد، والشام ومصر. كان محققًا للبحث، كثير الحج، له مكانة، وكان مقتصدًا، مقتنيًا للكتب. توفي متوجهًا إلىٰ دمشق سنة ٦٥٥هـ. له «**التفسير الكبير**»، و«**الإملاء**» في النحو. «**معجم الأدباء**» (٦/ ٢٥٤٦)، «**طبقات السبكي**» (٨/ ٦٩).

(٣) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، أبو محمد زكي الدين الشافعي الدمشقي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. ولد سنة ٥٨١هـ. لزم أبا الحسن بن المفضل. وحدث كثيرًا، وتخرج به جماعة، وولي مشيخة الكاملية، وانقطع بها عشرين سنة، وكان عديم النظير في معرفة الحديث بفنونه. ألف الترغيب والترهيب، وشرح التنبيه ومشكله. توفي سنة ٦٥٦هـ. «**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**» (٧/ ٦٣)، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٣٥٥).

(٤) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، «**البدر المنير**» (٢/ ٦٥٥).

(٥) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، أبو محمد. ولد سنة ٥٧٧هـ. أَخَذَ الأصول عن الآمدي، والفقه عن ابن عساكر، وإليه انتهت معرفة مذهب الشافعي، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وهو إمامُ عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف. له: «**القواعد الكبرىٰ**». توفىٰ بمصر سنة ٦٦٠هـ. «**طبقات السبكي**» (٨/ ٢٠٩)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضي شهبة (٢/ ١١٠)، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٣١٥).

(٦) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٤.

(٧) أثر العز ابن عبد السلام علىٰ ابن دقيق العيد جوهري، وعميق جدًّا، وقد رأيتُ هذه الآثار في =

وقد ظهر أثرُ هؤلاء المتخصصين: علىٰ شخصية ابن دقيق العيد العلمية، فكان متفننًا في العلوم بخبرة ودراية، وبرع في علم الحديث وأصول الفقه حتىٰ فاق الأقران[1]، ومنحه تخصصا في مذهبين فقهيين: المذهب المالكي، والمذهب الشافعي، وسيأتي بسط ذلك.

ولعل تنوع تخصصات مشيخته، هو ما دفعه إلىٰ القول: مِنْ أدب طلب العلم أنْ يقصد في كل علم مَنْ هو أعرف به، وأرجح في المعرفة مِنْ غيره[2].

= التلميذ الآخر للعز ابن عبد السلام، وهو أحمد بن إدريس القرافي، ظهر هذا في الاعتبار الواضح للمصالح والمفاسد، والنظر إلىٰ المقاصد وتفاصيلها، والولع بالاستشكالات وحلها، أو التحير فيها، وقد وسمت هؤلاء الثلاثة في مقالة منشورة بمثلث الذهب. «**طبقات الشافعية**» لابن قاضي شهبة (٢/ ١١٠)، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٣١٥).

(١) «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٢) «**شرح الإلمام**» (٣/ ٤٧).

المطلب الثاني
النشأة السلوكية

استمر الإمامُ ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ حالة واحدة مِنَ الصمت والاشتغال بالعلوم، ولزوم الصيانة والديانة، علىٰ أزكىٰ قدم مِن العفاف والمواظبة علىٰ الاشتغال، والتحرُّز في أقواله وأفعاله، ولم يزل حافظًا للسانه، مقبلًا علىٰ شأنه، وَقَفَ نفسَه علىٰ العلوم وقصرها[١].

وكان دأبُه في الليل أمرًا عجابًا؛ فقد كان مديمًا للسهر، مكبًّا علىٰ المطالعة والجمع والاشتغال[٢]، لا ينام الليل إلَّا قليلًا، يقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة، وذكر وتهجد، حتىٰ صار السهر له عادة، وأوقاته كلها معمورة[٣].

فربما تلا آية واحدة فكررها إلىٰ مطلع الفجر؛ استمع له بعضُ أصحابه ليلة وهو يقرأ، فَوَصَلَ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فما زال يكررها إلىٰ طلوع الفجر[٤].

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

(٢) «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٣) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨١)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٩، «**طبقات الشافية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١١).

يقول القرافي رَحِمَهُ اللهُ[1]: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل إلَّا أنه كان إذا صلّىٰ الصبح اضطّجع علىٰ جنبه إلىٰ حيث يتضحىٰ النهار[2].

وقال الصاحب شرف الدين محمد: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إمَّا مصليًا وإمَّا يمشي في جوانب البيت وهو مفكر إلىٰ طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر صلىٰ الصبح ثم اضطجع إلىٰ ضحوة[3].

---

(١) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، أبو العباس المالكي، مصري المولد والمنشأ والوفاة. أخذ كثيرًا مِنْ علومه عن العز ابن عبد السلام. انتهت إليه رئاسة الفقه علىٰ مذهب مالك. له: الذخيرة، وتنقيح الفصول، وشرحه. توفي سنة ٦٨٤هـ. «**الديباج المذهب**» ص١٢٨، «**معجم المؤلفين**» (١/ ١٥٨).

(٢) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٠.

المبحث الخامس
شيوخه، وتلاميذه
المطلب الأول:
شيوخه

بعد أنْ أتمَّ ابنُ دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ حفظَ القرآن: رَحَلَ في طلب الحديث إلىٰ دِمَشق، والإسكندرية، ومصر، والقاهرة، فاجتمعت له مشيخة واسعة منها:

١- والده الفقيه مجد الدين.

٢- العز ابن عبد السلام.

٣- معلّمه بهاء الدين.

٤- شرف الدين المُرسي.

٥- المنذري.

٦- شمس الدين الأصفهاني.

وسبق الإشارة إلىٰ هؤلاء الشيوخ الستة في نشأة الإمام ابن دقيق العلمية[١].

٧- **ابن المُقيَّر**: أبو الحسن علي بن الحسين البغدادي الحنبلي، المتوفىٰ

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، ٥٧٥، «**البدر المنير**» (٢/ ٦٥٥).

سنة ٦٤٣هـ. وتورع الإمامُ ابن دقيق العيد رحمه الله عن الرواية عنه لكونه شكّ أنه نعس حين تحمّل الرواية عنه، وهو أقدم مَنْ سمع عليه سنًّا[(١)].

٨- **ابن الجمَّيْزي**: أبو الحسن بهاء الدين علي بن هبة الله اللّخمي الشافعي.

٩- **ابن رَوَاج**: رشيد الدين عبد الوهاب بن أبي المنصور الإسكندراني المالكي.

١٠- **ابن الحباب**: أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز.

١١- **ابن الحاسب**: عبد الرحمن بن أبي الحرم مكي بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الطرابلسي الإسكندري.

وهؤلاء الأربعة (ابن الجُمَّيْزي، وابن رَوَاج، وابن الحباب، وابن الحاسب): من أصحاب الحافظ أبي طاهر السِّلَفي[(٢)].

١٢- أبو الحسن يحيىٰ بن علي القرشي.

١٣- أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الحنبلي.

١٤- أبو البقاء زين الدين خالد بن يوسف النابلسي.

١٥- أبو حامد محمد بن علي المحمودي.

١٦- الحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد التيمي البكري.

١٧- أبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبي عبد الله بن عبد الرحمن الصوفي البغدادي النعَّال.

١٨- أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن نعمة المقدسي.

١٩- أبو الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقي.

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩.

(٢) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١.

٢٠- أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي.

٢١- قاضي القضاة أبو الفضل يحيىٰ ابن قاضي القضاة أبي المعالي محمد بن علي ابن محمد القرشي.

٢٢- أبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل.

٢٣- أبو القاسم علي بن الحافظ أبي محمد السلام بن المظفر.

٢٤- عبد اللطيف بن الحسن الدمشقي.

٢٥- حافظ الشام ومسنده: أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي الحلبي.

٢٦- خالته أم إبراهيم مريم بنت الشيخ الإمام أبي العز المعروف بالمقترح[١].

وخلائق يطول ذكرهم، وأجازه جمع كثير منهم[٢].

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، ٥٧٢.

(٢) المصادر السابقة.

المطلب الثاني
تـلامـيـذه

ذاع صِيتُ الإمام ابن دقيق العيد، فتوارد عليه الطلبة، وتخرج به أئمة[1]، فحدث بقوص ومصر وغيرهما، وسمع منه خلق كثير، وجمّ غفير مع قلة تحديثه؛ فمع كونه حافظًا مكثرًا، ومسموعاته كثيرة إلَّا أنَّ الرواية عسرت عليه لقلّة تحديثه، فقد كان شديد التحرِّي في ذلك[2]، فهو لا يرىٰ التحديث بكل ما سمع، بل ينتقي منه ما يحدث به، ويضرب عن الباقي تشديدًا منه في ذلك، كما لا يجيز كلَّ ما سمع، بل يستثني فيقول: ما حُدِّثتَ به مِنْ مسموعاتي[3]، فهو لا يجيز لأحد رواته شيئًا مِنْ سماعه إلَّا ما حدث به.

قال ابن رُشيد: وجرت عادته أنْ يضبط: (ما حُدِّثْتَ) بفتحة مقصودة[4]، وإنْ كان أهمله فيما كتب لي في بعض مكتوباته، فقد ضبطه في بعضها، ومقصوده في ذلك: ألَّا يُروىٰ عنه مِن المسموعات إلَّا ما حَدَّثَ به، إذْ يكون في بعض مسموعاته ما لا يرىٰ التحديث به؛ لكثرة الخلل الواقع في كيفية السماع عندهم،

(١) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٢) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢).

(٣) «**مستفاد الرحلة**» ص١٩، ٢٠.

(٤) المقصود أن الإمام ابن دقيق العيد كان لا يجيز أن يُروىٰ عنه من مسموعاته إلا ما حَدَّثَ به.

لمكان الصغر، وعدم الضبط، ولحن القارئ، واعتراء النوم مِن السامع والمسموع عليه، وأكثر ذلك ضررًا وخللًا سرعة القارئ، فلذلك كُلِّه ونحوه احترس في الشرط.

ومع ذلك فقد كتب عنه خلق كثير، وممن سمع منه[(١)]:

١- أبو العلاء الفرضي: وكان علامةً، وقد مات قبله[(٢)].

٢- القُونوي: قاضي القضاة بدمشق، شيخ الشيوخ بالديار المصرية، أبو الفداء علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي. ولد بمدينة قونوة سنة ٦٦٨هـ[(٣)]. اشتغل هناك وقرأ، لازم ابن دقيق العيد زمنًا طويلًا، يحضر عنده بالليل، وكتب له لابن دقيق العيد بخطه مع تحريه وضبطه علىٰ مختصر ابن الحاجب علىٰ النسخة التي هي ملكه: باحثت صاحب هذا الكتاب، ونعته وقال: فوجدته يُطلَق اسم الفاضل عليه استحقاقًا.

قال الصفدي: حسبك هذا الثناء مِنَ الشيخ تقي الدين ﷺ وعلىٰ مَنْ كان يطلق هذا اللفظة[(٤)].

٣- ابن الأثير مستملي العمدة: عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن الأثير الحلبي الكاتب، ولي الكتابة الدرج بعد والده تاج الدين، المقدم ذكره بالديار المصرية مدةً، ثم تركها تدينًا وتورعًا، وله خطب مدوَّنة. وهو الذي علّق شرح العمدة عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد. عُدِم في الوقعة سنة ٦٩٩هـ[(٥)].

٤- نجم الدين ابن الرِّفعة: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشافعي المتوفىٰ سنة ٧١٠هـ.

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٢.

(٢) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥).

(٣) «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٤) «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٣/ ٢٨٥)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٥) «**الوافي بالوفيات**» (٩/ ٥٦).

٥- **ابن رُشيد السبتي**: محب الدين أبو عبد الله، محمد بن عمر بن محمد الفهري. رحّالة، عالم بالأدب وبالتفسير والتاريخ. ولد بسبتة سنة ٦٥٧هـ. رحل إلىٰ مصر والشام والحرمين سنة ٦٨٣هـ. لقي ابن دقيق العيد، وأجاز له كل ما رواه. مات بفاس سنة ٧٢١هـ.(١).

٦- **التجيبي**: القاسم بن يوسف السبتي، ولد سنة ٦٦٦هـ. وتوفىٰ سنة ٧٣٠هـ(٢).

لقي الإمامَ ابن دقيق العيد في أثناء رحلته، وذلك في ليلة السبت السادس لجمادىٰ الأولىٰ مِنْ سنة ٦٩٦هـ. وهي أول ليلة بات بها التجيبي بالقاهرة، وهو أول شيخ لقيه بها، استأذن عليه ليلًا في داره التي يسكن بها، وهي قاعة دار الحديث الكاملية(٣)، وقت قعوده مع طائفة مِنْ طلّاب العلم.

يقول التجيبي: فأذن لي، وتلقّاني أحسن لقاء، ورحّب بي، وبالغ في تأنيسي، وسألني عن جهة قصدي، فأخبرته أنَّ معظم أملي الوصول إلىٰ بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، جعل الله ذلك خالصًا لوجهه الكريم، فدعا لي بخير، ثم أثنىٰ علىٰ أهل المغرب جملة، وقال: أنا أحب المغاربة، وأعتني بهم، وأسمِّيهم عشاقَ مكة.

ثم استفهمني عمن لقيت في طريقي هذا مِنْ أهل العلم، وعمن خلَّفتُ في بلاد المغرب مِنَ المشايخ الفضلاء، فأخبرته بما كان عندي مِنْ ذلك.

---

(١) «**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**» (٢/ ٣٤٧)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ١١١)، «**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**» للمقريزي (١/ ٢٦٦)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٩٩)، «**فهرس الفهارس**» (١/ ٤٤٣).

(٢) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، ٢١.

(٣) **المدرسة الكاملية**: دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين، بناها الملك محمد الكامل الأيوبي في سنة ٦٢١هـ. وَقَفَها علىٰ المحدثين، ثم علىٰ الشافعية. وليها أبو الخطّاب ابن دحية، ثم المنذري. «**النجوم الزاهرة**» (٦/ ٢٥٨).

وسَأَلَ أيضًا عن طائفة مِنْ متقدمي فضلاء الأندلسيين، فأعلمته أيضًا بما وقع إلي مِنْ ذلك، وفي أثناء ذلك حدثنا بحكايات وطرف، منها الحكاية التي ناب فيها شيخنا علم الدين العراقي عن شيخه عز الدين ابن عبد السلام، وقد كتبتها في ترجمة العلم. وأنشدنا شيئًا مِنْ شعره، وقال لي: أريد منك أنْ تقعد هَهُنا معنا هذه السَّنَة، حتىٰ أمكّنك مِنْ مبيّضاتي، لتستخرج منها ما تم مِنْ مصنفاتي، قد اخترتك لهذا النوع، أو كما قال، فاعتذرت له بقوة عزمي، وشدة شوقي لبيت الله الحرام، فقبل العُذر، ودعا بخير، نفع الله بدعائه ولقائه، وكثَّر في الناس أمثاله، وأخلص أعمالنا لوجهه، ولو لم يُرْكَب ثبجَ البحر إلَّا للقاء هذا الإمام الفاضل لكانت الصفقة رابحة، والوجهة ناجحة.

وقد أجازه الإمام ابن دقيق العيد بما حدث به مِنْ مسموعاته، وجميع مجازاته، وسائر مصنفاته، وما قاله نظمًا ونثرًا، وكتب له ذلك بخط يده المباركة[١].

٧- **ابن سيد الناس**: أبو الفتح فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الأندلسي الأصل، المصري، الإمام، العلَّامة، الحافظ، الأديب، البارع. ولد سنة ٦٧١هـ. وتوفي سنة ٧٣٤هـ. لازم ابنَ دقيق العيد، وتخرج به[٢].

وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: يحبّه، ويُؤْثره، ويركن إلىٰ نقله، وكان إذا جاء ذِكْرُ أحد مِن الصحابة أو أحد مِنْ رجال الحديث في درسه قال: أيش ترجمة هذا يا أبا الفتح؟ فيأخذ فتح الدين في الكلام، ويسرد، والناس كلهم سكوت، والشيخ مصغٍ إلىٰ ما يقوله[٣].

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، ٢١.

(٢) «**الوافي بالوفيات**» (١/ ٢٢١)، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٣٥٨).

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (١/ ٢٢١)، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٣٥٨).

٨- **المزي**: جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المتوفىٰ سنة ٧٤٢هـ قال الذهبي: لم يسألني ابن دقيق العيد إلَّا عنه[(١)].

٩- **أبو حيان**: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الظاهري الشافعي، المتوفىٰ سنة ٧٤٥هـ. وقد سمع منه في يوم الأحد ثاني شهر رمضان مِنْ سنة ٦٨٦هـ. بمنزله مِنْ دار الحديث بالكاملية بالمُعِزِّية[(٢)].

١٠- **الذهبي**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي، المتوفىٰ سنة ٧٤٨هـ[(٣)].

ولما دخل الذهبي علىٰ الإمام ابن دقيق العيد، وكان شديد التحرِّي في الإسماع، قال له: مِنْ أين جئتَ؟ قال: مِن الشام، قال: بم تُعرف؟ قال: بالذهبي، قال: مَنْ أبو طاهر الذهبي؟ فقال له: المخلص. فقال: أحسنت، فقال: مَنْ أبو محمد الهلالي؟ قال: سفيان بن عيينة، قال: أحسنت، اقرأ، ومكَّنه مِن القراءة عليه حينئذ إذ رآه عارفًا بالأسماء، يقول الذهبي: سمعتُ مِنْ لفظه عشرين حديثا، وأملىٰ علينا حديثًا[(٤)].

١١- سديد الدين عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن رافع العثماني القوصي الكيزاني. ولد سنة ٦٢٤هـ سمع مِن ابن دقيق العيد ومِنْ والده، حدث بقوص والقاهرة، وكان خفيف الروح مطبوعًا، سليم الصدر متبوعًا، إذا انشرح أضحك الثكلىٰ، وتحقق السامع أنه لا يرىٰ له شكلًا، وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ينبسط معه، ويهش له إذا سمعه، وينشده، ويبره، ويرفده، ولم يزل علىٰ حاله إلىٰ أنْ وقع السديد في الكرب الشديد، وكان ابن دقيق العيد إذا رآه وخلا به أنشده:

---

(١) **«الطالع السعيد»** ص٥٧٢، **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٥/ ٦٥١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) **«تذكرة الحفاظ»** (٤/ ١٨٢)، **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ١٠٢).

(٤) **«تذكرة الحفاظ»** (٤/ ١٨٢)، **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ١٠٢).

بــيــن الــسَّــدِيــدِ والــسَّــدادِ سَــدُّ   كَــسَــدِّ ذي الــقَــرْنــيــن أو أشــدُّ

تُوفي رحمه الله تعالىٰ في سنة ٧١٥هـ[١].

١٢- فخر الدين عثمان بن علي، المعروف بابن بنت أبي سعد المصري الأنصاري المتوفىٰ سنة ٧١٧هـ.

١٣- علي بن إبراهيم بن داود، علاء الدين أبو الحسن بن الموفَّق العطار الشافعي المتوفىٰ سنة ٧٢٤هـ.

١٤- قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أبي القاسم ابن عبد السلام ابن جميل التونسي.

١٥- قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن حيدرة.

١٦- قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عَدْلان.

١٧- شمس الدين عبد الرحمن بن مسعود الحارثي المصري الحنبلي المتوفىٰ سنة ٧٣٢هـ.

١٨- شرف الدين محمد بن القاسم الإخْمِيمي.

ومن تلامذته: طائفة مِنْ أولاده، وسبق ذكرهم.

وجماعات كثيرة: يطول عددهم[٢].

---

(١) «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٣/٢٨).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٢، «**مقدمة أ. د. قحطان الدوري لكتاب الاقتراح**» لابن دقيق العيد ص٥٨-٦٦.

المبحث السادس
الكتب والفقر

هنا بُعْد جديد في التشكُّلات المعرفية للإمام ابن دقيق العيد، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقبلًا علىٰ الكتب والتصنيف[1]، ودأبُه كثرة المطالعة والقراءة، وكان له السهر في الليل عادة[2]، وقد حصَّل بذلك الحظ الوافر مِنَ المعقولات والأدبيات[3].

وكانت له قدرة كبيرة علىٰ المطالعة، يقول الأدفوي في ذلك: رأيتُ خزانةَ المدرسة النجيبية بقوص، فيها جُملة كتب، مِنْ جُملتها «**عيون الأدلَّة**» لابن القصَّار، في نحو مِنْ ثلاثين مجلَّدًا، وعليها علامات له -يعني: لابن دقيق العيد- وكذلك رأيتُ كتبَ المدرسة السابقية، رأيتُ علىٰ «**السنن الكبير**» للبيهقي فيها، في كل مجلدة علامة، وفيها «**تاريخ الخطيب**» كذلك، و«**معجم الطبراني الكبير**»، و«**البسيط للواحدي**»، وغير ذلك.

ولما ظهر «**الشرح الكبير**» للرافعي: اشتراه الإمامُ ابن دقيق العيد بألف درهم، وصار يصلي الفرائض فقط، واشتغل بالمطالعة إلىٰ أنْ أنهاه مطالعة.

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧.

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٠.

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧.

وذُكِرَ عند الإمام ابن دقيق العيد: الرافعي والغزالي في الفقه، فقال: الرافعي في السماء[1].

ويقال: إنه طالع كتبَ الفاضلية عن آخرها، وقال: ما خرجتُ مِنْ بابٍ مِنْ أبواب الفقه واحتجتُ أنْ أعود إليه[2].

وربما استوعب الليلة، فطالع فيها المجلد أو المجلدين، دخل عليه ابن الكتاني، فناوله مجلدة وقال: هذه طالعتُها في هذه الليلة التي مضت[3].

وحكىٰ القاضي زين الدين إسماعيل قاضي قوص: أنَّ الإمامَ ابن دقيق العيد جاء مرة إلىٰ مصر، ثم قصد القاهرة، فقال: أمع أحد منكم «**وسيط**»؟ فناوله شخص مجلدة، فنظر صفحة، ثم سُقنا معه الدرس، فألقىٰ تلك الصفحة بالمعنىٰ[4].

وقال عنه أثير الدين أبو حيان: هو أشبه مَنْ رأيناه يميل إلىٰ الاجتهاد، ورأيتُ له بخزانة الجامع بقوص عدة مجالس أملاها، وقد حلَّاها بجواهر الفوائد، وجلَّاها لملتقطي الفرائد[5].

وكان الإمام علىٰ إعوازه: مغرىٰ بتحصيل الكتب، حتىٰ اشتُهر عنه أنه كان كثير الكتب، مع أنه كان غالبًا قبل أنْ يلي القضاء في فاقة تُلزمه الإضاقة، فيحتاج إلىٰ الاستدانة[6]، وقد اتفق أنه اشترىٰ كتبًا مِنْ تركة، فجاء أمين الحكم يطالبه، وكان فيه اجتهاد في تحصيل مال الأيتام، فلم يجد معه الثمن، فرفعه إلىٰ القاضي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جماعة[7]، يقول القاضي: فتوسّطت بينهما،

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٠.

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٠.

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٠.

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٨١.

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٨١.

(٦) «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٦.

(٧) محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني، أبو عبد الله بدر الدين. ولد بحماة سنة ٦٣٩هـ. =

وقررتُ معه أنْ تكون جامكية[1] «**الكاملية**» للدَّين، و«**الفاضلية**» لكُلَفه، ولم يكن بيده حينئذ غيرهما، ثم قلتُ له: أنا أشحُّ عليك، وأغار مِنْ هذه الاستدانة! فقال: ما يُوقعني في ذلك إلا محبة الكتب!

قال جمال الدين البشبيشي[2]: كان مِنْ حق القاضي أنْ يقوم عن الشيخ بثمن الكتب، بل بجميع ما عليه مِنَ الدَّين، وكان ذلك يلزمهم مِنْ عدة جهات.

وقال ابن حجر العسقلاني: هذا مما يتعجب مِنْ مثله مع كثرة ما كان للقاضي يومئذ مِنْ متحصَّل الأنظار والمرتبات علىٰ جهات المملكة، واتساع أموال مودع الحكم، فلو صرف له ذلك مِنْ زكاة يتيم واحد لأمكنه؛ فكيف أغفل ذلك؟ واقتنع بالمعاتبة! والله إنَّ هذا لشيء عجيب![3].

وقال في رفع الإصر: وعاب الناسُ علىٰ القاضي بدر الدين لكونه سمع هذه الدعوىٰ ولم يوفِ الثمن عن الشيخ[4].

= ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم قضاء مصر، ثم الشام، وجمع له معه الخطابة ومشيخة الشيوخ، وتدريس العادلية، مع الورع والديانة، ثم نقل إلىٰ قضاء مصر بعد وفاة ابن دقيق العيد إلىٰ أنْ كبر وضعف فاستقال. له تصانيف منها: «**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**». توفي سنة ٧٣٣هـ. وقد أكمل ٩٤ عامًا. ودُفِن بالقرافة. «**الوافي بالوفيات**» (١٥/٢)، «**البداية والنهاية**» (٣٥٧/١٨).

(١) **جامكية**: مفرد جوامج، وهي مرتب خدم الدولة مِنَ العساكر والموظفين. «**معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**»، ص٥٦.

(٢) جمال الدين عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز البشبيشي. ولد سنة ٧٦٢هـ. تفقّه علىٰ ابن الملقن، وأخذ العربية عن شمس الدين الغماري، واختصّ به، وبرع في الفقه، وكتب الخط المنسوب، وبرع في معرفة الوراقة، وكتب كتابًا جليلًا في الألفاظ المعربة، وكتابًا استوعب فيه أخبار قضاة مصر، وكتابًا في شواهد العربية، ونسخ بخطه كثيرًا إلىٰ أنْ تُوفي بالإسكندرية سنة ٨٢٠هـ. «**المنهل الصافي**» (٦٦/٧).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٥، «**رفع الإصر**» ص٣٤٦.

(٤) «**رفع الإصر**» ص٣٩٦.

ومما يتصل بهذا الباب من إعواز الشيخ الكُتُبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تاج الدين الدِّشناوي: حضرتُ عنده ليلة، وهو يطلب شمعة فلم يجد معه ثمنها، فقال لأولاده: فيكم مَنْ معه درهمٌ؟ فسكتوا، وأردتُ أنْ أقول: معي درهم، فخشيت أنْ ينكر عليّ، فإنه كان إذْ ذاك قاضي القضاة، فكرَّر الكلام، فقلت: معي درهم، فقال: ما سكوتك؟![1].

تأمل: لا يجد ثمن شمعة وهو قاضي القضاة!

وقال القاضي شهاب الدين ابن الكُويك التاجر الكارمي: اجتمعتُ به مرة، فرأيته في ضرورة، فقلتُ: يا سيدنا ما تكتبُ ورقةً لصاحب اليمن؟ اكتبها، وأنا أقضي فيها الشغل، فكتب ورقة لطيفة فيها هذه الأبيات:

تجادَل أربابُ الفضائل إذ رأَوْا ... بضاعتَهم موكوسةَ الحظِّ في الثمَنْ
فقالوا عرضْناها فلم نُلْفِ طالبًا لباس ... ولا مَنْ له في مثلِها نَظَرٌ حسَنْ
ولم يبقَ إلَّا رفضُها واطِّراحُها ... فقلتُ لهم لا تعجلوا، السوق باليمَنْ

وأرسلها إليه، فأرسل إليه مائتي دينار، واستمر يرسلها كل سنة إلىٰ أنْ مات صاحبُ اليمن[2].

وحصل له مرةً ضرورة: فسافر إلىٰ الصعيد، وتوجه إلىٰ إسنا للشيخ بهاء الدين، فأعطاه دراهم وكتبًا[3].

---

(١) «الطالع السعيد» ص٥٩٥.

(٢) «الطالع السعيد» ص٥٩٥، ٥٩٦.

(٣) «الطالع السعيد» ص٥٩٦.

المبحث السابع
الإفتاء والتدريس

أفتىٰ الإمامُ ابن دقيق العيد في المذهبين المالكي والشافعي، ودرَّسهما بالفاضلية، وأقرأ الحديث بالكاملية[1].

وقد عُيِّن الإمامُ ابن دقيق العيد مدرسا في عدة مدارس، منها:

١- المدرسة الناصرية: وهي أول ما ولي في التدريس في شهر رجب سنة ٦٧٩هـ. ثم صرف عن ذلك في ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ.

٢- المدرسة الفاضلية: ودرَّس فيها المذهبين: المالكي والشافعي.

٣- المدرسة الكاملية: وأقرأ فيها الحديث.

٤- المدرسة الصالحية بالقاهرة.

٥- دار الحديث بقوص ببيت له.

٦- المدرسة النجيبية بقوص.

٧- المدرسة المجاورة لقبة الشافعي مِنْ قَرافَة مصر.

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧.

٨- المدرسة المجديَّة بأسنا: وذلك حين أتاها مِنَ القاهرة لزيارة شيخه البهاء القفطي، فاتفق في ذلك الوقت انتهاء عمل المدرسة المجدية، فسأله واقفها أنْ يدرس فيها تبركا ففعل، وكان أول مَنْ درّس بها[1].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧، «**مقدمة محقق الاقتراح**» قحطان الدوري ص٥٥.

المبحث الثامن
توليه القضاء

تولىٰ الإمامُ ابن دقيق العيد قضاء الشافعية بالديار المصرية في آخر عمره، بعد إباء وامتناع شديد، حتىٰ قالوا له: إنْ لم تفعل ولَّيْنا فلانًا أو فلانًا -لرجلين لا يصلحان للقضاء- فرأىٰ أنَّ القبول واجب عليه حينئذ.

وكان ضياء الدين المعبدي[1] هو السبب في ولاية الشيخ تقي الدين قضاء الديار المصرية، فإنه حلف عليه بالطلاق مِنْ زوجته، وأخذه، وطلع به إلىٰ السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين[2]؛ وقال له: جئتك بسفيان بن عيينة[3]، أو الثوري![4] أو أنه قال له: أَدُلُّك علىٰ محمد بن إدريس الشافعي، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم؟[5].

---

(١) ضياء الدين المعبدي، شيخ مشهور بالديار المصرية، كان حَسَن الشكل، ظريفًا، فيه عفّة وديانة، وكانت له مكارم ووجاهة. توفي بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ. «**الدرر الكامنة**» (٢/ ٣٧١).

(٢) لاجين بن عبد الله، حسام الدين المنصوري. السلطان المملوكي. جعل مملوكه «**منكوتمر**» نائبًا له. كان عادلًا، يجالس الفقهاء، لكنه انقاد إلىٰ مملوكه. قُتِل في قصره سنة ٦٩٨هـ. السلوك لمعرفة دول الملوك (٢/ ٣٠٢)، «**الأعلام**» (٥/ ٢٣٨).

(٣) سفيان بن عُيينة بن عمران الهلالي مولاهم، أبو محمد الكوفي المكي. ولد بمكة سنة ١٠٧هـ. سمع الزهري، وعمرو بن دينار، وعنه الأعمش، والثوري. حجة بالإجماع. توفي بمكة سنة ١٩٨هـ. «**تهذيب الأسماء**» (١/ ٢٢٤)، «**الوافي بالوفيات**» (١٥/ ١٧٥).

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري ولد سنة ٩٧هـ. الإمام، الحافظ. سمع السبيعي، وسلمة بن كهيل. روىٰ عنه معمر بن راشد، والأوزاعي. مات بالبصرة سنة ١٦١هـ. «**طبقات ابن سعد**» (٦/ ٣٧٢)، «**تاريخ بغداد**» (١٠/ ٢١٩).

(٥) «**أعيان العصر**» (٢/ ٥٦١)، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٤.

وكان توليه القضاء بعد موت التقيّ عبد الرحمن ابن بنت الأعز[1] في ١٨ جمادىٰ الأولىٰ سنة ٦٩٥هـ[2]، وسِنُّه يومئذ سبعون سنة، فباشره إلىٰ أنْ مات.

ويعتبر الإمامُ ابن دقيق العيد: مِنْ ألمع مَنْ حَمَلَ لقبَ «قاضي القضاة»[3]، فحُمِدَت سيرتُه، وشُكِرَت طريقتُه، وكان إذا سمع ما يكرهه عَزَلَ نفسَه، فَعَلَ ذلك مرارًا، ومِنْ ذلك يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة ٦٩٦هـ. ثُمَّ أعيد في اليوم الثاني[4]، وقيل: إنه عزل نفسه أيضًا في ربيع الآخر سنة ٦٩٧هـ. ثم إنه أعيد إلىٰ القضاء، ورسم له ألَّا يستنيب ولده محب الدين[5]، وربما تكون القصتان واحدة، وقد يؤيد ذلك أنّها كلها في ربيع الآخر، وفي سنتين متتابعتين، وأنَّ ثمة خطأً في تحديد السنة، وقد يقال: بل هما قصتان بدليل ما ذكر في ترجمته مِنْ تعدد مرات عزل نفسه، والله أعلم.

وكان للإمام ابن دقيق العيد مع شواغله بالتصنيف في كل حين آثار حسنة في القضاء:

منها: نزاهة وعفّة، وقيام في الحق، وصلابة في الحكم.

ومنها: التثبت والاحتياط والاحتراز[6].

---

(١) عبد الرحمن بن خلف ابن بنت الأعز، القاضي تاج الدين العَلاَمِيّ ولد ٦٠٤هـ. كان عظيم القدر في الدين والورع. سار في القضاء سيرة شهيرة، بسط العدل، وكان لا يحابي أحدًا. مات سنة ٦٩٥هـ. «**رفع الإصر**»، ص٢٥٨، ٢٥٩ رقم ١٢٨.

(٢) هناك رواية أخرىٰ تفيد: أنَّ ولايته كانت في يوم العشرين مِنْ جمادىٰ الأولىٰ، ولعل وفاة ابن بنت الأعز كانت في يوم ١٨، ثم ولي ابن دقيق العيد بعده بيومين، والله أعلم. «**رفع الإصر**» ص٣٩٦.

(٣) «**كناشة النوادر**» لعبد السلام هارون ص٣٨.

(٤) «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢)، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٤، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (٢/ ١٦٨).

(٥) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧).

(٦) قال الصفدي: (وله حكايات في التثبت والاحتياط والاحتراز معروفة مشهورة بين المصريين). «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٤/ ٥١٤).

ومنها: انتزاع كثير مِن الأوقاف التي كانت أُخِذت واقتُطِعَت لمقطِّعين.

ومنها: أنه أولُ مَنْ غيّر خِلَع القضاة، فقد كانت القضاة يخلع عليهم الحرير، فامتنع الشيخ مِنْ لبس الخلعة، وأمر بتغييرها إلىٰ الصوف، فاستمر العمل بها.

ومنها: أنه رتَّب مع الأوصياء «**مباشرًا**» مِنْ جهته، فيباشر أحوالهم، ويطالعه بها.

ومنها: أنه نَزَعَ بعضَ أبنائه مِنَ التعديل؛ لأنهم ليسُوا أهلًا لذلك، ومات ولم يُخَلِّف لأبنائه وظائف ولا مالًا.

ومنها: أنه أوَّلُ مَنْ عمل المودَع الحكمي: فمَنْ مات وله وارث إنْ كان كبيرًا قَبَضَ حصتَه، وإنْ كان صغيرًا عمل المال في المودع، وإنْ كان للميت وصي خاص ومعه عُدول يندبهم القاضي لينضبط أصل المال علىٰ كل تقدير، واستمر الحال علىٰ ذلك.

ومنها: أنه كان إذا تخاصم إليه أحد مِنْ أهل الدولة بالغ في التشدد والتثبّت.

ومنها: أنه أَسَقَطَ عن الناس فروضًا، مع الدين المتين، والورع الفائق، حتىٰ بلغ في ذلك الغاية، وحاز فيه النهاية(١).

ولم يدخل عليه شيء فيما يتعلق بالقضاء إلا:

١- أنَّ جماعةً مِنْ حاشيته كادُوه في توليته الحكم لمن لا يصلح، فقد حسَّن الإمامُ ابن دقيق العيد الظنَّ ببعض الناس، فدخل عليه البأس، وحصل له مِن الملامة نصيب، والمجتهد يخطئ ويصيب، فقد كانوا إذا اعتنوا بشخص

---

(١) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٤٩٩، ٥٠٠)، «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩، ٥٩٧، «**مستفاد الرحلة**» ص١٧، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٦، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥)، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (٢/ ١٦٨).

عرفوه موضع الدرس، فإذا حضر مع الشيخ أخذ في الكلام معه، فيعجبه، ويصفه بالفضل، ويسأل عنه، فيصفونه بزيادة علىٰ ذلك، ولكنه يحتاج إلىٰ ما يعينه علىٰ القيام بأوده، ويسألونه له في جهة معينة، فيوليه، فربما استأمن مَنْ لا ينوء بالأمانة حملُه، وربما حسّن ظنَّه بمن ساء فعلُه[1].

٢- أنه كان يكمن تارة في زِناده، ويحبس أَواره في فؤاده، ويلبس الرجال علىٰ بعضها، ويسلب كل الأعمال لبعضها، وربما قدر فعقَر، وواخَذَ فما غفَر، إِلَّا أنَّ التقوىٰ كانت تمنعه مِنْ أليم المجازاة، وتردّه عن بلوغ حد الغاية مِن التشفِّي، وفي النفس حزازات[2].

فذاق الإمام ابن دقيق العيد: مِنْ حلو القضاء ومُرِّه، وحط ذلك عند أهل المعارف والأقدار مِنْ علوِّ قدره، وردّدوا أنه لو اقتصر علىٰ الفتيا والدرس والولاية التي كان أشرف منها في كلِّ نَفْس، ولم يَلبس أعمالَه الصالحة بهذا اللَّبْس، وأنه لو حِيل بينه وبين القضاء، لكان عند الناس أحمدَ عصره، ومالكَ دهره، وأوزاعِيَّ أوانِه، وثوريَّ زمانه، والمتقدم علىٰ كثير ممن تقدم فكيف علىٰ أقرانه؟! لكن العبدُ لا يَنْتَفي مِنْ مَقدور، ولا يَقْتَفِي إلَّا ما هو عليه في الكتاب مَسْطور[3].

ويبدو أن الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: ندم علىٰ تولِّيه القضاء، فقد كان أوّلًا ممتنعًا عنه لولا أنهم أصروا عليه، حتىٰ همّوا بتولية مَنْ لا يستحق، فتولىٰ مرغمًا

---

(١) «**رفع الإصر**» ص٣٩٦، أجوبة ابن سيد الناس لسؤالات الحافظ الدِّمياطي عن أحفظ مَنْ لقي مِن الحفّاظ في الحديث النّبوي ص١٧٩ بواسطة: محقق كتاب: «**رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء**»، تحقيق: أ. عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

(٢) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٤٩٩، ٥٠٠).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩، ٥٧٠، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٤)، أجوبة ابن سيد الناس لسؤالات الحافظ الدِّمياطي عن أحفظ مَنْ لقي مِنَ الحفّاظ في الحديث النّبوي ص١٧٩ بواسطة، محقق كتاب: «**رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء**»، تحقيق: أ.عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

علىٰ مضض[١]، ثم عزل نفسه مرة بعد مرة، وتنصّل منه كرة بعد كرة، والمرء لا ينفعه الحذر، والإنسان تحت القضاء والقدر، وكان يقول: والله ما خار الله لمن بلي بالقضاء، ودخل عليه بعض أصحابه يومًا فرآه وهو حزين مفكّر، فسأله عن ذلك فقال: يا فلان من أراد اللّه له بالقضاء ما أراد له خيرا[٢]، وقال مرة لشمس الدين ابن عدلان[٣]: يا فقيه، لو لم يكن إلَّا طول الوقوف للسؤال والحساب لكفىٰ[٤]، ورآه بعض أصحابه في المنام وهو في مسجد، فسأله عن حاله، فقال: أنا معوَّق ها هنا بسبب نوَّابي[٥].

قلتُ: رحمك الله يا فقيه، كيف فاتت عليك هذه وأنت إمام الدنيا؟ وقد قلتَ لابن بنت الأعز، وأنت مَنْ خلفته في القضاء: لو تفرّغتَ للعلم لكنْتَ أعظم مِنْ ابن عبد السلام![٦].

وأقول:

إنَّ نِصفَ الناس أعداءٌ لِمَن ... وُلِّيَ الأحكام هذا إنْ عَدَلْ[٧]

---

(١) هذا الأسلوب شائع بين المعاصرين، يقال: فعلتُ هذا علىٰ مضض، أي: كارهًا متألمًا، ولم أقف علىٰ استعمال المتقدمين لهذا الأسلوب، ولعلنا نحن المعاصرين أخذناه مِنْ شُرب المضاض، وهو الماء الذي لا يطاق ملوحة. «**تهذيب اللغة**» (**مادة**: ض م)، «**لسان العرب**» (**مادة**: مضض)، معجم اللغة العربية المعاصرة (م ض ض).

(٢) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٣).

(٣) محمد بن أحمد بن لاحق، شمس الدين ابن عدلان. مات عن بضع وثمانين سنة. درس بأماكن، وناب في الحكم عن الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد قبل السبعمائة، وتخرج به أئمة. مِنْ ذيول العبر (٦/ ٢٧٠).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٦.

(٥) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٣)، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (٢/ ١٦٩).

(٦) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٤-٥٠٦)، «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧-٥٩٩، «**رفع الإصر عن قضاة مصر**»، ص٢٥٩.

(٧) «**الكشكول**» (١/ ٢٣٤)، «**مجاني الأدب في حدائق العرب**» (٤/ ٩٤).

فالقاضي في العادة في محل الذم، ومن ذا يرضي الناس ودعاواهم متضادة، فأحد الخصمين غاضب لا محالة، وأمر القضاء متسع لا يكاد يُضبط، ومع ذلك فقد تقدم ما كان للإمام ابن دقيق العيد مِنْ آثار حسنة فيه، وأيادٍ بيضاء جليلة، مع ديانة وصيانة، وفقه ولَوْذَعِيَّة، وقد حفظ المترجمون عنه خطبًا بليغة في وعظ نُوَّابه، يذكِّرهم ويحذرهم، فقد كان علىٰ طرائق الأولين في غرس الوازع الديني، وهو مِنَ الرسوم الغائبة، ومما اشتُهر مِنْ كتبه: ما كتب به إلىٰ المخلص البهْنسيِّ قاضي إخميم بالوجه القبلي البحري، وبمثله كتب إلىٰ كل نائب، ومما جاء فيه:

هذه المكاتبة إلىٰ فلان الدين، وفّقه الله تعالىٰ لقبول النصيحة .. تذكِّره بأيام الله تعالىٰ .. تحذِّره صفقة مَنْ باع الآخرة بالدنيا، فما أحد سواه مغبون، عسىٰ الله أنْ يرشده بهذا التذكار وينفعه، وتأخذه هذه النصائح بحجزه مِنَ النار، فإني أخاف أنْ يتردَّىٰ فيها، فيجرَّ مَنْ ولاه -والعياذ بالله- معه.

والمقتضي لإصدارها ما لمحناه مِنَ الغفلة المستحكمة علىٰ القلوب، ومِنْ تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للربِّ علىٰ المربوب .. لا سيما القضاة الذين تحملوا الأمانة علىٰ كواهل ضعيفة، وظهروا بصور كبار وهمم نحيفة، والله إنَّ الأمر لعظيم، وإنَّ الخطب لجسيم، ولا أرىٰ مع ذلك أمنًا ولا قرارًا ولا راحة، اللهم إلَّا رجلًا نبذ الآخرة وراه، واتخذ إلهه هواه .. وما أنا وأنتم إلَّا حبيبٌ العجمي، وقد قال له قائل: يا ليتنا لم نخلق، قال: قد وقعتم فاحتالوا .. هيهات، جفَّ القلم، ونفذ أمر الله، فلا راد لما حكم، ومِنْ هنالك شمَّ الناس مِنْ فم الصديق رائحة الكبد المشوية .. وهذه -والله- أحوال لا تؤخذ مِنْ باب السلَم والإجارة والجنايات، هذه نصيحتي إليك، وحجّتي بين يدي الله -إنْ فرَّطت- عليك، أسألُ الله لي ولك قلبًا واعيًا، ولسانًا ذاكرًا، ونفسًا مطمئنة بمَنِّه وكرمه[1].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧-٥٩٩، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٤-٥٠٦).

المبحث التاسع
اشتهار ابن دقيق العيد

اشتُهر اسم الإمام ابن دقيق العيد في حياة شيوخه، وشاع ذكره بينهم، ويبدو أنه اشتُهر منذ كان صغيرًا، فقد قال ناظر الدين السلطاني لوالده: أشتهي أنْ أنظر ابنَك تقي الدين، فأراد مرة التوجه إليه، فقال لابنه: يا محمدُ، هذا الرجل تكرّر طلبه لك، امش معي، فمشىٰ معه، فدخل علىٰ الناظر، فَسُرَّ بالشيخ تقي الدين، وكان يومًا شاتيًا شديد البرد[1].

وقد استشير الإمام ابن دقيق العيد في أمر الخلافة: فقد قدم البريد مِن القاهرة سادس جمادىٰ الآخرة، فأخبر بوفاة أمير المؤمنين الحاكم ومبايعة المستكفي، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة، فخطب يوم الجمعة تاسع جمادىٰ الآخرة للخليفة المستكفي بجامع دمشق، وكُتب له تقليد بالخلافة، وقرئ بحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين مِنْ ذي الحجة، ولم يكن السلطان أمضىٰ له عهد والده؛ حتىٰ سأل الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وهو قاضي القضاة يومئذ: هل يصلح للخلافة أم لا؟ فقال الشيخ تقي الدين: نعم، يصلح. وإنما احتيج إلىٰ ذلك؛ لأنه كان صغير السن، لم يبلغ عشرين سنة[2].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٤٢٩.

(٢) «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (٢/ ٦٢).

المبحث العاشر
وفاة الإمام ابن دقيق العيد

لم يزل الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد علىٰ ما هو عليه مِنَ العلم والعمل إلىٰ أنْ طُفئ سراجه الوهّاج، وأثار عليه لواعج[1] الأحزان وهاج[2].

يقول شاهدُ الخزانة تاج الدين عبد الرزاق المخصوص بخدمة الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[3]: إنَّ الشيخ أقام ضعيفًا مدة شهرين أو أكثر، فقد ضعف مِنْ أواخر سنة إحدىٰ وسبعمائة، ولم يحضر درسًا في سنة اثنتين، ولم يكن بالكاملية، وإنما خرج إلىٰ بستان خارج باب الخَرْق[4]، فأقام به إلىٰ أنْ توفي في يوم الجمعة الحادي عشر لصفر، سنة ٧٠٢هـ. الموافق ١٣٠٢م. ودفن يوم السبت بسفح المُقَطَّم[5]، وكان يومًا مشهودًا، عزيزًا مثله في الوجود، سارع الناسُ إليه، ووقف جيشٌ ينتظر الصلاة عليه[6].

---

(١) **لواعج**: جمع لاعِج، وهو الهوىٰ المحرق، وحرارته علىٰ الفؤاد. الصحاح للجوهري (**مادة**: لعج)، لسان العرب (**مادة**: لعج).

(٢) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٠).

(٣) لم أقف له علىٰ ترجمة.

(٤) باب الخَرْق: حاليا: ميدان أحمد ماهر بالقاهرة. «**تاج العروس**» (**مادة**: زول، ٢٩/ ١٥١)، وينظر: «**فهارس النجوم الزاهرة**» (١٥/ ٦٢٨).

(٥) سفح المُقَطَّم: الجبل المشرف علىٰ القرافة، وهي مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وفيها قبر جماعة مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، كعمرو بن العاص رضي الله عنه. «**معجم البلدان**» (٥/ ١٧٦).

(٦) «**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**» لابن فهد المكي، ص٩٢، ٩٣.

وقد رثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص، منهم:

١- شعيب بن أبي شعيب.

٢- والأمير مجير الدين بن اللّمْطي.

٣- وشرف الدين النصيبيني[١].

وقد تمنىٰ تقيُّ الدين السبكيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٢]: أنْ يكون حاله كحال ابن دقيق العيد، فقد ذكر في الفتاوىٰ أن الإمام ابن دقيق العيد لما توفي بمصر لم يترك لأولاده شيئا، ولا حصل لهم بعده شيئًا[٣].

يقول الأُدفُوي رَحِمَهُ اللهُ: وهو ممّن تألمتُ علىٰ فوات رؤيته، والتملِّي[٤] بفوائده وبركته، لكني انتفعت بالنظر في كتبه في الصِّغر، واستفدتُ منها في الكبر، وعلقتُ مِنْ تصانيفه مباحث جليلة، وقيَّدت مِنْ تآليفه جملًا جميلة، جمع الله الشمل بيني وبينه في دار كرامته، ومتعني بمشاهدته ورؤيته في جنته[٥].

قلت: آمين؛ يارب، اجمعنا بهم في زُمرة الذين أنعم الله عليهم مِنَ النَّبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٩.

(٢) علي بن عبد الكافي السبكي المصري الدمشقي، أبو الحسن تقي الدين الشافعي. ولد سنة ٦٨٣هـ. المتفنن الورع. تفقه علىٰ ابن الرفعة وأبي حيان. قدم دمشق عام ٧٠٧هـ. وكان ممن جَمَعَ فنونَ العِلْم مع الزهد والورع والشدَّة في دينه. ولي قضاء الشام، ثم ضعف، وترك القضاء لولده، ثم توجه إلىٰ وطنه. له: الفتاوىٰ، وأكمل علىٰ المجموع للنووي، وله أيضًا: الإبهاج في شرح المنهاج، وأَلَّفَ كُتُبًا في الردِّ علىٰ ابن تيمية. توفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ. «**طبقات السبكي**» (١٠/ ١٣٩)، «**الوافي بالوفيات**» (٢١/ ١٦٦)، «**البدر الطالع**» (١/ ٣٩٠).

(٣) «**فتاوىٰ السبكي**» (١/ ١٢٥).

(٤) التملِّي: يقولون في الدعاء: تملّ حبيبًا: أي: تمتّع به وعش معه مليّا. «**شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**» (٩/ ٦٣٨٣).

(٥) «**مستفاد الرحلة والاغتراب**» ص٣٦، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠١).

المحور الثاني

صفات إمام

المبحث الأول: صفاته.

المبحث الثاني: ثناء العلماء عليه.

المبحث الأول
صفاته

من أبرز ما لاحظه المترجمون من صفاته: الأستاذية، دوام التفكير، وفرة العلم[1]، الديانة، التحرِّي، قلة الكلام، التفكر، التجديد، الصلابة في الحق، الجُود، الإنصاف، التواضع، عزة النفس، الوسوسة، الفصاحة والأدب وعذوبة الشعر.

فإلىٰ تفصيل ذلك:

● أولا: الأستاذية:

طريقة الإمام في التصنيف تشبه طريقة الأستاذ في التدريس، ولا سيما إذا عرفنا أنَّ عامة تواليفه كانت إملاء علىٰ الطلبة، ومنها الشرحان المشهوران: «**شرح العمدة**»، و«**شرح الإلمام**»، وقد تستكثر أنْ يكون ذلك إملاء منه، خصوصا إذا رأيتَ بحثه للمسائل الملتبسة، فإن ديدنه الإغراق في التدقيق، لكن إذا انتصفتَ في قراءة ترجمته هان ذلك عليك، فهو مِنْ عباقرة الأساتذة الأفذاذ.

---

(١) سيكون بسط الكلام علىٰ صفة العلم عند الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله في الفرع الثاني إنْ شاء الله تعالىٰ، ضمن نقول أهل العلم، فقد استغرقت أكثرها.

ثانيا: دوام التفكير:

فقد كان مشتغلًا بالذكر والفكر[١]، وله فكرٌ يستفتح له ما يستغلق علىٰ غيره مِن الأبواب[٢]، وقد كان في الليل إما مصليا، وإما يمشي في جوانب البيت وهو مفكر إلىٰ طلوع الفجر[٣]، ودخل عليه بعض أصحابه يومًا فرآه وهو حزين مفكّر[٤]، وفي مقدمة شرحه للإلمام تشبيه بديع بأن الفوائد هي التي تتصدىٰ للفكر، فتعترِض، ولا تُعرض[٥].

وفي رسالته إلىٰ نوابه في القضاء: حثهم علىٰ جعل وقت لهم يعمرونه بالفكر والتدبير، وأن ذلك مما يعينهم علىٰ ما دعاهم إليهم، ويزودهم في مسيرهم إلىٰ العرض عليه سبحانه[٦].

ومن شعره:

سحاب فكري لا يزال هاميًا ... وليل همي لا أراه راجلًا
قد أتعبتني همتي وفطنتي ... فليتني كنت مهينا جاهلًا[٧]

قال الصفدي: جاء في كلام أرسطو: تعبتُ بعرفاني؛ فليتني خُلِقت لا أعرف![٨].

---

(١) **«الطالع السعيد»** ص٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٩٤.

(٢) **«الطالع السعيد»** ص٥٦٩، ٥٧٠، **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، **«الدرر الكامنة»** (٤/ ٩٤).

(٣) **«الطالع السعيد»** ص٥٨٠.

(٤) **«طبقات الشافعية»** للإسنوي (٢/ ١٠٣).

(٥) **«شرح الإلمام»** (١/ ٥-١٠).

(٦) **«الطالع السعيد»** ص٥٩٧-٥٩٩، **«مسالك الأبصار»** (٥/ ٥٠٤-٥٠٦)، **«رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء»**، تحقيق: أ. عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

(٧) **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٤/ ٥٨٥).

(٨) **قلت**: هذا صحيح باعتبار **عرفان أرسطو** الذي ضلّ سبيل الهداية، وإلَّا فللمعرفة لذّة، وغايتها المعرفة بالله جلَّ وعلا، علىٰ أنَّ كلام **أرسطو** صحيح باعتبار أنَّ العارف ينظر في المآلات والعواقب، فيكلّفه ذلك أنْ يحتاط ويحترس، بخلاف الجاهل! فإنه في عافية مِنْ ذلك! ينظر: **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٤/ ٥٨٥).

- **ثانيا: قلة الكلام:**

لم يزل الإمام ابن دقيق العيد ﵀ علىٰ حالة واحدة مِنَ الصمت[1]، حافظًا للسانه، مقبلًا علىٰ شأنه، وَقَفَ نفسَه علىٰ العلوم وقصرها[2]، وكان: بخيلًا بالكلام، عديم الدعاوي[3]، وكان لا يسلك المراء في بحثه: بل يتكلم بسكينة كلمات يسيرة، فلا يرادّ، ولا يراجع[4]، ومن أعظم مَا حُكيَ عنه أنه كان يقول: ما تكلمت بكلمة ولا فعلتُ فعلًا إِلَّا أعددتُ لَهُ جوابًا بَيْنَ يدي الله تعالىٰ[5]، وحكىٰ قطبُ الدين السنباطي: أنَّ الشيخ تقي الدين قال لكاتب الشمال: سنين لم تكتب عليَّ شيئًا![6].

قال الذهبي: لكن الشيخ لم يقل هذا، ولعله ذكره بنية صالحة، والعالم إذا ذم نفسه ولازم الصمت فقد نجا[7].

ومن أقوال الإمام ابن دقيق العيد: (العاقل يختار السكوت علىٰ التخليط)[8].

ولما قيل له: هلا تكلمت مع ابن تيمية؟ قال: هذا رجل يحب الكلام، وأنا أحب السكوت![9].

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

(٢) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

(٣) «**الطالع السعيد**»، ص٥٩٧، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣)، «**مِنْ ذيول العبر**» (٦/ ٢١).

(٤) «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨١)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٥) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٦) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٢).

(٧) «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨).

(٨) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» للسبكي (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

(٩) «**العقود الدرية**» ص١٣٥، «**البداية والنهاية**» (١٨/ ٢٩).

وهذا هو السبب الحقيقي في عدم نشوب مناظرة بينهما، وهو الفرق الجوهري بين شخصية الرجلين، وقد كان ابن دقيق العيد بذلك خبيرا.

• ثالثا: التحري والتدقيق:

هذه الخصائص ظاهرة عند حديث المترجمين عن الإمام ابن دقيق العيد، فقد كان علىٰ أزكىٰ قدم من التحرُّز في أقواله وأفعاله[1]، وهي أيضا من مظاهر الورع والتدين لديه، وهي أيضا التي رفعت من مقامات استنباطاته، وجودت قريحة النقد عنده، وأكسبته براعة في إثارة الإشكالات وحلِّها.

ولا أستبعد أن تكون المبالغة في التثبت هي أحد أسباب ما ابتلي به من الوسوسة.

وقال تلميذه تقي الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الورع، ويحمله ورعه علىٰ توقف كثير في المواضع المحتملة في العلم[2].

وقال قطب الدين الحلبي: أتيتُه بجزء سمعه مِن ابن رَوَاج والطبقة بخطه، فقال: حتىٰ أنظر، ثم عدتُ إليه، فقال: هو بخطي محقق، ولكن ما أحقق السماع له، ولا أذكره، ولم يحدِّث به[3].

وسبق: أنه لم يحدث أيضا عن ابن المُقيَّر مع صحة سماعه عنه لكونه شك أنه نعس حال السماع عنه، مع كونه أقدم من سمع عنه.

ومن هنا قال الذهبي: لم يحدث عن ابن المقيَّر وابن رواج؛ لأنه داخله أدنىٰ شك في كيفية التحمل عنهما[4].

وكانت شدة تحرِّيه واحتراسه في الشروط سببا في قلة تحديثه، وقد عسرت

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢١٠).

(٢) » «فتاوىٰ السبكي» (٢/ ٦٤٢).

(٣) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ١٨٢)، «مقدمة قحطان الدوري للاقتراح»، ص٨٧.

(٤) «سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود» (رقم: ٦٠٩٨).

الرواية عليه، بسبب شدة تحريه في الإسماع، فهو لا يرىٰ التحديث بكل ما سمع، بل ينتقي منه ما يحدث به، ويضرب عن الباقي تشديدًا منه في ذلك[1].

كما أن للتثبت والاحتياط والاحتراز آثارا حسنة في أعماله في القضاء[2].

وقال قطب الدين الحافظ: كان آية في الإتقان والتحري[3].

بل بلغت هذه الصفة مبلغا أن صارت وظيفته الخاصة!

يقول الأدفوي صاحب أوعب ترجمة للإمام: قام بوظيفة التحقيق والتدقيق التي لا يطيقها غيره مِنْ أهل زمنه ولا عليها يقوىٰ . . . ومَنْ تأمّل كلامه علم أنه أكثر تحقيقًا وأمتن وأعلم مِنْ بعض المجتهدين فيما تقدم وأتقن[4].

ويرىٰ ابن دقيق العيد أن السلف الصالح رضوان الله عليهم جروا إلىٰ غاية التحقيق، ثم آل الآمر إلىٰ التسامح والتساهل، والغفلة والتغافل، فأُطلِقت: أَعِنَّةُ الأقلام، وأُرْسِلَت: بوادرُ الكلام، وطُوِيَ: بساط التورع رأسا! وعُدَّ التوقف: جهالة أو وسواسا! وتوهموا: التسرع دليلًا علىٰ كثرة الحاصل! والإحجام: علامة علىٰ قلة الواصل!

وأحد الأمرين لازم لهم:

١- إمَّا أنْ يدَّعوا أنهم أعلم ممن سبق.

٢- أو يسلِّموا أنهم ما طَرَقَ قلوبَهم مِنْ مخافة الله ما ألَمَّ بقلوب العارفين وطَرَق[5].

---

(١) **«مستفاد الرحلة»** ص١٩، ٢٠، **«تذكرة الحفاظ»** (٤/ ١٨٢)، **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ٢١٢).

(٢) قال الصفدي: (وله حكايات في التثبت والاحتياط والاحتراز معروفة مشهورة بين المصريين). **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٤/ ٥١٤).

(٣) **«سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود»** (رقم: ٦٠٩٨).

(٤) **«الطالع السعيد»** ص٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٩٤.

(٥) **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** للسبكي (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

وقد ساهمت عنايته بالتحرز والتحري والتثبت والتدقيق: في حسن استنباطاته، فقد كان شديد النظر بأذكىٰ ألمعية وأزكىٰ لوذعية[1]، وكانت إليه النهاية في التحقيق والتدقيق، والغوص علىٰ المعاني كما قال الزملكاني[2]، ولم يحز أحد في زمانه قوّته علىٰ الاستنباط واقتداره كما قال الإسنوي[3]، فقد كان حَسَن الاستنباط للأحكام، والمعاني مِنَ السُّنَّة والكتاب، بلب يسحر الألباب، وفكر يستفتح له ما يستغلق علىٰ غيره مِنَ الأبواب[4]، وكتابه في شرح الإلمام أتىٰ فيه بالعجائب في الاستنباط[5]، **فقد ذكر في شرح حديث البراء بن عازب: (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع ...)، أكثر من أربعمائة فائدة، وفي قوله تعالىٰ:** ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، استنبط فيها أربعة وعشرين وجهًا مِنَ المبالغة[6]، وقد كان كلامه علىٰ المعاني التركيبية، والفوائد المستنبطة، المقصود الأعظم من مصنفاته في شرح الأحاديث[7].

● رابعا: الديانة:

كان الإمامُ ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد التدين، رأسًا في العلم والعمل، تام الورع، مشتغلًا بنفسه، مشهورًا عنه قلّة مخالطته، يجمع إلىٰ ذلك كثرة الهيبة، ووقار الشّيبة، وتعلوه السكينة، مع حُسن الهدي والسمت، بخيلًا بالكلام، عديم الدعاوي، عديم النظير، شديد الخوف، دائم الذكر، لا ينام الليل إلّا قليلًا،

---

(١) «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨).

(٢) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٣) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٢).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩، ٥٧٠، «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٤).

(٥) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٢).

(٦) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥).

(٧) «**شرح الإلمام**» (دار أطلس ١/ ٢١-٢٦، «**دار النوادر**» (١/ ٥-١٠).

يقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة، وذكر وتهجُّد، حتىٰ صار السهر له عادة، وأوقاته كلها معمورة، ولم يُرَ في عصره مثله[1].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثيرَ المحاسبة لنفسه، فقد كان يحاسب نفسه علىٰ الكلام، ويأخذ عليها بالملام، فلم يزل حافظًا للسانه، مقبلًا علىٰ شانِه، وقف[2] نفسه علىٰ العلم وقصرها، ولو شاء العادّ أنْ يحصر كلماته لحصرَها، وله تخلُّق، وبكرامات الصالحين تحقُّق[3].

يقول الأمير سيف الدين بلبان الحسامي: خرجتُ يومًا إلىٰ الصحراء، فوجدتُ ابن دقيق العيد في الجبانة واقفًا يقرأ ويدعو ويبكي، فسألتُه فقال: صاحب هذا القبر كان مِنْ أصحابي، وكان يقرأ عليَّ، فمات، فرأيته البارحة، فسألته عن حاله، فقال: لما وضعتموني في القبر جاءني كلب أنفط كالسبع، وجعل يروعني، فارتعبت، فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة، فطرده، وجلس عندي يؤنسني، فقلت: **مَنْ أنت؟** فقال: أنا ثواب قراءتك سورة الكهف يوم الجمعة[4].

ونُقِل عنه نكتة غريبة، وهي: أنه اتفق أنَّ شخصًا أحضر إليه فُتيا، فكتب عليها، فلما فارقه تذكّر أنه كتب فيها ما لا يجوز، فقلق لذلك قلقًا عظيمًا، ولم يحكم ذلك النهار. فلما كان بكرة اليوم الثاني حضر الرجل ومعه الفتوىٰ، وسأل الشيخ أنْ يكتب له عليها بخط مفسّر، وذكر أنه مِنْ حين خرج مِنْ عند الشيخ بالفتوىٰ عرضها علىٰ الناس، فكل مَنْ أخذها لم يُحْسن قراءتها لكون حروفها مخبطةً! ولم يظهر منها شيء ولا حرف واحد. فأخذها فكتب عليها بما يجوز[5].

---

(١) «**الطالع السعيد**»، ص٥٩٧، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣)، «**مِنْ ذيول العبر**» (٦/ ٢١).

(٢) في مطبوعة: «**الدرر الكامنة**»

(٣) «**الطالع السعيد**»، ص٥٩٦، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٤) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥).

(٥) «**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**» (السنة: ٧٠٢).

ثانيا: التجديد:

توارد أهل العلم: علىٰ وصف الإمام ابن دقيق العيد بمجدِّد القرن السابع، منهم: النووي، والذهبي، والصفدي، والسبكي، والسيوطي[(١)].

استشهد الإمام محيي الدين النووي ببيت للبحتري مخاطبًا ابن دقيق العيد:

لكل زمان واحدٌ يُقْتَدَىٰ به ... وهذا زمانٌ أنت لا شكَّ واحدُه[(٢)]

ويقول شمس الدين الذهبي: قد كان علىٰ رأس الأربعمائة **الشيخ أبو حامد الإسفراييني**، وعلىٰ رأس الخمسمائة **أبو حامد الغزالي**، وعلىٰ رأس الستمائة **الحافظ عبد الغني**، وعلىٰ رأس السبعمائة **شيخنا أبو الفتح ابن دقيق العيد**[(٣)].

علَّق علىٰ ذلك خليل بن أيبك الصفدي في كتابه «أعيان العصر وأعوان النصر» فقال: كيف لا يكون ذلك، وهو الذي بعثه الله علىٰ رأس المئة ليجدِّد للأمة أمر دينها، ويحدِّد لها ما اشتبه مِنْ قواعد شريعتها عند تبيينها. وهؤلاء الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ في قوله: «**يبعث الله علىٰ رأس كل مائة سنة لهذه الأمة مَنْ يجدِّد لها أمر دينها**[(٤)]»[(٥)]، ومِنْ سعادة **الشافعية** أنَّ الجميع

---

(١) «**سير أعلام النبلاء**» (١٤/ ٢٠٣)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٠) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٧٧).

(٢) «**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**» (٢/ ١٥٥).

(٣) «**سير أعلام النبلاء**» (١٤/ ٢٠٣).

(٤) قال ابن حجر ناقلًا عن غيره: (لا يلزم أنْ يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه؛ فإنَّ اجتماع الصفات المحتاج إلىٰ تجديدها لا ينحصر في نوع مِنْ أنواع الخير، ولا يلزم أنَّ جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلَّا أنْ يدّعىٰ ذلك في **عمر بن عبد العزيز**؛ فإنه كان القائم بالأمر علىٰ رأس المائة الأولىٰ باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدّمه فيها، ومِنْ ثم أطلق **أحمد** أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأمَّا مَنْ جاء بعده، **فالشافعي** وإنْ كان متصفًا بالصفات الجميلة إلَّا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلىٰ هذا كل مَنْ كان متصفًا بشيء مِنْ ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا) «**فتح الباري**» لابن حجر (١٣/ ٢٩٥).

(٥) عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها**» أخرجه أبو داود (٤/ ١٠٩رقم ٤٢٩١) في ك: «**الملاحم**»، =

شافعيون، فإنْ قلتَ: **فكيف تعمل في عمر بن عبد العزيز؟ قلت**: ما كانت المذاهب الأربعة ظهرت ذلك الزمان(١).

وقال في كتابه الآخر: «**الوافي بالوفيات**»: ما أراه إلَّا أنه ممن بعثه الله تعالىٰ علىٰ رأس كل مائة ليجدد لهذه الأمة دينهم؛ فإنَّ الله بعث علىٰ رأس المائة الأولىٰ **عمر بن عبد العزيز**، وعلىٰ رأس الثانية **الشافعي**، وعلىٰ رأس المائة الثالثة **ابن سريج**، وعلىٰ رأس المائة الرابعة **أبا حامد الإسفراييني**، وعلىٰ رأس المائة الخامسة **أبا حامد الغزالي**، وعلىٰ رأس المائة السادسة **الإمام فخر الدين الرازي**، وعلىٰ رأس المائة السابعة **الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد**(٢).

وجمع الصفدي كلامه فقال: وعلىٰ الجملة فكان امرأ غريبًا، قلَّ أنْ ترىٰ العيون مثله: زهدًا، وورعًا، وتصميمًا، وتحريًا، واجتهادًا، وعبادة، وتوسعًا في العلوم.

فهو الذي بجح الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأشعار(٣)

ويقول في ذلك تاج الدين السبكي: لم ندرك أحدًا مِنْ مشايخنا يختلف في أنَّ **ابن دقيق العيد** هو العالم المبعوث علىٰ رأس السبعمائة، المشار إليه في الحديث المصطفوي النَّبوي، صلىٰ الله علىٰ قائله وسلم، وأنه أستاذ زمانه علمًا ودينًا(٤).

وقال أيضًا: **السابع**: **الشيخ تقىٰ الدين ابن دقيق العيد**، وهؤلاء لا يحسن مِنْ أحد أنْ يخالف فيهم، ومتىٰ دفعنا **الأشعري**، وسهلًا، **والرافعي** عن هذا

= ب: «**ما يذكر في قرن المائة**»، وصحَّحه الحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٥٦٧ رقم ٨٥٩٢)، **والعراقي** في «**المقاصد الحسنة**»، ص٢٠٣، **والألباني** في «**السلسلة الصحيحة**» (٢/ ١٤٨ رقم ٥٩٩).

(١) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٧٧).

(٢) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٠).

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧).

(٤) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٢، ٢٠٩)، «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٣٢٩).

المقام كان الجميع مِنَ **الشافعي** إلىٰ **ابن دقيق العيد**، أسماؤهم دائرة ما بين **محمد وأحمد**(١).

وقال السيوطي: ومِنَ اللطائف أنَّ شرط المبعوثين علىٰ رؤوس القرون مصريون: **عمر بن عبد العزيز** في الأولىٰ، **والشافعي** في الثانية، **وابن دقيق العيد** في السابعة، **والبُلقيني** في الثامنة؛ وعسىٰ أنْ يكون المبعوث علىٰ رأس المائة التاسعة مِنْ أهل مصر(٢).

وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

والسابعُ الراقي إلىٰ المَراقي ... ابنُ دقيق العيد باتفاقِ(٣)

ثالثا: الصلابة في الحق:

حكىٰ شمسُ الدين ابنُ عدلان: أنَّ الشيخ كان عنده، وكان متكئًا فحضر الكمالي «**أمير حاجب**» برسالة، فكشف عن وجهه، فسمعها، وقال له: هذا ما ينعمل! فوقف الحاجب زمانًا، ثم قال: **يا سيدي ما الجواب**؟ فقال: عجبٌ؛ ما سمعتَ الجواب! وغطىٰ وجهه(٤).

ولما عَزلَ الإمامُ ابنُ دقيق العيد نفسَه عن القضاء: ثم طُلِبَ أنْ يعود ليولَّىٰ، قام له **السلطان الملك المنصور «لاجين»**، ومكث واقفًا لما أقبل، فصار يمشي **الإمام ابن دقيق العيد** قليلًا قليلًا، وهم يقولون له: السلطان واقف! فيقول: أديني أمشي(٥)! وجلس معه علىٰ الجوخ(٦)، حتىٰ

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (١/ ٢٠٢).

(٢) «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٣٢٩).

(٣) «**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**» (٣/ ٥٧).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٢

(٥) هذه اللفظة وما في القصة التي قبلها مِنَ الشواهد الظريفة علىٰ تاريخ اللهجة المصرية، ومدىٰ تجذرها.

(٦) **الجوخ**: كلمة فارسية، أصلها (جوخا)، وهي نَسِيجٌ مِنْ صُوفٍ غليظ، يَغْلِبُ أنْ تكونَ أَلْوانُه زاهِيَةً. وقد أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة مِنَ العاميّ الفصيح، والعامة يعرفونها. معجم مقاييس اللغة (**مادة**: جوخ)، «**المعجم الوسيط**» (١/ ١٤٥).

لا يجلس دونه، ثم نزل فغسل ما عليه واغتسل، وقبَّل السلطان يده، فقال: تنتفع بهذا![1].

وكان به بعض مرض فلما حضر إليه السّلطان وقبّل يده، فلم يزده علىٰ قوله: أرجوها لك بين يدي الله ﷻ[2].

وكان فتحُ الدين ابن البققي[3]: يكثر الوقيعة في ابن مخلوف، فاتفق أنْ أشيع عنه أمر يقتضي الانحلال، فأمر ابنُ مخلوف أنْ يكتب عليه ما يضبط، فكتبوا محضرًا في سنة ٦٨٦هـ. وقامت عليه البينة بذلك، فحبس، فكتب ورقةً مِنَ الحبس إلىٰ **ابن دقيق العيد** صفة فتيا، فكتب عليها: ﴿**إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ [الأنفال: ٣٨]، فأرسلها إلىٰ المالكي، فقال: هذه في الكفار إذا أسلموا ورجعوا، ثم سألوا **ابن دقيق العيد** أنْ يثبته. فقال: لا أثبت علىٰ رجل يشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله: كفرًا، ورماه مِنْ يده، فتعصب جماعة مِنَ الدولة للفتح، فأصر **ابن مخلوف**، فكتبوا محضرًا شهد فيه جماعة بأنه مجنون، فتوقف عليه **ابن دقيق العيد** أيضًا وقال: ما نعرفه إلَّا رجلًا عاقلًا، فضُربت عنقه بَيْنَ القصرين وهو يتلفّظ بالشهادتين ويصيح **بابن دقيق العيد** ويقول: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ**﴾، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٧٠١هـ[4].

وما خلَّص ابنَ بنت الأعز من ضرب العنق إلا ابنُ دقيق العيد: لأن الوزير **شمس الدين ابن السلعوس** لما عزل **ابن بنت الأعز**، سعىٰ في عمل محاضر بكفره، وأخذ خط الجماعة علىٰ المحاضر، ولم يبق إلَّا خط **ابن دقيق العيد**: أرسل إليه المحاضر مع نقباء، وقال: يا مولانا، الساعة تضع خطك علىٰ هذه

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٢.

(٢) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٤).

(٣) فتح الدين أحمد بن محمد البققي المصري ولد سنة ٦٦٠هـ. تقريبًا، وتفقّه كثيرًا، واشتغل، وتأدّب، وناظر، وقطع الخصوم وفاق الأقران، وبدت منه أمور تنبي أنه مستهزئ بأمور الديانة. قتل سنة ٧٠١هـ. «**الدرر الكامنة**» (١/ ٣٠٨).

(٤) «**رفع الإصر**»، ص٢٨١، «**الدرر الكامنة**» (١/ ٣٠٨).

المحاضر، فأخذها، وشرع يتأمّلها واحدًا بعد واحد، والنقباء يتواتر ورودهم بالحث والطلب والإزعاج، وأنَّ الوزير في انتظار ذلك، والسلطان قد حثّ في الطلب وهو لا ينزعج، وكلما فرغ محضرًا دفعه إلىٰ الآخر، فقال: ما أكتب فيها شيئًا، قال **الشيخ فتح الدين**: فقلتُ له: يا سيدي، لأجل السلطان والوزير، فقال: أنا ما أدخل في إراقة دم مسلم، قال: فقلتُ له: كنتَ تكتب خطك بذلك، وبما يخلص فيه، فقال: يا فقيه، ما عقلي عقلك، هم ما يدخلون إلىٰ السلطان، ويقولون: قد كتب فلان بما يخالف خطوط الباقين، وإنما يقولون: قد كتب الجماعة، وهذا خط **ابن دقيق العيد**، فأكون أنا السبب الأقوىٰ في قتله، قال: فأبطل إبطاله، وأطفأ مِنْ شواظ نارهم[1].

واستدعىٰ مجدي الدين عيسىٰ بن الخشاب: نائب الحسبة ليأخذ فتوىٰ الفقهاء بأخذ المال مِنَ الرعية للنفقة علىٰ العساكر، فأحضر فتوىٰ الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز بأنْ يؤخذ مِنْ كل إنسان دينار، فرسم له سلّار[2] بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فأبي أنْ يكتب بذلك، فشقّ هذا علىٰ سلار، واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال، وأنَّ الضرورة دعت إلىٰ أخذ مال الرعيّة لأجل دفع العدو، وأراد منه أنْ يكتب علىٰ الفتوىٰ بجواز ذلك، فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوىٰ ابن عبد السلام، فقال: لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتىٰ أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم مِنْ ذهب وفضة وحُليّ نسائهم وأولادهم هم . . . وحلف كل منهم إنه لا يملك سوىٰ هذا، وكان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار مِنْ كل واحد. وأمَّا الآن فيبلغني أنَّ كلًّا مِنَ الأمراء له مال جزيل، وفيهم مَنْ يجهز بناته بالجواهر واللآلئ، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٩).

(٢) **سلّار**: نائب السلطنة. «**تاج العروس**» (**مادة**: سلر)، «**معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**»، ص٧٠، «**المقفّىٰ**» (٦/ ٣٨٥) بواسطة قحطان الدوري «**محقق كتاب الاقتراح**» ص١٤١.

الخلاء مِنْ فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر، وقام عنهم، فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة، ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه مِنْ كل منهم بحسب حاله[1].

وفي سنة ٦٩٧هـ: بعث منكوتمر إلىٰ قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه: أنَّ تاجرًا قد مات، وترك أخًا، ولم يخلف غيره ممن يرثه، وأراد أنْ يثبت استحقاقه الإرث.

بمجرد هذا الإخبار عنه. فلم يوافق قاضي القضاة علىٰ ذلك، وترددت الرسل بينهما، فخرج منكوتمر من ذلك، وبعث إليه الأمير كرت الحاجب، فلما دخل كرت وقف بعدما سلم، فقام له القاضي نصف قومة، ورد عليه السلام وأجلسه. وأخذ كرت يتلطّف به في إثبات أخوة التاجر بشهادة **منكوتمر**، فقال له قاضي القضاة: وماذا ينبني علىٰ شهادة منكوتمر، قال له: يا سيدي، ما هو عندكم عدل. فقال: سبحان الله! ثم أنشد:

يقولون هذا عندنا غير جائز ... ومَنْ أنتم حتىٰ يكون لكم عند

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: والله متىٰ لم تقم عندي بينة شرعية ثبتت عندي وإلَّا فلا حكمت له بشيء، باسم الله. فقام كرت وهو يقول: والله هذا هو الإسلام، وعاد إلىٰ **منكوتمر**، واعتذر إليه بأنَّ هذا الأمر لا بُدَّ فيه مِنَ اجتماعك بالقاضي إذا جاء إلىٰ دار العدل.

فلما كان يوم الخدمة، ومر القاضي علىٰ دار النيابة بالقلعة و**منكوتمر** جالس في الشبّاك تسارعت الحجاب واحدًا بعد آخر إلىٰ القاضي وهم يقولون: يا سيدي الأمير ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك. فلم يلتفت إلىٰ أحد منهم، فلما ألحّوا عليه قال لهم: قولوا له: ما وجبت طاعتك عليَّ، والتفت إلىٰ مَنْ معه مِنَ القضاة وقال: أشهدكم أني عزلت نفسي. باسم الله، قولوا له: يولِّ غيري. وعاد إلىٰ

---

(١) «**السلوك لمعرفة دول الملوك**» (٢/ ٣٢٧).

داره، وأغلق بابه، وبعث نقباءه إلىٰ النواب في الحكم وعقاد الأنكحة يمنعهم مِنَ الحكم وعقد الأنكحة.

فلما بلغ السلطان ذلك أنكر علىٰ **منكوتمر**، وبعث إلىٰ القاضي يعتذر إليه، ويستدعيه، فأبىٰ واعتذر عن طلوعه، فبعث إليه **الشيخ نجم الدين حسين ابن محمد بن عبود والطواشي** مرشدًا، فما زالا به حتىٰ صعدا به إلىٰ القلعة.

فقام إليه السلطان وتلقّاه، وعزم عليه أنْ يجلس في مرتبته، فبسط منديله وكان خرقة كتان خلقة فوق الحرير قبل أنْ يجلس كراهة أنْ ينظر إليه، ولم يجلس عليه.

وما برح السلطان يتلطّف به حتىٰ قبل الولاية، ثم قال له: يا سيدي، هذا ولدك **منكوتمر**، خاطرك معه، ادع له، وكان **منكوتمر** ممن حضر، فنظر إليه قاضي القضاة ساعة، وصار يفتح يده ويقبضها وهو يقول: **منكوتمر** لا يجيء منه شيء، وكرّرها ثلاث مرات، وقام. فأخذ السلطان الخرقة التي وضعها علىٰ المرتبة تبرُّكًا بها، وتفرقها الأمراء قطعة قطعة ليدخروها عندهم رجاء بركتها(١).

وقال الإمام ابن دقيق العيد في مباهلة له بعد البسملة: وَرَدَ علىٰ العبد الفقير **محمد بن علي** مخاطبة الأمير الكبير **سيف الدين**، ووقف عليها وعجب منها لأمرين، ثم إنه ذكر كل فصل ويجيبه عنه، إلىٰ أنْ قال في آخر ذلك: فكتب الأمير إلي كتابًا يكتب إلىٰ مَنْ ليس عنده مِنَ الدِّين شيء، ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد علىٰ ما فعل، وبالجملة فإنَّ الله تعالىٰ أمر نبيّه بالمباهلة والملاعنة في الدين، فقال لأهل الكتاب: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فنتمثل أمر الله لرسوله، ونقول: اللهم يا شديد البطش، يا جبّار، يا قهّار، يا حكيم، يا قوي يا عزيز يا قوي يا عزيز، يا قوي يا عزيز، نُسِبَ إليَّ أكل الحرام مِنَ المدارس الغائبة، وإلىٰ أمور أنت أعلم بسرِّها، فإنْ كان ذلك في علمك صحيحًا فاجعل لعنتك ولعنة ملائكتك والناس أجمعين عليَّ،

(١) «السلوك لمعرفة دول الملوك» (٢/ ٢٩٣)، «مقدمة قحطان الدوري للاقتراح»، ص١٤٢.

وإنْ لم يكن صحيحًا فاجعلها علىٰ مَنِ افترىٰ عليَّ بها، وإنْ كان الولد قد فعل ما قيل مِنْ أخذ البراطيل فاجعلها عليه، وإنْ لم يكن فاجعلها علىٰ مَنِ افترىٰ عليه، فهذا إنصاف وامتثال لما أمر الله به رسوله، وربك بالمرصاد، والشكوىٰ إلىٰ الله الحكم العدل.

فلم يلبث إلَّا أسبوعًا أو أقل أو أكثر حتىٰ قُتل السلطان وحُبس **منكوتمر**، ثم أُخرج مِنْ محبسه وذُبح[1].

ومما يتصل بهذا الباب بسبب: أنه كان يخاطب عامة الناس السلطان فمن دونه بقوله: يا إنسان، وإنْ كان المخاطب فقيهًا كبيرًا، قال: يا فقيه، وتلك كلمة لا يسمح بها إلَّا **لابن الرفعة** ونحوه، وكان يقول **للشيخ علاء الدين الباجي** يا إمام، ويخصه بها[2].

قلت: في ترجمته إطلاق كلمة «يا فقيه» علىٰ جماعة، ومِنْ ذلك ما جاء في قصة تخليصه ابن بنت الأعز مِنْ ضرب العنق، ومنها ما وقع مع رفيقه الدِّشناوي، وسيأتي في غير ما موضع، فكأنها مما يدور ويجري علىٰ لسانه، وهذا يخالف ما حكوه أنه كان لا يسمح بها إلَّا لابن الرفعة ونحوه!

وعلىٰ صلابة الإمام في الحق: فقد أقرَّ له الموافق والمخالف، وعظَّمته الملوك، وكان السلطان لاجين ينزل له عن سريره، ويقبِّل يده[3].

رابعا: الجُود:

نقل عنه مترجموه: أنه لم يكن للدنيا عنده قيمة، وأنه كان سمحًا، جوادًا، سخيًّا، لا سيما علىٰ المشتغلين بطلب العلم، كثير البرّ بهم، والإكرام لهم، ويتفضل عليهم، وقد كان شفوقًا بهم[4].

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦، «**الوافي بالوفيات**» (٤/١٣٨)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢).

(٣) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٤) «**الوافي بالوفيات**» (٤/١٣٨)، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٦.

وكان يقول: ضابط ما يُطلب مني أنْ يجوز شرعًا، ثم لا أبخل[1].

يقول تلميذه علاء الدين القونوي: أنه كان يعطيه في كثير مِنَ الأوقات الدراهم والذهب[2].

وحكىٰ الشيخ نجم الدين محمد بن عقيل البالسي: أنه قدم في الجفل، فحضر عنده وتكلم، فأرسل إليه مائتي درهم، ثم ولاه النيابة بمصر[3].

يقول محمد بن الحواسيني الفرضي القوصي، وكان من طلبة الحديث، وأقام بالقاهرة مدة في زمن الشيخ: كان الشيخ يعطيني في كل وقت شيئًا، فأصبحتُ يوما مفلسًا، فكتبت ورقة وأرسلتها إليه، فيها: «**المملوك محمد القوصي أصبح مضرورًا**»، فكتب لي بشيء، ثم ثاني يوم كتبتُ: «**المملوك ابن الحواسيني**»، فكتب لي بشيء، ثم ثالث يوم كتبتُ: «**المملوك محمد**»، فطلبني وقال لي: **من هو ابن الحواسيني؟** فقلتُ: المملوك، قال: **ومَن هو القوصي؟** قلتُ: المملوك، قال: **تدلس علي تدليس المحدثين؟** قلتُ: الضرورة، فتبسّم، وكتب لي[4].

خامسا: التواضع:

هذا ظاهر في قصصه وحكاياته، ومنها ما سبق في القصة السابقة، وقد حكوا عنه: أنه ما كان يعجبه قول مَنْ يقول: «**قاضي القضاة الشافعي**»، فإذا قلنا: «**قاضي القضاة الشافعية**» قال: إنه هذا[5].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٧، «**رفع الإصر**»، ص٣٩٦.
(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦.
(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦.
(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦، ٥٧٧.
(٥) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٠).

وقد تجلَّىٰ تواضعه عند اجتماعه بابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1] **في سنة ٧٠٠هـ**: فإنه لما قدم التّتار للغزو، قدم **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ مصر محرِّضًا علىٰ القتال، وكان شابًّا دون الأربعين، وكان **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ في نهاية عمره، وهو قاضي القضاة، ولا أحد يتقدّمه، ومع ذلك كله، فإنه اكتفىٰ بسماع كلام هذا الشاب، ولو كان غيره فلربما حسده، أو أغاظه دخوله في حشمة سلطانه، ومزاحمته علىٰ منزلته، وقد سألوه عن **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ بعد انقضاء المجلس فقال: هو رجل حُفَظَة[2]، قيل له: **فهلا تكلمت معه؟** فقال: هذا رجل يحب الكلام، وأنا أحب السكوت! ثم قال **لابن تيمية**: ما كنتُ أظن أنَّ الله بقي يخلق مثلك![3].

وقال أيضًا: لما اجتمعت **بابن تيمية** رأيت رجلًا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد[4].

وقد كتب إليه الإمام محيي الدين النووي مستشهدا ببيتين للبحتري:

شكرتك إنَّ الشكر للسيد نعمة ... ومن يشكر المعروف بالله زائده
لكل زمان واحد يقتدىٰ به ... وهذا زمان أنت لا شك واحده

وسبب ذلك: أنَّ **الإمام النووي** بلغه أنه قيل **لابن دقيق العيد**: **لم لا تصنف في الفقه؟** فقال: قد صنَّف **الشيخ محيي الدين النووي** ما فيه كفاية، أو كما قال: ومثل هذا ما حُكي أيضًا أنَّ **الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي** قيل له: **لم لا تصنف في التفسير؟** فقال: يكفي ما صنّف فيه شيخنا **الإمام أبو الحسن الواحدي** رحمة الله عليهما[5].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْميَّة، أبو العباس تقي الدين الحراني. شيخ الإسلام. وُلِدَ سنة ٦٦١هـ. سمع ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر. كان آيةً في الذكاء. له: التدمريّة، والاستقامة. توفي مسجونًا سنة ٧٢٨هـ. «**السير**» (٢٣/ ٢٩١)، «**الوافي بالوفيات**» (٧/ ١١).

(٢) رَجُلٌ حُفَظَةٌ: أي كثِيرُ الحِفْظ. «**تاج العروس**» (٢٠/ ٢٢٢).

(٣) «**العقود الدرية**» ص١٣٥، «**البداية والنهاية**» (١٨/ ٢٩).

(٤) «**الرد الوافر**» (ص: ٥٩).

(٥) «**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**» (٢/ ١٥٥).

وللإمام ابن دقيق العيد: اطلاع حسن علىٰ كتب معاصريه، وممن هم أصغر منه سنًّا، **كالإمام النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ الذي تقدم ذكره، وله نقولات عنه في مصنفاته.

كما أشار في مقدمة شرحه «**لمختصر ابن الحاجب الفرعي**» إلىٰ استفادته مِنَ المتأخرين، ومِنْ جملتهم أهل عصره، يقول في ذلك: ثم إنَّ لأهل عصرنا وما واتاه: نكتا رشيقة، وطرقًا روضاتها أنيقة أخذوا فيها مأخذ الإعراب، وأبدوا عرائسها كالكواكب الأتراب، وأملوا الإبداع فأدركوا التأميل، وظفروا فيه بالمعلىٰ لما أرسلوا أقداح المجيل، إلَّا أنَّ أكثرهم: أُولع مِنْ تعبير المبين، وبالغ في إغلاقها حتىٰ لا تكاد تبين، إنما هو جدال كالجلاد، وخيال تزخرفه الألسنة الحداد، فلم أرَ إخلاء هذا الكتاب عن شيء منها، ولا استحسنت مع ظرافها أنْ أعرض بالكلية عنها فكسوت بعض المسائل الفقهية ذلك الوشي المرقوم، وأنفت أنْ يضحي صاحب هذه الصنعة بأثر مِنْ رزقها محروم، ولم أبالغ في الإغلاق والإبهام، ولا أكثرت مِنْ هذا النوع، فإنه خروج عن المصطلح في كتب الأحكام[1].

سادسًا: الإنصاف:

نص علىٰ ذلك مترجموه، وحكوا صورًا عديدة مِنْ إنصافه، منها أنه كان عديم البطش، قليل المقابلة علىٰ الإساءة، مع كونه قاضي القضاة الشافعية في الديار المصرية[2].

ونقلوا عنه في ذلك قصصًا مشهورة:

يقول الشيخ تاج الدين الدِّشناوي: خلوتُ به مرة، فقال: **يا فقيه، فزتَ برؤية الشيخ زكي الدين عبد العظيم؟** فقلتُ: وبرؤيتك، فكرَّر الكلام، فكررتُ

(١) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢٤١).

(٢) «الطالع السعيد» ص٥٩٦، «رفع الإصر» ص٣٩٦.

الجواب، فقال: كان الشيخ زكيّ الدِّين أدينَ مني، ثم سكت ساعة وقال: غير أني أعلم منه![1].

ومنها: أنَّ **برهان الدين المصري الحنفي** الطبيب كان قد استوطن قوص سنين، قال: كنتُ أباشر وقفًا، فأخذه مني **شمسُ الدين محمد ابن أخي الشيخ**، وولَّاه لآخر، فعزَّ عليَّ، ونظمتُ أبياتًا في الشيخ، فبلغته، فأنا أمشي مرة خلفه، وإذا به قد التفت إليَّ وقال: يا فقيه، **بلغني أنك هجوتني؟** فسكتُّ زمانًا، فقال: أنشدني، وألحَّ عليَّ، فأنشدته:

وَلِيتَ فولىٰ الزهد عنك بأسره ... وبان لنا غير الذي كنتَ تظهر

وكنتَ إلىٰ الدنيا وعاشرتَ أهلها ... ولو كان عن جبرٍ لقد كنتَ تعذر

فسكتَ زمانًا، وقال: **ما حملك علىٰ هذا؟** فقلتُ: أنا رجلٌ فقير، وأنا أباشر وقفًا أخذه مني فلان، فقال: ما علمتُ بهذا، أنت علىٰ حالك، فباشرتُ الوقف مدة، وخطر لي الحج، فجئت إليه أستأذنه، فدخلتُ خلفه، فالتفت إلي وقال: **أمعك هجوٌ آخر؟!** فقلت: لا، ولكني أريد الحج، وجئتُ أستأذن سيدي، فقال: مع السلامة، ما نغيِّر عليك.

وقال عبد اللطيف ابن القفصي: هجوتُه مرة، فبلغه، فلقيته بالكاملية، فقال: بلغني **أنك هجوتني**، **أنشدني!** فأنشدته:

قاضي القضاة عزل نفسه ... لما ظهر للناس نحسه

إلىٰ آخرها، فقال: هجوتَ جيدا![2].

وكان مِنْ إنصافه رَحِمَهُ اللهُ: أنه كان ليِّن الكلام في نقاشه مع مخالفيه، ولم يكن خشن العبارة، بل لك أنْ تقول: إنَّ الاعتذار لمن أخطأ منهم هي سيماه وشغله[3].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٤.

(٣) ينظر: «**الإمام**» (١/ ١٣٨، ١٩٠، ١١/ ٧٤).

ومِن أقواله التي تدل علىٰ مدىٰ أدبه مع مخالفيه: «وليس حسنٌ منه الجزم»[1].

«وذهب علىٰ الطبراني علىٰ تبحره وسعة روايته: رواية مروان بن محمد . . . ولا إحاطة بالعلم لبشر»[2]، «ليس الأمر كما قال ابن منده وإنْ كان بحرًا مِنْ بحور هذه الصنعة»[3].

وقد تعقب ابنَ القطان الفاسي في لغة انتقاده لعبد الحق الإشبيلي، فقال: «لكنه في بعض ألفاظه خشن، ولو ترك ذلك في حق هذا الرجل الصالح لكان حسنا»[4].

وقد جعل هذا منهجًا عامًّا له في التصنيف، يقول في مقدمة شرحه «لمختصر ابن الحاجب الفرعي»: لا ألتزم فساد الذم عند المخالفة بمثله، ولا أضع شخصًا تقدّم مني ذكر فضله، ولا أسلك طريق اليمن، فإنْ رضيت مَدَحت، وإنْ سخطت قَدَحت، ولا أتهافت، فإنْ فعلت، فما أنصفت نفسي ولا نصحت، فلقد فعل ذلك قوم، أوجبوا السبيل إلىٰ ذمهم، فأقرّوا عند ذكر العيوب عين خصمهم، فأطال عليهم في التشنيع، وبدّد بسوء ذلك الصنيع، ونسب إليهم مجاولة تغليط الناظر، وتوهّم فيهم أنَّ المقصود المغالبة في الوقت الحاضر، ولا ضرورة تدعو إلىٰ ذلك، ولا حاجة إلىٰ سلوك هذه المسالك[5].

ومما يتعلق بهذا: أنه قد حفَّ به جمع مِنْ طلاب العلم، وعُرِضت عليه ورقة سُئِل فيها عن البسملة في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وكان السائل فيما

---

(١) ينظر: **«الإمام»** (١/ ١٣٨).

(٢) ينظر: **«الإمام»** (١/ ١٩٠).

(٣) ينظر: **«الإمام»** (١١/ ٧٤)

(٤) **«الإمام»** (٣/ ١٦٠)، وينظر **«مقدمة محقق كتاب الإمام»** فمنه استفدت هذه النقولات: **«الإمام»** (١/ ١٣٨).

(٥) **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** للسبكي (٩/ ٢٤٢).

يظنه **ابن رشيد** مالكيًّا، فمال الشيخ في جوابه إلىٰ قراءتها للمالكي، خروجًا مِنَ الخلاف في إبطال الصلاة بتركها، وصحتها مع قراءتها.

فقال له **ابن رشيد**: يا سيدي، أذكر في المسألة ما يشهد لاختياركم. فقال: **وما هو؟** فقلت: ذكر **أبو حفص**، وأردت أنْ أقول: **الميَّانشي**، فغلطت، وقلت: **ابن شاهين**، قال: صليت خلف **الإمام أبي عبد الله المازري**، فسمعته يقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ١-٢]، فلما خلوت به قلت له: يا سيدي، سمعتك تقرأ في صلاة الفريضة كذا. فقال لي: **أوقَدْ تفطنت لذلك يا عمر؟** فقلت له: يا سيدي، أنت إمام في مذهب **مالك**، ولا بُدَّ أنْ تخبرني، فقال لي: اسمع يا عمر: قول واحد في مذهب **مالك**: إنَّ مَنْ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة لا تُبطل صلاته، وقول واحد في مذهب **الشافعي**: إنَّ مَنْ لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم بَطُلت صلاته، فأنا أفعل ما لا تبطل به صلاتي في مذهب إمامي، وتبطل[1] في مذهب الغير، لكي أخرج مِنَ الخلاف.

قال ابن رشيد: فتركني شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتىٰ استوفيت الحكاية، وهو مصغٍ لذلك. فلما قطعتُ كلامي قال: هذا حسن، إلَّا أنَّ التاريخ يأبىٰ ما ذكرت، فإنَّ **ابن شاهين** لم يلق **المازري**. فقلت: إنما أردت الميَّانشيّ. فقال: الآن صح ما ذكرته[2].

---

(١) أي أن البسملة إذا تركتها بطلت صلاتي في مذهب الغير، وإذا فعلتها لم تبطل في مذهبي، ولذا فأنا أفعلها.

(٢) «**ملء العيبة**» (٣/ ٢٤٥-٢٤٧)، «**مقدمة قحطان الدوري لكتاب الاقتراح**» ص٨١، ٨٢.

سابعًا: عِزة النفس:

وقصصه تحكي بذلك:

ومنها: أنه لما وصل **الشيخ شرف الدين المرسي** إلىٰ قوص قرأوا عليه شيئًا مِن النحو، فسألهم عن سؤال فسكتوا، فقال: أراني أتكلم مع حمير!؟ فلم يعد الشيخ تقي الدين إليه بعدها[(١)].

ومنها: أنه لعب «الشطرنج» في صباه، مع زوج أخته الشيخ تقي الدين ابن الشيخ ضياء الدين، فأذنوا بالعشاء، فقاما فصليا، ثم قال الشيخ: نعود، فقال صهره: إنْ عادت العقرب عدنا لها[(٢)]، فلم يعد يلعبها[(٣)].

ثامنا: الوسوسة:

مع كون **ابن دقيق العيد** الإمام المجتهد، الذي لم يُرَ في عصره مثله، ولا قبل ذلك بسنين، وأنه كان النهاية في الذكاء واللوذعية، إلَّا أنه مع كل ذلك وأكثر، فقد كان مبتلىٰ في شؤون الطهارة والعبادات حتىٰ كان موصوفًا بأنه كان في نهاية الوسوسة!![(٤)].

لقد قهره الوسواس في أمر المياه والبعد عن النجاسة متشددًا في ذلك، وله في ذلك حكايات ووقائع عجيبة، نذكر منها ما يلي[(٥)]:

تقول زوجة والده (أم أخيه الشيخ تاج الدين بنت التيفاشي): لما بنىٰ عليَّ أبوه كان ابنَ عشر سنين، فرأيته ومعه هاون وهو يغسله مرات زمنًا طويلًا، فقلت

---

(١) **«الطالع السعيد»** ص٥٨٢.

(٢) هذا صدر بيت:

إن عادت العقرب عدنا لها   وكانت النعل لها حاضرة

لسان العرب (**مادة**: عقرب).

(٣) **«الطالع السعيد»** ص٥٨٢.

(٤) **«تذكرة الحفاظ»** (٤/ ١٨٢).

(٥) **«الطالع السعيد»** ص٥٧١، **«الوافي بالوفيات»** (٤/ ١٣٨).

لأبيه: **ما هذا الصغير يفعل؟** فقال له: **يا محمد، ما تفعل؟** فقال: أريد أنْ أركب حبرا، وأنا أغسل هذا الهاون![1].

ولعل هذا وراثة: فقد كان جدّه لأمّه **الشيخ تقي الدين** المقترح الأصولي المشهور يشدد ويبالغ في الطهارة، كما سبق الإشارة إلىٰ ذلك[2].

وكان من شدة وسواسه: أنه ما كان يجلس علىٰ جوخ[3] ولا يقربه، وكان في بعض الأيام طلع إلىٰ **السلطان حسام الدين** وهو جالس علىٰ طراحة جوخ، فجلس معه عليها، وقضىٰ شغله، وعاد إلىٰ بيته، ونزع كل ما عليه وغسله. فقالوا له: يا سيدي لا كنت جلست عليها، فقال: فكرت إنْ جلست دونه أكن قد أهنت منصب الشرع، وهو أمر ما يزول، فجلست معه، وغسلت ما علي، فزال.

وقيل: إنَّ **الشيخ تقي الدين** امتنع مِنْ أكل الحلوىٰ، فقيل له في ذلك، فقال: لأني رأيت يومًا بعض الصناع يحرك دست حلوىٰ، ثم إنه أراق ماءً ولم يستنجِ. وقيل: إنه كان يغسل الحلوىٰ ويأكلها[4].

قال العبدري: كان يأتي إلىٰ جابية الماء في شدة البرد، فينغمس فيها بثيابه لأقل وسوسة تعتريه، حتىٰ أثَّر ذلك في ضعف قوته، ولاح أثره في اختلال صحته.

وقال أيضا: ورأيته وهو يملي عليَّ مِنْ حديثه، يمسك الكتاب بعودين، ولا يمسه بيده، ويعاني تصفحه كذلك، فيكابد منه شدة لهبها يضرم، وحبل الراحة لأجلها يصرم، ويحل بالكتاب منه العذاب المهين والبلاء المبرَم[5].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٧١، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

(٢) «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢).

(٣) سبق تفسيرها، وهي نسيج مِنْ صُوفٍ غليظ.

(٤) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧).

(٥) «**رحلة العبدري**» ص٣٠٠، ٣٠١.

ومن جملة ما يصحبه من الوسواس: أنه لا يمس منه عضو ولا لباس، بل يقتصر الوارد عليه علىٰ الإشارة بالسلام إليه، وحطِّ الرأس علىٰ العادة الذميمة بين يديه[١].

وقد لاحظ هذا التجيبي السبتي، وتعجَّب له، فسجَّله في قصة رحلته «مستفاد الرحلة والاغتراب»، يقول: قد التزم التشديد والتضييق علىٰ نفسه في العبادات، وبالغ في ذلك حتىٰ ربما أفضىٰ به الأمر إلىٰ وسواس يعتريه في خاصة نفسه، لا يفتي به الناس، فتلحقه منه مشقة عظيمة.

رأيته يومًا وقد قام لصلاة العصر، فلما أراد أنْ يرفع يديه ليكبر تكبيرة الإحرام لم يقدر إلَّا بعد الجهد إجلالا لاسم الله تعالىٰ فيما أحسب، فارتعدت فرائصه، حتىٰ ذعرت من حاله، وهالني أمره، وأشفقت منه.

ولقد غلب عليه هذا الأمر في كثير مِنْ حاله، فلا يكاد يمس ثوبُه ثوبَ غيره لفرط تحفظه، ولا تطيب نفسه بالجلوس في موضع جلس فيه غيره، إلَّا أنْ يبسط له فيه بساط يخصّه.

ورأيت حاجبه يضع له حصيرًا طويلًا يمتد مِنْ باب القاعة التي يسكن بها في الكاملية، إلىٰ الموضع الذي يقعد فيه لإلقاء الدروس، ولا يمشي عليه غيره، ويضع له عند آخره سجادا، ويخرج هو فيضع علىٰ السجادة سبنية يمنية[٢]، وحيئنذ تطيب نفسه بالقعود عليه.

وآنيته التي يشرب منها محمية عن غيره، طلبتُ يومًا مِنْ خادمه أنْ يناولنيها لأسكب منها ما أضخ به دواتي، قبل أنْ أعلم مِنْ حاله ما علمت، فلم يفعل خوفًا منه، وأفرغ لي منها في دواتي مِنْ غير أنْ يلصقها بها، وكذلك آنيته التي يتوضأ منها ممنوعة مِنْ سواه، لا يشاركه في استعمالها أحد.

---

(١) «**رحلة العبدري**» ص٣٠٠.

(٢) **السَّبَنِيَّةُ**: ضرْبٌ مِنَ الثياب تتخذ مِنْ مُشاقة الكتان أَغلظ ما يكون. قال **ابن سيده**: وبالجملة فإِني لا أَحْسبها عربية. لسان العرب (**مادة**: سبن).

وأمرني يومًا أنْ أبري له قلمًا، ولما بريته دفعته إليه، فأمرني أنْ أحطه بالأرض، حتىٰ جاءه خادمه المختص به، المؤتمن عنده لهذا الشأن، فأمره بغسله، وحينئذ تناوله مع اعتقاد طهارة يدي وبدني؛ لأني لم أبرح مِنْ ذلك المجلس مِنْ بين يديه حتىٰ حضرت وقت صلاة مِنَ الفرائض، فأمرني أن أتقدم للصلاة به، فلم أفعل(١).

وقد ظل الإمام مقهورا بالوسواس حتىٰ وجد نفسه وهو إمام الأئمة ومجدد الملة يشكو إلىٰ بعض الفقراء مِنْ أرباب القلوب: وسوسةً يجدها في صلاته، فقال له: أفٍّ لقلب يكون فيه غير الله، فقال **ابن دقيق العيد**: هذا الفقير المذكور هو عندي خير مِنْ ألف فقيه(٢).

قلت: هذه القصة توحي بأنَّ الإمام قد أيس مِنْ أجوبة الفقهاء، فتعلق بأجوبة العارفين لعلها تكون سلوة له عما هو مغموم فيه.

فائدة: هذه الحال الغريبة في ابتلاء الشيخ بالوسواس، لم تكن حاجزًا عن تحريره النظري للمسألة، فقد قعَّد لذلك قاعدة، بيَّن فيها ببراعة فرقا عسرًا، بين الوسواس والورع، وأنَّ المتساهل يجعل بعض الورع وسواسًا، والمتشدد يجعل بعض الوسواس ورعًا، وبيَّن أن الصراط المستقيم دحض مزلة، وأنه مما ينبغي أن يفرق به بينهما: أنَّ كل ما رجع إلىٰ الأصول الشرعية فليس بوسواس، يقول: ولا أريد الأدلة الشرعية البعيدة العموم(٣).

وفي هذا المبحث فائدة أخرىٰ: وهو أنَّ الشخص مهما بلغ مِنَ الفضل والإمامة؛ فإنه يبقىٰ ناقصًا يعتريه نقص البشر، فها هو **الإمام ابن دقيق العيد** ينحط مِنْ سدة قاضي القضاة وواحد الزمان إلىٰ مستفتٍ حائر يبحث عما يسد عوز نفسه المصابة بمرض الوسواس! والكمال لله وحده، سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص١٧.

(٢) «**مرآة الجنان**» (٤/ ١٧٧).

(٣) «**شرح الإلمام**» (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥).

وقد كنتُ - مثل زوجة أبيه- محتارا في وسوسته وأراه يَفْرِي فَرْيَ العباقرة؛ واليوم أراني قد اعتدت علىٰ ذلك، فـ (العقل) أمره عجيب، وهو عبد مأمور لـ (النفس)، خاضع لسلطانها، مهما أبَقَ لم يلبث إلا وتجده مكسوفا قد ندم وآب.

وقد أحسَّ ابن دقيق العيد بمبالغته في الوسوسة، أو أنه تُكلم فيه أو أنه نُوقش في ذلك، فقال مرّة وكأنه يدافع عن نفسه في مبالغته في الطهارة:

يُجعل غسل البراجم أصلا لغيره، وعُدِّي عن محل النص بالمعنىٰ، فأُلحق به ما يلتحق من الوسَخ بمعاطف البدن وقعر الصِّماخ فيزيله بالمسح، لأنه رُبَّما أضرتْ كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع داخل الأنف، وكذلك جميع الوسَخ علىٰ أي موضع كان من البدن بالغبار والعرَق ونحوهما، وكثير من هذا بالقياس، والله أعلم.

وهذا الأمر يدل علىٰ تعظيم أمر الطهارة والاحتياط لها؛ لأن ما يجتمع في البراجم من الأوساخ قدرٌ يسير، وتحريكها وغسلها في الوضوء يزيل كثيرًا منه، **فإذا أخذنا بالإطلاق، دلَّ ذلك علىٰ شدة الاعتناء بالطهارة لأنه ربما يُتَوهَّم أن ذلك داخل في باب التنطُّع والتقزُّز، وقد دلَّ الشرع علىٰ إبطال هذا الوَهْم**، هذا إذا حُمل علىٰ الإطلاق دون التقييد بحالة اجتماع الوسخ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ[(١)].

تاسعا: الفصاحة والأدب وعُذُوبة الشعر:

أمَّا الفصاحة: فأقصىٰ ما وصلتُ إليه، هو ما قاله **أثير الدين ابن حيان** رَحِمَهُ اللهُ لتلميذه **خليل بن أيبك الصفدي** رَحِمَهُ اللهُ: لم أرَ بعد **ابن دقيق العيد** أفصح مِنْ قراءتك[(٢)]، وهذا يدل علىٰ مدىٰ فصاحة **ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللهُ: لا سِيَّما إذا أخذنا

---

(١) شرح الإلمام (٣/ ٣٣٤).

(٢) «**الوافي بالوفيات**» (٥/ ١٧٦).

بالاعتبار تقدُّم **ابن حيان الأندلسي**، فقد كان في زمانه إمام الدنيا في اللغة العربية، ولا يُذكر معه في ذلك مِنْ أقطار الأرض غيره[1].

وأمَّا الأدب: فقد كان للإمام **ابن دقيق العيد** باع وِساع[2]، وكرم طِبَاع، لم يخلُ في بعضها مِنْ حسن انطباع، وقد نص مترجموه: أنه كان أديبًا، نحويًّا، شاعرًا، ناثرًا، غوّاصًا علىٰ المعاني[3]، حتىٰ قال فيه **الشهاب محمود الكاتب**[4]: لم ترَ عيني آدب منه[5].

يقول الصفدي: ناهيك بمن يقول شهاب الدين محمود في حقِّه هذا[6].

وقال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس -وكان بابن دقيق العيد خصيصًا-: كان **الشيخ تقي الدين** ممتَّعًا؛ إذا فُتح له بابٌ انقضت تلك الليلة في تلك المادة حتىٰ في شعر المتأخرين والعصريين[7].

ومما يدل علىٰ تقدُّم الشيخ تقي الدين في الأدب: أنَّ **زكي الدين عبد العظيم بن أبي الأصبغ**[8]، قال: ذكرتُ للفقيه الفاضل **تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري** أبقاه الله تعالىٰ، وهو مِنَ الذكاء والمعرفة علىٰ حالة لا أعرف

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٧٥).

(٢) يعني ذِكرًا منتشرًا.

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٤) محمود بن سلمان الدمشقي، أبو الثناء شهاب الدين الكاتب. ولد سنة ٦٤٤هـ. تأدّب علىٰ ابن مالك، ولازم ابن الظهير. كان بديع الكتابة. توفي سنة ٧٢٥هـ. له: مقامة العشاق، وحسن التوسل. «**فوات الوفيات**» (٤/ ٨٢)، «**الأعلام**» (٧/ ١٧٢).

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩، ٥٧٠، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٤)، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٣١٨).

(٦) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٩).

(٧) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٩).

(٨) عبد العظيم بن عبد الواحد، زكي الدين ابن أبي الأصبغ. ولد سنة ٥٩٥هـ. كان متفننا، بارعًا، أديبًا، بليغًا. له: البديع. توفي سنة ٦٥٤هـ. «**تكملة إكمال الإكمال**» ص٩، «**المنهل الصافي**» (٧/ ٣٠٧).

أحدًا في زمني عليها، وذكرت له عدة وجوه المبالغة فيها، وهي عشرة ولم أذكرها مفصّلة، وغبت عنه قليلًا، ثم اجتمعت به، فذكر لي أنه استنبط فيها أربعة وعشرين وجهًا مِنَ المبالغة، يعني في قوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٦]، فسألته أنْ يكتبها لي، فكتبها بخطه، وسمعتُها منه بقراءتي، واعترفتُ له بالفضل في ذلك.

وقد عاش **الشيخ تقي الدين** بعد **ابن أبي الأصبغ** زيادة علىٰ أربعين سنة[١].

وقد كان الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خفيف الروح، لطيفًا علىٰ نُسُك وورع ودين متَّبع، ينشد الشعر بأصنافه، وكان يستحسن ذلك.

وحكىٰ الأديبُ الثقةُ مجير الدين عمر ابن اللمطي فقال: كنا نتحدث عنده بالليل، وكنا نسمع بمغنية يقال لها جارية النطاع، وأنها تغني غناء في غاية الحُسن، فكنا نشتهي أن نسمعها، فجاءنا شخص مرة وقال: هي الليلة تغني في المكان الفلاني، احضروا في أول الليل، فصلينا مع الشيخ، وقمنا، وتوجهنا إلىٰ المكان، وسمعناها، ثم جئنا، وصرنا ندخل قليلا قليلا حتىٰ لا يشعر بنا، فيعرف الخبر، وينكر علينا، فعرف بنا، فقال: ما بالكم؟! أخبروني، فأخبرته أنا الخبر، فقال: يا فقيه، أمرها خفيف عندي[٢].

وقال الشيخ لفتح الدين ابن سيد الناس: ما يعجبُك أن تكون عندك عوَّادة؟ فقلت: ما أكره ذلك، وأنشدته لبعضهم:

غنَّتْ فأخفتْ صوتَها في عُودها ... فكأنَّما الصوتان صوتُ العُودِ
هيفاءُ تأمر عُودَها فيطيعُها ... أبدا ويتبعُها اتباعَ وَدُودِ
وكأنَّما الصوتان حين تمازَجا ... بنتُ الغمامة وابنةُ العُنقودِ

فقال: أعده علي، فأعدته حتىٰ حفظه.

قلت: مسألة الغناء بالمعازف مِنَ المسائل المشهورة، والمنع فيها مشهور

---

(١) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٥).

(٢) «**الطالع السعيد**»، ص٥٨٤.

عن جمهور الفقهاء، وحكَوْا في ذلك الإجماع، والترخيص فيها هو مذهب أهل الظاهر، وطائفة من المتقدمين والمتأخرين.

وعمومًا فمثل هذه الإجماعات الظنية التي تُحكىٰ مع وقوع الخلاف، فإنها تبقىٰ لونًا مِنَ الاجتهاد الذي يجوز فيه الخطأ والصواب، فإذا نُقض بإثبات الخلاف أو وقوع النص علىٰ خلافه، فإنَّ المسألة تتردَّد حينئذ بين ظنٍّ وقوع الإجماع وبين ظنِّ صحة الدليل، وكل موقف له تقديره المناسب ووزنه الخاص؛ ولذا فلا ينبغي للطرف الذي حُكيَ الإجماع في كفته أنْ ينقل المسألة إلىٰ ثنائية الهدىٰ والضلال، أو السُّنَّة والبدعة، فلكل مقام أوصافه.

وقال أثير الدين أبو حيان: رآني مرة ومعي شاب أَمْرَد أتحدث معه، فقال: يا **أبا حيان، أنت تحبه؟** فقلت: نعم، فقال: أنتم، يا أهل الأندلس فيكم خَصلتان: محبّتكم الشباب، وشربكم الخمر، فقال: أمَّا الخمر فوالله ما عصيتُ الله به، وأمَّا الشباب فلا شك أنَّ أهل مصر أفسقُ منّا! قال: فتبسم.

وأنشده أبو حيان:

علىٰ قَدْرِ حُبِّي وافاني الصبرُ ... فلستُ أبالي كان وصلُك أم هَجْرُ
وما غَرَضِي إلا سلامٌ ونَظرةٌ ... وقد حصلا والذُّلُّ يأنفه الحُرُّ
سَأَسْلُوكَ حتىٰ لا أراك بناظِري ... وأنساكَ حتىٰ لا يمرُّ بك الفِكْرُ

فقال: أعده لي، فأعدته عليه حتىٰ حفظه[1].

قال القاضي شهاب الدين محمود: قال لي **الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد** يومًا قول **أبي الطيب**:

لَو كان صادَفَ رأسَ عازرَ سَيْفُه ... في يَوم معركةٍ لأعيَىٰ عِيسىٰ

في هذا شيء غير إساءة الأدب، ففكرت ساعة، ثم قلت: نعم كون الموت ما يتفاوت إنْ كان بالسيف أو غيره، فالإحياء مِنَ الموت سبيل واحدة. فقال: أحسنت يا فقيه.

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٤.

يقول الصفدي: هذه المؤاخذة لا تصدر إلَّا مِنْ أديب كبير **كالجاحظ** أو غيره[1].

ومن طريف ما يُحكىٰ عنه: أنَّ **الصباغ الأدفوي**[2]، نَظَمَ مرةً قصيدة -وكان يُغرِب- ثم إنه أنشدها **الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد**، فقال له: **هذه اللغة جمعتها مِنَ الكُوم**[3]؟!![4].

وذكر جماعة من المتأخرين أن الشريف تقي الدين الحسيني نظم قوله:

مَجازٌ حقيقتُها فاعبُروا ... ولا تعمُروا هَوِّنُوها تَهُنْ
وما حُسن بيتٍ له (زُخْرُفٌ) ... تراه (إذا زُلزلت) (لَمْ يكُنْ)

ثم توقف؛ لأنه استعمل هذه الألفاظ القرآنية في الشعر، فجاء إلىٰ **الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد** ليستفتيه عن ذلك، فلما أنشده إياهما قال له الشيخ قل: (وما حُسن كهف)، فقال: يا سيدي، أفدتني، وأفتيتني[5].

شعره ونثره:

أمَّا شعر **الإمام ابن دقيق العيد** ففي غاية الحسن والانسجام والعذوبة، وصحة المقاصد، وغوص المعاني، وجزالة الألفاظ، ولطف التركيب، فله النظم الفائق، المشتمل علىٰ المعنىٰ البديع، واللفظ الرائع السهل الممتنع، والمنهج المستعذب، والذي يصبو إليه كل فاضل، ويستحسنه كل أديب كامل[6].

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٩).

(٢) أبو القاسم بن سليمان بن قاسم الصباغ الأدفوي. تجرَّد وتعبّد مدة، وقرأ علىٰ مجد الدين ابن دقيق العيد، ثم بنىٰ رباطًا بأدفو. كان عليه سمت الصالحين. وكان ينظم عجبا بلُغَة غَرِيبَة. توفي ببلده سنة ٦٩٤هـ. «**الوافي بالوفيات**» (٢٤/ ٩٣).

(٣) الكُوم: جمع كومة، وهو تراب مجتمع، ويكون مِنَ الحجارة والرمل. «**لسان العرب**» (مادة: كوم).

(٤) «**الوافي بالوفيات**» (٢٤/ ٩٣).

(٥) «**الحاوي للفتاوي**» للسيوطي (١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٦) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٩، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

فمن نظمه: ما أنشده أبا القاسم التجيبي في أول ليلة رآه فيها:

تمنيت أنَّ الشيبَ عاجلَ لمّتي   وقرَّب مني في الشباب مزارَه
لآخذ مِنْ عَصْر الشباب نشاطه   وآخذ من عَصْر المشيب وقارَه[1]

ومن مشهور شعره:

لعمري لقد قاسيتُ للفقر شِدةً   وقعتُ بها في حَيرة وشَتاتِ
لآخذ من عَصْر الشباب نشاطه   وآخذ من عَصْر المشيب وقارَه
فأعظم به من نازلٍ بمُلِمَّةٍ   يزيلُ حيائي أو يزيلُ حياتي[2]

ومنه:

الحمد لله كم أسمو بعزمي   في نيل العُلَىٰ وقضاء الله ينكسهُ
كأنني النجمُ يبغي الشرقَ والفلك الـ   أعلىٰ يعارض مسراه فيعكسه

قال الصفدي: هذا مثل قول الأرجاني:

سَعْيِي إليكم في الحقيقة والذي   تجدون عنكم فهو سعي الدهر بِي
أنحُوكمُ ويرد وجهي القهقرىٰ   دهري فسيري مثل سيرِ الكوكبِ
فالقصد نحو المشرق الأقصىٰ له   والسير رأي العين نحو المغربِ

قال الصفدي: إلَّا أنَّ هذا المعنىٰ الذي أتىٰ به **الشيخ تقي الدين** في بيتين فهو أخصر.

ومنه:

يهيم قلبي طربا عندما   أستلمحُ البرقَ الحجازيا
ويستخفُّ الوجدُ قلبي وقد   أصبح لي حسنُ الحِجىٰ زيَّا
يا هَلْ أقضِّي حاجتي من منىٰ   وأنحر البُزلَ[3] المهاريَّا[4]

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٣، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٤).

(٢) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠١)، «**فوات الوفيات**» (٣/ ٤٤٤).

(٣) جمع بازل، وهو البعير يستوي فيه الذكر والأنثىٰ، مَنْ بزل البعير بزولا إذا فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة. «**لسان العرب**» (مادة: بزل).

(٤) **الإبل المَهرية**: منسوبة إلىٰ مهر بن حيدان، والجمع مهاري. لسان العرب (**مادة**: مهر).

وأرتـوي مـن زمـزم فـهـو لـي ... أرق مـن ريـق الـمَـهـا رِيًّـا[1]

ومِنْ أعذبه:

كـم لـيـلـة فـيـك وصـلـتُ الـسُّـرىٰ ... لا نـعـرف الـنـوم ولا نـسـتـريـحْ
قـد كـلَّـت الـعـيـس بـجـدّ الـهـوىٰ ... واتـسـع الـكـرب وضـاق الـفـسـيـحْ
وكـادت الأنـفـس مـمـا بـهـا ... تـرهـق والأبـدان مـنـا تـطـيـحْ
واخـتـلـف الـرفـقـة مـاذا الـذي ... يـرد مـن أنـفـسـهـم أو يـريـحْ
فـقـيـل تـعـريـسـهـم سـاعـة ... وقلت بل ذكراك وهو الصحيحْ[2]

قال الصفدي: لا أعرف لأحد مِنَ المتقدمين ولا مِنَ المتأخرين حسن هذا المخلص، ثم إنه نص علىٰ الصحيح بعد ذلك[3].

ومنه قوله:

أهل المراتب في الدنيا ورفعتها ... أهـلُ الـفـضـائل مرذولون بينهمُ
فـمـا لـهـم فـي تـوقـي ضُـرِّنـا نـظـرٌ ... ولا لـهـم فـي تـرقـي قـدرنـا هِـمـم
قـد أنـزلـونـا لأنـا غـيـرُ جـنـسـهـم ... منازلَ الوحش في الإهمال عندهم
فـلـيـتـنـا لـو قـدرنـا أن نُـعـرّفـهـم ... مـقـدارَهـم عـنـدنـا أو لـو دَرَوْهُ هـمُ
لهم مريحان مِنْ جهل وفرَط غنىٰ ... وعندنا المتعبان العلمُ والعدمُ[4]

فناقضه في ذلك الفتح ابن البقي المقتول علىٰ الزندقة فقال:

أيـن الـمـراتـب فـي الـدنـيـا ورفـعـتـهـا ... عند الذي حاز علمًا ليس عندهمُ
لا شـك أنَّ لـنـا قـدرًا رأوه ومـا ... عند الذي حاز علمًا ليس عندهم
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا ... تـقـودهـم حـيـث مـا شـئـنـا وهـم
وليس شيء سوىٰ الإهمال يقطعنا ... عـنـهـم لأنـهـم وجـدانـهـم عـدم
لنا المريحان مِنْ علم ومِنْ عدم ... وفيهم المتعبان الجهل والحشم[5]

---

(١) «الطالع السعيد» ص٥٩١، «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٢)، «فوات الوفيات» (٣/ ٤٤٢).
(٢) «الطالع السعيد» ص٥٩٢، «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٣)، «طبقات الشافعية» (٩/ ٢١٤).
(٣) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٣).
(٤) «الطالع السعيد» ص٥٩٢، «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٢)، «طبقات الشافعية» (٩/ ٢١٥).
(٥) «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٢، ٥٠٣)، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢١٥)

ونظم ابن دقيق العيد في ابن الجوزي:

دقَّقتَ في الفطنة حتىٰ لقد أبديتَ ما يسحرُ أو يَسبي
وصرتَ في أعلىٰ مقاماتها حيث يراك الناسُ كالشُّهْبِ
وصار ما صيَّرت من جوهر الـ حكمة في الشرق وفي الغرب
تثبتُ ما تجحده فطرةُ الـ عقل ولا تشعرُ بالخطب
أنت دليلٌ لي علىٰ أنه يحال بين المرء والقلبِ[1]

وقوله:

نفرت سليمىٰ نفرة لما رأت وضح المشيب بعارضيَّ ومفرقي
قد أبصرت منه عدوا أبيضا أربىٰ أذاه علىٰ العدو الأزرق[2]

وقوله:

ومستعبدٍ قلبَ المحبِّ وطرفَه بسلطان حُسنٍ لا يُنَازعُ في الحكمِ
متينُ التقىٰ عفُّ الضميرِ عن الخنا رقيقُ حواشي الطرف والحسن والفهم
يناولُني مسواكه فأظنه تحيَّل في رشفي الرُّضاب بلا إثم[3]

وقوله:

إذا كنتُ في نجدٍ وطيب نسيمها تذكرتُ أهل باللّوىٰ فمحجّرِ
وإنْ كنتُ فيهم ذبتُ شوقا ولوعة إلىٰ ساكني نجدٍ وعيل تصبُّري
وقد طال ما بين الفريقين قصتي فمن لي بنجدٍ بين أهلي ومعشري؟[4]

وقوله:

أحبة قلبي والذين بذكرهم وتَرداده في كل وقت تعلُّقي
لئن غاب عن عيني بديع جمالكم وجار علىٰ الأبدان حكمُ التفرُّقِ
فما ضرَّنا بعدُ المسافة بيننا سرائرُنا تسري إليكم فنلتقي[5]

---

(١) «الطالع السعيد» ص٥٩٣.
(٢) «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٣).
(٣) «الطالع السعيد» ص٥٩٠.
(٤) «الطالع السعيد» ص٥٩٠، ٥٩١.
(٥) «الطالع السعيد» ص٥٩١.

وقوله:

قالوا فلان عالم فاضل ... فأكرموه مثل ما يرتضي
فقلت لما لم يكن ذا تقىٰ ... تعارض المانع والمقتضِي[1]

ومن شعره:

يا معرضًا عني ولست بمعرض ... بل ناقضًا عهدي ولست بناقضِ
أتعبتني فخلائق لك لم يفد ... فيها وقد جمحت رياضة رائضِ
أرضيت أنْ تختار رفضي مذهبًا ... ويشنِّع الأعداء أنك رافضي[2]

ومنه:

قد جرحتْنا يدُ أيامنا ... وليس غير الله من آسِ
فلا ترجُ الخلق في حاجة ... ليسوا بأهل لسوىٰ الياسِ
ولا تزد شكوىٰ إليهم فلا ... معنىٰ لشكواك إلىٰ قاسي
وإن تخالط منهم معشرا ... هويت في الدين علىٰ الراسِ
يأكل بعض لحم بعض ولا ... يحسب في الغيبة مَنْ باسِ
لا ورع في الدين يحميهم ... عنها ولا حِشمة جلاسِ
لا يعدم الآتي إلىٰ بابهم ... من ذلة الكلب سوىٰ الخاسي
فاهرب من الناس إلىٰ ربهم ... لا خير في الخُلطة بالناسِ[3]

ومِنْ شعره رَحِمَهُ اللهُ:

وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابِهِ
فقلت لها: مَنْ كان غاية قصده ... سؤالًا لمخلوق فليس بنابِهِ
لئن مات من يرجىٰ فمعطيهم الذي ... يرجونه باقٍ فلُوذي ببابِهِ[4]

(١) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٢).
(٢) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٣).
(٣) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٣).
(٤) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٤).

ومنه ما نظمه في بعض الوزراء:

مقبل، مدبر، بعيد، قريب ... محسن، مذنب، عدو، حبيبْ
عجب مِن عجائب البر والبحـ ... ـر ونوع فرد وشكل غريبْ[1]

ومنه:

يا شبابي أفسدت صالح ديني ... يا مشيبي نغَّصت طيِّب عيشي
فعدوان أنتما لا صديقا ... ن تلعبتما بحِلمي وطَيْشي[2]

ومنه:

لم يبق لي أمل سواك فإنْ يفُت ... ودعتُ أيام الحياة وداعا
لا أستلذُّ لغير وجهك منظرًا ... وسوىٰ حديثك لا أريد سماعا[3]

قال ابن فضل الله العمري واصفًا شعر الإمام ابن دقيق العيد: هكذا فليكن وإلَّا فلا أدب الفقهاء، وفي مثل هذا مذهب أهل الحزم أضعاف ذهب السفهاء، هذا الذي لا يقدر عليه مَنْ قدر عليه رزقه، واتسم بسمة أهل الفضل وهو لا يستحقه[4].

نثره:

يقول الأدفوي: له نثرٌ أحسن مِنَ الدُّرر، ونظمٌ أبهج مِنْ عقود الجوهر، ولو لم يكن له إلَّا ما تضمنته خطبة شرح الإلمام لشهد له مِنَ الأدب بأوفر الأقسام[5].

قلت: ومِنْ بديع رونق لفظه المنثور ما كتبه إلىٰ قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن الخليل شافعًا ومتشوقا:

---

(١) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٥).
(٢) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٦).
(٣) «أعيان العصر وأعوان النصر» (٤/ ٥٩٦).
(٤) «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٠٣).
(٥) «الطالع السعيد» ص٥٨٧.

لا زال حافظًا لأحكام الجود، محفوظًا بضمان الله في ضمن السعود، محروس العزم مِنْ دواعي الهوىٰ، والعز مِنْ دواعي الحسود مقابل وجه الرأي بمرآة الحق، مولي جناب الباطل جانب الصدود، ولا برح يمطر علىٰ العفاة سحائب كرمه، ويروي الرواة مِنْ بحار علوم بمدٍّ مِنْ قلمه، ويجلو أبكار الأفكار مقلدة بما نظم السحر مِنْ حلي كلمه، ويبرز خفيات المعاني منقادة بأيد ذهنه وأيدي حكمه، ويسمو إلىٰ غايات المعالي حتىٰ يقال: **أين سمو النجم من همه؟** ويسبغ مِنْ جمال فضله وجميله ما يبصره الجاهل علىٰ عماه، ويسمعه الحاسد علىٰ صممه، وينهىٰ مِنْ ولائه ما يشهد به ضميره الكريم، ومِنْ ثنائه ما هو أطيب مِنْ ودائع الروض في طي النسيم، ومِنْ دعائه ما يقوم منه بوظيفة لا تهمل، ويشيعه برجاء يطمع معه بكرم الله أنْ يقبل.

ويجري منه علىٰ عادة إذا انقضىٰ منها ماض تبعه الفعل في الحال، والعزم في المستقبل، غير خافٍ أنه لكل أجل كتاب، ولكل مقصود أسباب، ولم يزل يهم بالكتابة والأيام تدافع، ويعزم علىٰ المخاطبة، فتدفع في صدر عزمه الموانع حتىٰ طلع الوقت، فجرّ حظه، واستناب منافثة قلمه عن مشافهة لفظه، وقال لخدمته: هذه ردي موردًا غير آسن، وتهنىٰ محاسن لا تشبهها المحاسن، وتوطني المحلة المسعودة، فكما يسعد الناس كذلك تسعد الأماكن، وشاهدي مِنْ ذلك السيد صدرًا بشره بالنجح ضامن وشهابًا، ما زلنا نعد السيارة سبعًا حتىٰ عززت لنا منه بثامن، وكان السبب في ذلك أنَّ القاضي نجم الدين بمحلة منف لما قدم القاهرة أقام بحيث تقيم، وحاضرنا محاضرة الرجل الكريم، ونافث منافثة لا لغو فيها ولا تأثيم، ولازم الدروس ملازمة لولا أنها محبوبة لقلنا ملازمة غريم، وتلك حقوق له مرعية، ومعرفة أنسابها مراضعة العلوم الشرعية، وقصد هذه الخدمة إلىٰ المجلس، فكان ذلك مِنْ واجب حقّه، وذكر ثناء عليه، فقلنا: رأيت الحق لمستحقه، وسيدنا حرسه الله تعالىٰ أهل لتقليد المنن، ومحل لأنْ يظن به كل حسن، والعلم بمروءته لا يقبل تشكيك المشكك، وأبوته تقتضي أنْ يرتقي مَنْ بعروة وده يستمسك، والله تعالىٰ يرفع شأنه، ويعلىٰ برهانه ويكتب له يوم إحسانه

إحسانه، ويطوي علىٰ المعارف اليقينية جنانه، ويطلق بكل صالحة يده ولسانه بمنه وكرمه إنْ شاء الله تعالىٰ.

قال الصفدي: ما أعرف بعد القاضي أفاضل مِنْ كتب الإنشاء مثل **القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر**، وما له مثل هذه المكاتبة، علم ذلك مَنْ عَلِمه أو جهله مِنْ جهله[1].

ومن نماذج أدبه، التي تدل علىٰ أن الأدب فيه سجية، قوله في غضون بحثه: «ولم يضع ابن حزم نظره عليه، ولا وجَّه والله أعلم فكره إليه»[2].

---

(١) انظر: «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٠، ١٤١).

(٢) «**شرح الإلمام**» (٢/ ٣٢٧).

المبحث الثاني
ثناء العلماء عليه

• **كان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**: الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها:

١- **ابن دقيق العيد** بقوص.

٢- **وابن المنيِّر**(١) بالإسكندرية(٢).

• **وكان الإمام ابن دقيق العيد وجلال الدين الدّشناوي**(٣): رفيقين بمدينة قوص، فلما قدما القاهرة حضرا عند **الشيخ عز الدين**، وتكلما معه، فأثنىٰ عليهما الشيخ، فقال **الشيخ نصير الدين ابن الطباخ**: ما في الصعيد مثل هذين الشابين، فقال **ابن عبد السلام**: ولا في المدينتين يعني مصر والقاهرة(٤).

---

(١) أحمد بن محمد بن المُنَيِّر، ناصر الدين المالكي. ولد سنة ٦٢٠هـ. سمع أباه. ولي قضاء الإسكندرية. كان متفننًا في الأدب. له تأليف علىٰ تراجم البخاري. توفي بالثغر سنة ٦٨٣هـ. **«تاريخ الإسلام»** (١٥/ ٤٩٢)، **«الوافي بالوفيات»** (٨/ ٨٤).

(٢) **«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»** (١/ ٤١٧).

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندي، جلال الدين الدشناوي. ولد سنة ٦١٥هـ. كان إمامًا فقيها ورعا، مات بقوص في رمضان سنة ٦٧٧هـ. **«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»** (١/ ٤١٧).

(٤) **«طبقات الشافعية»** لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ١٢٩، ١٣٠)، **«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»** (١/ ٤١٧).

• **وقال العبدري**[1] **في رحلته**: لقيتُ منه حَبرًا كاملًا عالمًا يحق له اللقاء، وبحرًا مِنْ علم لا تكدره الدِّلاء، وطبا آسيا يشفىٰ بقوله الداء العياء، له تفنن في فنون العلوم، وتسلط عليها بذهن يرد المجهول إلىٰ المعلوم، وقلما يُلفَىٰ له في سعة المعارف نظير، أو يوجد مَنْ يماثله في صحة البحث والتنقير، وله في البلاد ذكر شهير، وصيت مستطير، وخطر خطير، يضرب في كل فن بسهم مصيب، ويحظىٰ منه بأوفر نصيب، ولقي جماعة مِنَ الأعلام، فأخذ عنهم وحصل، وما زال يؤصِّل نفسه في المعارف حتىٰ تأصَّل، فهو الآن قطب مصر وعلَمها[2].

• **وقال قاضي القضاة تقي الدين بن شكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: أجمع **الشافعية** والمالكية علىٰ أنَّ أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة:

١- **القرافي** بمصر القديمة.

٢- والشيخ **ناصر الدين ابن المنير** بالإسكندرية.

٣- والشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد** بالقاهرة المعزية.

وكلهم مالكية خلا **الشيخ تقي الدين** فإنه جمع بين المذهبين[4].

• **وقال ابن الزملكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: إمام الأئمة في فنه، وعلامة العلماء في عصره، بل ولم يكن مِنْ قبله مِنْ سنين مثله في العلم والدين والزُّهد والورع، تفرّد في علوم كثيرة، وكان يعرف التفسير والحديث، وكان يحقق المذهبين تحقيقًا

---

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، ينتهي نسبته إلىٰ عبد الدار بن قصيّ بن كُلاب، وإليه نسبته. أخذ مِنْ علماء مراكش، وأتقن كثيرًا مِنَ الفنون، قام برحلته وهو في عنفوان شبابه عام ٦٨٨هـ. وانتهت سنة ٦٩١هـ. ولا يعرف له مصنف غير ما دونه عن رحلته، وقدَّر عمر فروخ وفاته بنحو سنة ٧٢٠هـ «**مقدمة محقق رحلة العبدري**» ص٧-١١.

(٢) «**رحلة العبدري**» ص٢٩٩، ٣٠٠.

(٣) محمد بن عبد العظيم السقطي المصري، جمال الدين ابن شكر. ولد سنة ٦٢٢هـ. روىٰ عن ابن باقا البغدادي، وعلي بن محمود الصابوني. كان جيدًا مشكورًا في قضائه، جميل الهيئة. توفي بمصر سنة ٧٠٧هـ. «**ذيل التقييد**» (١/ ١٦٠).

(٤) «**الديباج المذهب**» ص١٢٩، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٣١٥).

(٥) محمد بن علي بن عبد الواحد، كمال الدين الزملكاني الشافعي. ولد سنة ٦٦٧هـ. تعلَّم بدمشق، وقرأ علىٰ صفي الدين الهندي، وتصدّر للتدريس والإفتاء، وتخرّج عليه صلاح الدين العلائي. =

عظيمًا، ويعرف الأصلين والنحو واللغة، وإليه النهاية في التحقيق والتدقيق، والغوص علىٰ المعاني، أقرَّ له الموافق والمخالف، وعظمته الملوك، وكان **السلطان لاجين** ينزل له عن سريره، ويقبِّل يده، وكان صحيح الاعتقاد، قويًا في ذات الله، وليس الخبر كالعيان(١).

• **وقال عنه التجيبي البستي** رَحِمَهُ اللَّهُ **فيما قال**: الفقيه الإمام، أوحد الأنام، نخبة الإسلام، قاضي القضاة، إمام الأئمة، نخبة العصر، عمدة المفتين، العالم العلم، العامل الورع، الكامل، نخبة الفضلاء علمًا وحلمًا، مظهر معاني العلوم استنباطًا وفهمًا، والمحتوي علىٰ عمدة أصولها وفروعها حفظًا وحكمًا، خاتمة المجتهدين، أجل مَنْ لقيناه، وأعلم مَنْ رأيناه، أحد أئمة المسلمين، المجتمع علىٰ إمامته وتقدمه في المعارف كلها، بلغ درجة الاجتهاد أو كاد، حاز السبق في معرفة الفقه والأسانيد والمتون، ولم أر في كثير ممن لقيت مَنْ يقاربه في معارفه، ولا رأيت أجمع لفنون العلم منه، وما وصف لي رجل إلَّا وجدته دون ما قيل لي، إلَّا تقي الدين هذا، نفع الله به، وكان كما قال الشاعر:

وكان مِنَ العلوم بحيث يقضىٰ

له في كل علم بالجميع(٢)

• **وقال الحافظ ابن سيد الناس** رَحِمَهُ اللَّهُ: لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت، كان للعلوم جامعا، وفي فنونها بارعًا، مقدما في معرفة علل الحديث علىٰ أقرانه، منفردًا بهذا الفن النفيس في زمانه، أذكىٰ ألمعية، وأزكىٰ لوذعية(٣)، لا يشق له غبار، ولا يجري معه سواه في مضمار:

= انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. ولي نظر الخزانة، وكتب في ديوان الإنشاء، ثم ولي القضاء في حلب، ثم طلب لقضاء مصر، فقصدها. له رسالة في الرد علىٰ ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزيارة، وتعليقات علىٰ المنهاج للنووي، وكتاب في التاريخ. توفي في بلبيس سنة ٧٢٧هـ. ودفن بالقاهرة. «**فوات الوفيات**» (٤/ ٧)، «**طبقات السبكي**» (٩/ ١٩٢)، «**الأعلام للزركلي**» (٦/ ٢٨٤).

(١) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٢) «**مستفاد الرحلة**» ص١٦، ١٧، ٢١، ٣٠.

(٣) **اللوذعي**: المتوقد ذكاء، كأنه يلذع مِنْ ذكائه. «**لسان العرب**» (مادة: لذع).

إذا قـال لـم يَـتـرك مـقـالًا لـقـائـلِ   مُصيبٍ ولم يُثنِ اللسانُ علىٰ هُجْرِ

وكان حَسَن الاستنباط للأحكام، والمعاني مِنَ السُّنَّة والكتاب، بلُبٍّ يسحر الألباب، وفكر يستفتح له ما يستغلق علىٰ غيره مِنَ الأبواب[١].

● **وقال البرزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: مجمع علىٰ غزارة علمه، وجودة ذهنه، وتفنُّنه في العلوم، مع الدين المتين والعقل الرصين، وهو خبير بصناعة الحديث، عالم بالأسماء والمتون واللغات والرجال، وله اليد الطُّولَىٰ في الأصلَيْن والعربية[٣].

● **وقال أبو حيان** رَحِمَهُ اللَّهُ: مفتي الفريقين، الحافظ الناقد[٤]، أشبه مَنْ رأيناه يميل إلىٰ الاجتهاد[٥].

● **وقال النجم ابن عبد الحميد** رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم يكن حينئذ في وقته من يضاهيه في علم الحديث وغيره[٦].

وقال الحافظ قطب الدين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ[٧]: كان إمام أهل زمانه، وممن فاق بالعلم والزُّهد علىٰ أقرانه، عارفًا بالمذهبين، إمامًا في الأصلين، حافظًا متقنًا في

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٦٩، ٥٧٠، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٨، ٢٠٩)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٤).

(٢) أبو محمد علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (نسبة إلىٰ «**برزالة**» مِنْ بطون البربر). ولد بدمشق سنة ٦٦٥هـ. أصله مِنْ إشبيلية. زار مصر والحجاز. ألَّف كتابًا في التاريخ، وجعله صلة لتاريخ أبي شامة، وبلغ به إلىٰ سنة ٧٣٨هـ. تولىٰ مشيخة النورية ودار الحديث بدمشق. وقف كتبه، وعقارًا جيدًا علىٰ الصدقات. توفي محرمًا في خليص بين الحرمين سنة ٧٣٩هـ. «**فوات الوفيات**» (٣/ ١٩٦)، «**طبقات السبكي**» (١٠/ ٣٨١)، «**الأعلام للزركلي**» (٥/ ١٨٢).

(٣) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٢.

(٥) «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٣١٨).

(٦) «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨).

(٧) عبد الكريم بن عبد النور بن منير، قطب الدين الحلبي الشافعي. ولد سنة ٦٦٤هـ. سمع ابن العماد والعز الحراني، وأخذ عنه مغلطاي وابن السروجي. له: الاهتمام بتلخيص الإلمام. توفي بمصر سنة ٧٣٥هـ. «**الوافي بالوفيات**» (١٩/ ٥٥).

الحديث وعلومه، يُضرب به المثل في ذلك، وكان آيةً في الحفظ والإتقان، والتحرِّي، ولم يُرَ في عصره مثله[1].

• **وقال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شيخ الإسلام، كان إمامًا عديم النظير، ثخين الورع، متين الديانة، متبحِّرًا في العلوم، مِنْ أذكياء زمانه، واسع العلم، كثير الكتب، مديمًا للسهر، مكبًّا علىٰ الاشتغال، ساكنًا، وقورًا، ورعًا، وله اليد الطُّولَىٰ في الأصول والمعقول، وخبرة بعلل المنقول، قلَّ أن ترىٰ العيون مثله[2].

وقال أيضًا: ما رأيتُ أحفظ مِنْ أربعة: **ابن دقيق العيد**، **والدمياطي**[3]، **وابن تيمية**، **والمزِّي**؛ **فابن دقيق العيد** أفقههم في الحديث والعِلل، **والدمياطي** أعرفهم بالأنساب، **وابن تيمية** أحفظهم للمتون، **والمزِّي** أعرفهم بالرجال[4].

• **وقال الأدفوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ثناء عريض**: فضائله كثيرة، ومناقبه شهيرة، قد امتلأت منها الآفاق، وسارت بها الرُّكْبان والرفاق، وهو ممن اشتهر ذكره وشاع، وملأ المسامع والبقاع، ومدحَه العلماء والأدباء، وأبناء الفضائل النجباء، التقي ذاتًا ونعتًا، والسالك الطريقَ التي لا عِوَج فيها ولا أمْتا، والمحرزُ مِنْ صفات الفضل فنونًا مختلفة، وأنواعًا شتىٰ، والمتحلِّي بالحالتين الحسنيين صمتًا وسمْتًا، الشيخُ الإمامُ، علامة العلماء الأعلام، وراوية فنون الجاهلية وعلوم الإسلام، ذو العلوم الشرعية، والفضائل العقلية، والفنون الأدبية، والمعارف الصوفية،

---

(١) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٢) «**المعجم المختص بالمحدثين**» للذهبي ص١٦٨، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢).

(٣) عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، شرف الدين الشافعي. ولد سنة ٦١٣هـ. لازم المنذري، وتخرّج عليه الذهبي. كان رأسًا في النسب واللغة. له: كشف المغطىٰ. توفي بالقاهرة سنة ٧٠٥هـ. «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٧٩)، «**طبقات السبكي**» (١٠/ ١٠٢).

(٤) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (١٠/ ٢٢١، ٣٩٦)، «**التبيان لبديعة البيان عن موت الأعيان**» لابن ناصر الدين الدمشقي (٢/ ٣٠٥)، «**الضوء اللامع**» (٤/ ١٣٠)، «**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**» لعبد الحي الكتاني (١/ ١٥٤، ٢٧٥)، «**الأعلام للزركلي**» (٨/ ٢٣٧).

والباع الواسع في استنباط المسائل، والأجوبة الشافية لكل سائل، والاعتراضات الصحيحة التي يجعلها الباحثُ لتقرير الإشكالات وسائل، والخطب الصادعة الفصيحة البليغة التي تُستفاد منها الرسائل، إنْ عرضتْ الشبهاتُ أذهب جوهرُ ذهنه ما عرض، أو اعترضت المشكلاتُ أصاب شاكلتَها بسهم فهمه فأصاب الغرض، إنْ خطب أسهب في البلاغة، وأطنب في البراعة، أو كتب فوحي الكلام ينزل علىٰ اليراعة، فلله درُّه إذا ارتفع بنفسه وإنْ كان له مِنْ أبويه ما يقتضي الارتفاع، وعلا علىٰ أبناء جنسه فكان مِنْ رفعة المنزلة في المكان اليَفَاع، إنْ ذُكِر التفسيرُ فمحمدٌ فيه محمودُ المذهب، أو الحديثُ **فالقشيريُّ** فيه صاحبُ الرقم المُعْلَم والطراز المُذْهب، أو الفقهُ فأبو الفتح العزيز الإمامُ، الذي إليه الاجتهاد يُنْسب، أو الأصولُ؛ **فأين ابن الخطيب من الخطيب؟ وهل يقرن المخطئ بالمصيب؟** أو الآدابُ فإنْ اقتصرتَ قلتَ: نابغة زمانه، وإنْ اختصرتَ قلتَ: حبيب لم يشغله عن النظر في العلوم كثرةُ المناصب، ولا ألهاه علوُّ المراتب، ولا صرفه عن التصرف فيه لذَّة المطاعم وعذوبة المشارب، طالما لازم السهر حتىٰ أسفر وجهُ الإصباح، مشتغلًا بالذكر والفكر لا بذوات الألفاظ الصحاح والوجوه الصِّباح، تمسَّك مِنَ التقوىٰ بالسبب الأقوىٰ، وقام بوظيفة التحقيق والتدقيق التي لا يطيقها غيره مِنْ أهل زمنه ولا عليها يقوىٰ، مع ترك المباهاة بما عليه مِنَ الفضائل والسلامة مِنَ الدعوىٰ، وجعل وظيفة العلم والعمل له ملَّة، حتىٰ قال بعض الفضلاء: مِنْ مائة سنة ما رأىٰ الناس مثله، حاز علمًا ودينًا ونزاهة، فعظم قدرًا وجاهًا ووجاهة، ومَنْ غرس العلم والتقوىٰ جنىٰ النباهة، ذاك الذي حاز كل فضل جزيل، وحوىٰ كل فعل جميل، والذي يقال فيه: إنَّ الزمان بمثله لبخيل.

وبالجملة: فالاستغراق في مناقبه يخرج عن الإمكان، ويخرج إلىٰ توالي الأزمان، وكُتِبَ له «**بقية المجتهدين**»، وقرئ بين يديه، فأقرّ عليه، ولا شك أنه مِنْ أهل الاجتهاد، وما ينازع في ذلك إلَّا مَنْ هو مِنْ أهل العناد، ومَنْ تأمّل

كلامه علم أنه أكثر تحقيقًا وأمتن وأعلم مِنْ بعض المجتهدين فيما تقدم وأتقن، ذكره الشيخ العلَّامة **علاء الدين علي بن إسماعيل القُونوي**، فقال له **الأدفُوي**: لكنه ادعىٰ الاجتهاد، فسكتَ ساعة مفكرًا، وقال: والله ما هو ببعيد[1].

وفي تصانيفه: مِنَ الفروع الغريبة والوجوه والأقاويل ما ليس في كثير مِنَ المبسوطات، ولا يعرفه كثير مِنَ النقلة، ونقلتُ مرة لقاضي القضاة **موفق الدين الحنبلي** رواية عن **أحمد**، فقال: هذه ما تكاد تعرف في مذهبنا، ولا رأيتها إلَّا في كتاب سماه، قلت: رأيتها في كلام الشيخ.

وسألتُ شيخنا **علاء الدين علي بن محمد بن خطاب الباجي** مرة عن جمع كثير منهم: **الأصبهاني**، **والقرافي**، **وابن رزين**، **وابن بنت الأعز**، ووالده **تاج الدين**، فكان يذكر كل شخص، إلىٰ أنْ ذكرتُ له الشيخ **تقي الدين** فقال: كان عالمًا فاضلًا صحيح الذهن[2].

• **وقال ابن فضل الله العمري** رَحِمَهُ اللَّهُ: صاحب التصانيف، آخر المجتهدين، وفاخر درر المقلدين، حجّة العلماء الأعلام، ومحجّة القصد والسلام، رافع منار الشرع المطهر، ومعلي قدر فَرْقَدِهِ، ومعلن اسم سؤدُدِهِ، ومعلم البروق اللّامعة بأنها لا طاقة لها بتوقُّده، ومعلق طيبه بمفرِق الدهر، مسك ليلته، وكافور غده، قام بالحق وكلٌّ قاعد، وهب وكلٌّ علىٰ جفنه النوم عاقد، وتخلق بخلائق السلف، عليه مضوا، وبه جاءوا، وعليه قضوا، مِنْ علم تلاقي الفساد، وأوفىٰ بقدر السلف وزاد[3].

• **وقال خليل بن أيبك الصفدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان الشيخ **تقي الدين** رَحِمَهُ اللَّهُ إمامًا في فنونه، محدثًا، مجودًا، فقيهًا، مدققًا، أصوليًّا، أديبًا، نحويًّا، شاعرًا، ناثرًا، مجتهدًا، وافر العقل، تام الورع، شديد التدين، قل أنْ ترىٰ العيون مثله، وكان

---

(١) **«الطالع السعيد»** ص٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٩٤.

(٢) **«الطالع السعيد»** ص٥٨١.

(٣) **«مسالك الأبصار»** (٥/ ٤٩٩).

سمحًا، جوادًا، له اليد الطُّولَىٰ في الفروع والأصول، غمامًا فيما يرسله مِنَ الفوائد في كلامه وعيونه، مفسرًا، محدثًا، سبق في هذين مَنْ كان عجلًا أو متلبثًا، فقيهًا، مدقّقًا، قام بفروع المذهبين محققًا، أصوليًّا، أشعريًّا، حقيقًا بانفراده في ذلك حريًّا، نحويًّا، أديبًا، ناظمًا، ناثرًا، عجيبًا، لا يباريه في كل فنونه مبارٍ، ولا يجاريه في مضمارها مجارٍ، ولا تعلق له الريح إذا أم غايةً بغبار.

وإذا خطابُ القوم في البحث اعتلَىٰ فصلَ القضيةَ في ثلاثة أحرفِ

وكان ذكيًّا، غواصًا علىٰ المعاني، قنّاصًا لشوارد ما يحاوله مِنَ العلوم ويعاني، وافر العقل، سافر الحجب عن وجوه النقل، كثير السكينة، لازم الوقار والأُبَّهة الركينة[(١)]، بخيلًا بالكلام، قل أنْ يُسمع منه غير رد السلام، مديد الباع إذا قام في أمر شرعي وشرع، ملازم السهر والسُّهاد، مداوم المطالعة في استخراج ما ينتفع به في العبادة العباد، وكانت كفّه تتخرق، وتدع الغمام حسدًا لجوده بنار البرق يتحرق، عديم الدعاوىٰ، كثير الشكر، قليل الشكاوىٰ، بصيرًا بعلل المنقول، خبيرًا بعلل المعقول:

يَروِي فيروي كلَّ ذي ظمأ له بِحِمَىٰ الحديث تعلُّق وهُيَامْ
ببدِيهة في العِلم يُقسم مَنْ رأىٰ ذاك التسرُّع أنه إلهامْ[(٢)]

وقال:

وعلىٰ الجملة: فكان الشيخ **تقي الدين ابن تيمية** أحد الثلاثة الذين عاصرتهم، ولم يكن في الزمان مثلهم، بل ولا قبلهم مِنْ مائة سنة، وهم الشيخ **تقيُّ الدين ابن تيمية**، والشيخ **تقيُّ الدين ابنُ دقيق العيد**، وشيخنا العلاّمة **تقيُّ السبكي**. وقلت في ذلك:

ثلاثةٌ ليس لهم رابعُ فلا تكنْ مِنْ ذاك في شكِّ
وكُّلهم مُنتسبٌ للتُّقَىٰ يقصُر عنهم وصف مَنْ يحكِي

---

(١) **رجل ركين**: رزين شبه بالجبل الركين. «**أساس البلاغة**» (١/ ٣٨٣).

(٢) «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٤/ ٥٧٧).

فإن تَشا قلت ابن تيمية وابن دقيق العيد والسبكي[1]

ونقلَ عنه أيضًا قوله: وافق اجتهادي اجتهاد **الشافعي** إلَّا في مسألتين، وحسبك بمن يتنزل ذهنه علىٰ ذهن **الشافعي**[2].

ثم جمع الصفدي رحمه الله **أطراف كلامه فقال**: وعلىٰ الجملة فكان امرأً غريبًا، قلَّ أنْ ترىٰ العيون مثله: زهدًا، وورعًا، وتصميمًا، وتحريًا، واجتهادًا، وعبادةً، وتوسعًا في العلوم.

فهو الذي بَجَحَ الزمانُ بذكره وتزيَّنتْ بحديثِه الأشعارُ[3]

• **وقال تاج الدين السبكي** رحمه الله: الإمام، شيخ الإسلام، الحافظ، الزاهد، الورِع، الناسك، المجتهد المطلق، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة، الجامع بين العلم والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين، أكملِ المتأخرين، وبحر العلم الذي لا تكدره الدِّلاء، ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء، وإمام المتأخرين كلمة لا يجحدونها، وشهادة علىٰ أنفسهم يؤدونها، مع وقار عليه سيما الجلال، وهيبة لا يقوم الضِّرغام عندها لنزال، هذا مع ما أضيف إليه مِنْ أدب أزهىٰ مِنَ الأزهار، وألعب بالعقول، **لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول؟** كان والدي مِنْ معظّمي **الشيخ تقي الدين** ومبجّليه إلىٰ حدٍّ يطول شرحه[4].

• **وقال الإسنوي**: لم يشتهر أحد في زمانه اشتهاره، ولا حاز قوّته علىٰ الاستنباط واقتداره، شيخ الدهر بلا نزاع، ووجه العصر بغير دفاع، ذو المناقب المشهورة، والكرامات المأثورة، تمسك بالسبب الأقوىٰ مِنَ التقوىٰ، وقام مِنَ الاجتهاد بعبء لا يطيق أحد حمله ولا يقوىٰ، الجامع للعلوم الشرعيّة والعقلية واللغوية، حافظ الوقت، خاتمة المجتهدين، صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق

---

(١) «**أعيان العصر**» (١/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٤/ ٥٧٧)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٢) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨١).

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧).

(٤) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٠٧، ٢٠٨)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

المجمع علىٰ كماله في العلم والدين، والزُّهد والورع مع البلاغة التامّة، قال **الشهاب محمود الكاتب: «ما رأيت أعرف منه بصناعة الأدب»**[(١)].

● **وقال ابن كثير**[(٢)] **في طبقاته**: أحد علماء وقته، بل أجلّهم وأكثرهم علمًا ودينًا وورعًا وتقشفًا ومداومة علىٰ العلم في ليله ونهاره مع كِبَر السن والشغل بالحكم، وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة، لا سِيَّما في علم الحديث، فاق فيه علىٰ أقرانه، وبرز علىٰ أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة مِنَ الآفاق، ووقع علىٰ علمه وورعه وزهده الاتفاق[(٣)].

● **وقال عنه الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: الإمام، العلم، الشهير، الماهر في الفقه والحديث، ومعرفة طرق الاجتهاد، صنّف التصانيف المشهورة، وله النظم الرائق، والدين المتين، والأحكام المسدّدة، والنوادر العجيبة[(٤)].

● **ويقول فيه علاّمة الجزائر عبد الرحمن الثعالبي**[(٥)]: كان **ابن دقيق العيد** إنسانَ عَيْنِ الزمان في العلم والعمل، تباهتْ العلماءُ بلقائه، وشَهِدَتْ النبلاءُ

---

(١) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٢).

(٢) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي. الحافظ الإمام. ولد سنة ٧٠٠هـ. ونشأ بدمشق. اشتغل بالحديث، وجمع التفسيرَ، والتاريخَ الذي سمَّاه **البداية والنهاية**، وعَمِلَ طبقات الشافعية، لازم المِزِّي وصاهره علىٰ ابنته، وأخذ عن ابن تيمية، ففتن بحبه، وامتحن لسببه، ولم يكن علىٰ طريق المحدِّثين في تحصيل العوالي ونحو ذلك، وإنما هو مِنْ محدثي الفقهاء، وكان قد أَضَرَّ في أواخر عمره. مات سنة ٧٧٤هـ. «**الدرر الكامنة**» (١/ ٣٧٣).

(٣) «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

(٤) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٥) أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي الجعفري الجزائري المالكي. ولد في جنوب الجزائر سنة ٧٨٥هـ. رحل للعلم مدة عشرين سنة تنقل فيها بين الجزائر وبجاية وتونس والقاهرة والحجاز وبورصة. درس علىٰ علي المانجلاتي الزواوي وولي الدين العراقي. له غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد وهو فهرس مرويات ومؤلفات. ورحلة عبد الرحمن الثعالبي. توفي بالجزائر سنة ٨٧٥هـ. «**ترجمة محقق كتاب «غنيمة الوافد»** ص١١، ١٢.

بفَضْلِ ذكائه، إنْ نَطَقَ فالصوابُ يبدو مِنْ خِطَابه، وإنْ كَتَب فالسحرُ الحلالُ في كتابه[1].

واختصر الشوكاني رحمه الله[2] **الكلام، ورغب عن التطويل والإسهاب، فقال**: وبالجملة فقد اعترف له أئمة كل فن بفنهم[3].

وفي الباب: نقولات وأخبار يطول ذكرها[4].

- **احتراس**:

هذا ما توارد عليه أهل العلم: فقد أطبقوا في كلمة واحدة علىٰ إمامة **ابن دقيق العيد**، وقد اعترف له أئمة كل فن بفنهم، ولا أعلم مَنْ تكلم في **ابن دقيق العيد** أو جرحه.

ومن جملة مَنْ أثنىٰ عليه: الإمام **أثير الدين ابن حيان**، وكل النقول عنه تفيد ذلك، وأنه مفتي الفريقين وأنه أشبه مَنْ رآه يميل إلىٰ الاجتهاد[5].

بل الظاهر: أنه كان عارفًا بأحوال **ابن دقيق العيد** ودقائقه، والقصص بينهما تدل علىٰ أنه كانت بينهما مؤانسة وانبساط، لكن شاع بين المترجمين المعاصرين لهما أنَّ **ابن حيان** كان يقع في **ابن دقيق العيد** ويحط مِنْ شأنه حتىٰ قال عنه: إنه لم يقرأ النحو، وقرأ منه نزرًا يسيرًا علىٰ مبتدئ في النحو![6].

---

(١) «**غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**» ص٥١.

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ولد سنة ١١٧٣هـ. تصدىٰ للإفتاء في سن العشرين. نابذ التقليد، واجتهد اجتهادًا مطلقًا. كان منجمعا عن بني الدنيا، وولي القضاء إلىٰ أنْ مات. له: نيل الأوطار، وإرشاد الفحول. توفي سنة ١٢٥٠هـ. «**البدر الطالع**» (٢/ ٢١٤).

(٣) «**البدر الطالع**» (٢/ ٢٣٢).

(٤) «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠، ٥٠١)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٨١.

(٦) «**مقدمة الاقتراح**» لقحطان الدوري ص١٢٨.

والسبب في ذلك كما يقول الصفدي: أنَّ الشيخ **تقي الدين** كان قد نزل عن تدريس مدرسة لولده، فلما حضر الشيخ **أثير الدين** درس قاضي القضاة **تقي الدين ابن بنت الأعز** قرأ آية يفسرها درس ذلك اليوم، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، فبرز **أبو حيان** مِنَ الحلقة، وقال: يا مولانا قاضي القضاة، قدموا أولادهم، قدموا أولادهم، يكرر ذلك، فقال قاضي القضاة: **ما معنىٰ هذا؟** قال: **ابن دقيق العيد** نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية، فنقل المجلس إلىٰ الشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد**، فقال: أمَّا **أبو حيان** ففيه دعابة أهل الأندلس ومجونهم، وأمَّا أنت يا قاضي القضاة، فيبدل القرآن في حضرتك **وما تنكر هذا الأمر؟** فما كان إلَّا عن قليل حتىٰ عزل **ابن بنت الأعز** مِنَ القضاء **بابن دقيق العيد**، فكان إذا خلا شيء مِنَ الوظائف التي تليق بالشيخ **أثير الدين أبي حيان** يقول الناس: هذه **لأبي حيان**، يخرجها الشيخ **تقي الدين** لغيره، فهذا هو السبب الموجب لحط **أبي حيان** وشناعه عليه، وأهل العصر لا يرجع إلىٰ جرحهم بعضهم بعضًا لمثل هذه الواقعة وأمثالها:

إنَّ العرانين تلقاها محسدةً ... ولا ترىٰ للئام الناس حسادا[1] [2].

يقول الذهبي: لو سمعنا كلام الأقران بعضهم في بعض لاتسع الخرق.

يقول الصفدي معلقًا علىٰ مقالة شيخه الذهبي: هذا هو الإنصاف؛ فقد سمعت أنا وغير واحد غير مرة مِنَ الشيخ **أثير الدين الطعن** البالغ، والإزراء التام علىٰ الشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد**، وهو شيء خلاف الإجماع لصورة كانت بينهما[3].

---

(١) البيت للمغيرة بن حبناء التميمي، وهو شاعر المهلب أنفد شعره في مدحه، ومدح بنيه، وذِكْرِ حربهم للأزارقة. «**معجم الشعراء**» ص٣٦٩.

(٢) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٩)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٧).

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (٢/ ١٣٤).

المحور الثالث

عقيدته، ومذهبه الفقهي

المحور الثالث
عقيدته، ومذهبه الفقهي
المطلب الأول
عقيدته

للإمام **ابن دقيق العيد** رحمه الله تصنيف مختصر في باب الاعتقاد ومسائل أصول الدين(١)، وتم تحقيق نصّه، وإدراجه في ملاحق الكتاب.

ويمكننا مِنْ هذه العقيدة المختصرة، تلخيص حال **الإمام ابن دقيق العيد** في باب الاعتقاد في أمرين جوهريين:

الأول: أنه كان علىٰ مذهب **الإمام أبي الحسن الأشعري**(٢).

الثاني: أنه كان علىٰ طريقة فضلاء محدثي الأشعرية، الذين يختارون عدم

---

(١) عنوانه: «**عقيدة ابن دقيق العيد**»، وهو مخطوط في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تاريخ النسخ: ١٢١٩هـ. رقم المخطوط: (٧/٩٧٥٧).

(٢) علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري. ولد بالبصرة سنة ٢٧٠هـ. مِن الأئمة المتكلمين المجتهدين. أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم رجع عن الاعتزال، ولم يكن يضبط مذهب السلف علىٰ جهة التفصيل، فولَّد مذهبًا مركَّبا بينهما. له: مقالات الإسلاميين، واللمع في الرد علىٰ أهل الزيغ والبدع. مات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة. «**وفيات الأعيان**» (٣/ ٢٨٤)، «**سير أعلام النبلاء**» (١٥/ ٨٥).

الخوض في التأويل، ومجانبة علم الكلام، **كالبيهقي** رحمه الله[١]، **والنووي** رحمه الله[٢] وغيرهما، ويدل لذلك أبياته المشهورة:

تجاوزتُ حدَّ الأكثرين إلىٰ العُلىٰ ... وسافرتُ واستبقيتُهم في المفاوزِ
وخضتُ بحارًا ليس يُعرف قدرُها ... وألقيتُ نفسي في فسيح المفاوزِ
ولججت في الأفكار، ثم تراجع اخـ ... ـتياري إلىٰ استحسان دين العجائزِ[٣]

وأسجل عدة إشارات أخرىٰ تؤكد أنَّ الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله كان أشعري الاعتقاد في الجملة:

الإشارة الأولىٰ: أنَّ **خليل بن أَيْبَك الصفدي** رحمه الله أضافه إلىٰ الأشعرية صراحة[٤].

الإشارة الثانية: أنَّ للإمام **ابن دقيق العيد** رحمه الله كلامًا في الثناء علىٰ إمام المذهب **أبي الحسن الأشعري**، وكلامًا في الثناء علىٰ **أبي الحسن الباجي**[٥]،

---

(١) أحمد بن الحسين البيهقي، أبو بكر الشافعي. ولد سنة ٣٨٤هـ. الحافظ، الفقيه، مِنْ كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. له: السنن الكبرىٰ والصغرىٰ، ومعرفة سنن الآثار. توفي سنة: ٤٥٨هـ. «**سير أعلام النبلاء**» (١٨/ ١٦٣)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٤/ ٨).

(٢) يحيىٰ بن شرف بن حزام النووي، أبو زكريا محيي الدين. ولد بنوىٰ جنوبي دمشق سنة ٦٣١هـ. كان مصابرا علىٰ أنواع الخير، وحصورًا وزاهدًا. تعلَّم في دمشق، ولزم إسحاق المغربي. كان إمامًا في الحديث، محررًا للمذهب الشافعي، إمامًا في اللغة. ولي مشيخة دار الحديث بعد أبي شامة، وكان معانًا علىٰ التصنيف. له: شرح المهذب، ورياض الصالحين. توفي بنوىٰ سنة ٦٧٦هـ. عن ٤٥ سنة. «**طبقات السبكي**» (٨/ ٣٩٥)، «**طبقات الشافعيين**» ص٩١٠.

(٣) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧)، «**طرح التثريب**» (٢/ ١٢٩).

(٤) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٧٧).

(٥) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الباجي، أبو الحسن علاء الدين المصري. الإمام المشهور. ولد سنة ٦٣١هـ. تفقه بالشام علىٰ ابن عبد السلام، وكان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري، وناصرًا له، ووقعت له مناظرة مع ابن تيمية. توفي سنة ٧١٤هـ. «**أعيان العصر وأعوان النصر**» (٣/ ٤٨٢)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٢/ ٢٢٣).

وكان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري، وكان في القاهرة، وكان **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله كثير التعظيم له، وممّن يخصه بقوله: يا إمام[1] [2].

الإشارة الثالثة: للإمام **ابن دقيق العيد** رحمه الله ثناء عاطر علىٰ كتاب: **«زجر المفتري علىٰ أبي الحسن الأشعري» لضياء الدين أبي العباس أحمد بن محمد القرطبي**، وهو كتاب أشعري محض، مصنف في الانتصار له، والذب عنه، وكان ردًّا علىٰ ما وقع في عصره مِنْ هجو الإمام **أبي الحسن الأشعري**، فبعث بها إلىٰ **ابن دقيق العيد** إمام أهل السُّنَّة، وقد كانت بينهما صداقة ليقف عليها، فوقف عليها، وقرَّظها بأبدع ما يكون مِنْ حلو الكلام ورائقه، ورسالة **ضياء الدين** أشعرية محضة، وقد أودعها **السبكي** في طبقاته[3].

الإشارة الرابعة: للإمام **ابن دقيق العيد** رحمه الله كلامٌ في التأويل، وذم التجسيم، علىٰ مقاس كلام الأشعرية، ومِنْ ذلك: حصر المنزهين لله بين الساكت عن التأويل وبين المؤول[4].

الإشارة الخامسة: أنَّ **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله قد قرر في أكثر مِنْ موضع

---

(١) **قال السبكي في ترجمة الباجي**: (تفقّه بالشام علىٰ ابن عبد السلام، وكان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري، وكان هو بالقاهرة والصفي الهندي بالشام القائمين بنصرة مذهب الأشعري، وكان ابن دقيق العيد كثير التعظيم له). **«طبقات الشافعية»** (٢/ ٢٢٣، ٩/ ٢١٢).
وقال الصفدي: (وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يقول: العلاء يطلق عليه عالم. وحضر درسه في المدرسة الصالحية، فوقع بحث في كلام الغزالي في الوسيط، فقال الباجي: الغزالي عدل في العبارة المقتضية كذا، حتىٰ لا يرد عليه كذا. وهذا العبارة التي قالها يرد عليها خمسة عشر سؤالًا، وسردها. **فقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: كم سنك؟** فقال: كذا، فقال: وهذا كله حصلته في هذا السن!). **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٣/ ٤٨٤)، وينظر: **«الطالع السعيد»** ص٥٧٦، **«الوافي بالوفيات»** (٤/ ١٣٨).
(٢) **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ٢١٢).
(٣) **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٣/ ٤٢٣-٤٤١).
(٤) **«فتح الباري»** (١٣/ ٣٨٣).

تجريد الأسباب العادية عن مسبباتها، كما هو مذهب الأشعرية في نفي الأسباب[1].

الإشارة السادسة: إطلاق بعض العبارات، مثل: التنزيه عن الجسمية ولوازمها، وذم الظاهر الحشوي[2] المصرِّح المبرح بالجسمية، والإلغاء للغيرية، وهذه عبارات مألوفة مِنَ الأشعرية[3].

الإشارة السابعة: حُكِي عن **سعد الدين الحارثي** رَحِمَهُ اللَّهُ[4] أنه قال: كل ما يلزم مَنْ يقول بالجهة أقول به، فدخل إلىٰ المدرسة الكاملية ليجتمع **بابن دقيق العيد**، فلما رآه قال: دَاعِية! وامتنع عن مكالمته[5].

وفي تفسير هذه الحكاية طريقتان:

الطريقة الأولىٰ: أنَّ الإمام **ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ نَفَرَ منه لإثباته «**العلو**»، وهذا في غاية البعد؛ لأنَّ ما نُقِل عن **الحارثي** ليس في إثبات العلو، وإنما التزامه بكل ما يَرِد علىٰ إثبات لفظة: الجهة.

الطريقة الثانية: أنَّ الشيخ **سعد الدين الحارثي** رَحِمَهُ اللَّهُ كان عنده مبالغة في الإثبات، وفي التعصب للحنابلة، وهذا مذكور في ترجمته، مما أوجب عليه الجهر بمثل هذه المقالة، وإنْ كان مقصوده فيها يحتمل معنىٰ صحيحًا، لذا نفر

(١) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم٢)، «**إحكام الأحكام**» (٣/ ٢٠٠).

(٢) **الحشوية**: يطلق علىٰ مِنْ صرح بالتشبيه، مثل الهشامين مِنَ الشيعة، وغيرهم مِنَ المشبهة، ويخصه بعضهم بالمبالغين في الإثبات، علىٰ أنَّ هذا اللفظ يطلق في كثير مِنَ الأحيان تعريضًا بمثبتة الصفات مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة. «**الملل والنحل**» (١/ ١٠٥)، «**حاشية الصنعاني**» (٤/ ٢٨٤).

(٣) «**شرح الإلمام**» (٣/ ٢١٦، ٢١٧، ٤٢٢)، «**فتح الباري**» (١/ ٣٨٩).

(٤) أبو محمد سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي، القاضي المصري الحنبلي. سمع مِنَ الرضا ابن البرهان. كان عارفًا بمذهب الحنابلة، لكن كلامه في الحديث، أجود مِنْ كلامه في الفقه. كتب بخطه الحسن الكثير. حجّ مرات، وألقىٰ الدروس بعدة مدارس، وولي القضاء سنتين ونصفًا، وكان سنيًّا أثريًّا علىٰ مبالغة. له تصانيف عدة، منها شرح قطعة مِنَ المقنع. توفي بالقاهرة سنة ٧١١هـ. «**ذيل طبقات الحنابلة**» (٤/ ٣٨٧)، «**المقصد الأرشد**» (٣/ ٢٩).

(٥) «**رفع الإصر**» ص٤٣٤.

منه الإمام **ابن دقيق العيد** لإغراقه في الكلام، وكان مستقر رأي **ابن دقيق العيد** عدم الخوض في الكلام علىٰ وفق نظام عقائد عجائز نيسابور، كما هي طريقة محدثي الأشاعرة وفضلائهم.

ويؤخذ أيضًا علىٰ الإمام ابن دقيق العيد ﷺ في هذا الباب ثلاثة أمور:

الأمر الأول: ذكر المترجمون أنَّ الشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد** ﷺ كان مغرىٰ بالكيمياء، معتقدًا صحتها، وأنفق فيها مالًا وعمرًا، ويقال: إنَّ ذلك لأنه اتفق له في مدينة قوص لما كانوا بها مَنْ صنعها بحضوره(١).

الأمر الثاني: أنَّ الإمام **ابن دقيق العيد** كان له ميلٌ إلىٰ التصوف، وفي عباراته ما يوافق عبارة القوم، وفيما جاء عنه مِنَ القصص دلالات علىٰ ذلك:

- فقد كان له اعتقاد حسن في المشايخ، وأهل الصلاح، حتىٰ أنه كان يزور بعض المشايخ، فإذا بلغ إلىٰ بابه نزل عن البغلة، ونزع الطيلسان والعمامة، ودخل عليه بطاقية علىٰ رأسه(٢).

- قال عن تلميذه **أبي الحسن الشاذلي**(٣): ما رأيتُ أعرف بالله مِنَ الشاذلي(٤).

- ذُكِرَ عنه أنه تعجب مِنْ شذوذ الشيخ **عبد القادر الجيلاني** عن موافقة الجمهور مِنَ المشايخ العارفين والعلماء المحققين في مسألة الجهة المعروفة،

---

(١) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٤)، «**الضوء اللامع**» (١٠/ ٦٠).

(٢) «**مرآة الجنان**» (٤/ ١٧٧).

(٣) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي. رأس الطائفة الشاذلية. ولد في «**غمارة**» بريف المغرب سنة ٥٩١هـ. كان ضريرًا. تفقّه وتصوّف بتونس، وسكن «**شاذلة**» قرب تونس، فنسب إليها. وطلب «**الكيمياء**» في ابتداء أمره، ثم تركها، ورحل إلىٰ بلاد المشرق فحج ودخل بالعراق. ثم سكن الإسكندرية. له الأوراد المسماة «**حزب الشاذلي**»، ولابن تيمية رد عليه. وله: «**الأمين**» في آداب التصوف. توفي بصحراء عيذاب في طريقه إلىٰ الحج سنة ٦٥٦هـ. «**الوافي بالوفيات**» (٢١/ ١٤١)، «**الأعلام**» للزركلي (٤/ ٣٠٥).

(٤) «**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**» (١/ ٥٢٠).

فرجع الشيخ عبد القادر الكيلاني عن ذلك لما بلغه مِنْ تعجب الإمام **ابن دقيق العيد** مِنْ شذوذه[١].

وهذه القصة: ربما تفسر موقف **ابن دقيق العيد** المتشدد مِنَ **الحارثي الحنبلي**.

- **وقد نقل عنه مترجموه**: أنه كان له نصيب مما ينسب إلىٰ الصالحين من الكرامات، وما يعزىٰ إليهم من المكاشفات، وكان يتكلم علىٰ الخواطر، ويخبر بأمور ستأتي، فيقع كما قال، وجُرّب[٢].

- **في سنة الغلاء**: مرَّ **أبو العباس المرسي** في القاهرة: بأناس يزدحمون علىٰ دكان الخباز، فرَقَّ عليهم، فوقع في نفسه لو كان معي دراهم لآثرت هؤلاء بها، فأحس بثقل في جبته، فأدخل يديه فوجد دراهم جملة، فدفعها إلىٰ الخباز، وأخذ بها خبزا فرَّقه عليهم، فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زيوفًا، فاستغاث به، فعاد، ووقع في نفسه أنّ ما وقع في نفسي أولًا مِنَ الرقة اعتراض علىٰ الله، وأنا أستغفر الله منه، فلما عاد وجد الخباز الدراهم جيدة، فانصرف **أبو العباس**، وجاء إلىٰ الشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد**، وحكىٰ له الحكاية، فقال **ابن دقيق العيد** له: يا أستاذ، أنتم إذا رقيتم علىٰ أحد تزندقتم! ونحن إذا لم نرقّ علىٰ الناس تزندقنا!

يقول السبكي: تأمّل أيها المسترشد ما تحت هذا الجواب مِنَ المعنىٰ الحقيقي، فقد أشار الشيخ به والله أعلم إلىٰ أنَّ الفقير يطّلع علىٰ الأسرار؛ **فكيف يرق ولا يقع شيء في الوجود إلا لحكمة اقتضته؟** ومَنِ اطّلع علىٰ الذنب لم يرق للعقوبة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: ٢]، والفقيه

---

(١) «**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**» لليافعي (٣/ ٢٧٢).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٧-٥٧٩، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٤٧، ١٤٨)، «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٨٥، ٥٨٧)، «**مرآة الجنان**» (٣/ ٢٧٢، ٤/ ١٧٧)، «**طبقات السبكي**» (٩/ ٢١١)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٦، «**حسن المحاضرة**» (١/ ٥٢٠).

لا اطلاع له علىٰ ذلك فيرق ديانة ورأفة، ولهذا الكلام شرح طويل، ليس هذا موضعه، فلنمسك العنان[1].

قلت: ليته هو أمسك بالعنان ولم يعلِّق أصلًا؛ **فمَنْ هذا الفقير الذي يطلع علىٰ الأسرار؟** وقد اختص الله بالغيب عنده إلَّا لمن أذن له بما يشاء، ولعله قصد بالأسرار ما يفتح الله علىٰ أوليائه من الحكمة ومعرفة أسرار الخلق.

- وقد رَكِبت الإمام **ابن دقيق العيد** ديونٌ كثيرة، ولم يجد لها وفاء، فرحل إلىٰ الشيخ الكبير ذي الكرامات والمجد والمفاخر، العارف بالله الشهير **ابن عبد الظاهر** -قدَّس الله روحه- فلما وصل إليه سلَّم عليه، فقدم له الشيخ مأكولًا، ومِنْ جملته سميط[2]. وكان مِنْ عادته لا يأكل السميط لأنه شوي وفيه أثر الدم، فلما وضع بين يديه قال له تلميذ له: يا سيدي، هذا سميط، فقال له: ليس هذا موضع ذاك، يعني الموضع الذي ننكره ونترك أكله فيه. يريد أنَّ هذا موضع موافقة الشيخ في كل ما يفعله واحترامه وإجلاله، فأكل مِنْ ذلك، فلما فرغ مِنَ الأكل إذا بالفقراء قد قدموا آلة السماع، وكان مِنْ عادته لا يحضر السماع، فقال له تلميذه: يا سيدي أراهم قد قدموا آلة السماع، فقال له: اسكت، ما هذا موضع ذاك، بل هذا موضع ما قدمنا ذكره مِنَ الاحترام والتسليم، فسمع الفقراء وهو حاضر ساكت، فلما انقضىٰ سماعهم. قال الشيخ منشدًا البيت المشهور للمتنبي:

وفي النفس حاجات، وفيك فطانة　　　سكوتي بيان عندها وخطاب

فقال له الشيخ (رضي الله تعالىٰ عنه): انقضت الحاجة، فخرج مِنْ عنده، ورجع إلىٰ القاهرة، فوجد ديونه قد قضيت، وردَّت الدفاتر التي كتب فيها الدين، وذلك أنَّ الوزير الكبير الشهير ذو المكارم الشهير المعروف **بابن حناء** سأل عنه،

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٣).

(٢) **السميط**: الشاة المشوية إذا نزع جلدها، وعُلِّقت فِي التَّنور. «**تفسير غريب ما في الصحيحين**» ص٢٥٩، «**تاج العروس**» (١٩/ ٣٧٩).

فقالوا: قصد الشيخُ **ابنَ عبد الظاهر** لدين عليه، فاستدعىٰ بأرباب الديون، فأعطاهم ديونهم، وأخذ منهم الأوراق المكتوبة بذلك[1].

- **ولما جاءت التتار ٦٨٠هـ، ورد مرسوم السلطان إلىٰ القاهرة بعد خروجه للقائهم**: أنَّ علىٰ أهل مصر أنْ يجتمع علماؤها، ويقرؤوا «**البخاري**»، فاجتمع جماعة مِنَ المحدثين للقراءة، وبقي ميعاد آخر يوم الجمعة حتىٰ يختموه، فلما كان يوم الجمعة رأوا الشيخ **تقي الدين** بالجامع، فسلموا عليه فقال: **ما فعلتم ببخاريِّكم**؟ قالوا: بقي ميعادٌ آخر لنكمِّله اليوم. فقال: انفصل الحال مِنْ أمس العصر، وبات المسلمون علىٰ كذا. فقالوا له: **بيقين**؟ فقال: أو يقال هذا عن غير يقين! فقالوا له: **عن معاينة أو بخبر**؟ قال: بل عن خبر، ولقد كنا بقوص نُخبر بأخبارهم في وقعة «**عين جالوت**»[2] منزلة منزلة في قدومهم وذهابهم. فقلنا: **نخبر عنك**؟ فقال: نعم، فجاء الخبر بعد أيام بذلك[3].

- **ولما خرج الأمير علمُ الدين الدَّواداري مسافرا**: توجَّه الجماعة مودعين، منهم **أبو عمرو سيد الناس** وأمثاله، ودعوا له، وقالوا: نراك في خير إنْ شاء الله تعالىٰ وعافية، فقال: هذا الشيخ متاعكم **ابنُ دقيق العيد** يقول: إني ما أرجع، فقالوا: يكذبوا عليه، فلما حضروا إلىٰ الشيخ أخبروه قال: نعم، ما بقي يرجع، فلم يرجع[4].

- **وكان نور الدين ابن الصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي**: جرىٰ منه شيء، فتألم الشيخ منه، فأخبرني **الزبيري** أنَّ الشيخ دعا عليه، فاتفقت وفاته في تلك المدة[5].

---

(١) «**مرآة الجنان**» (٤/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) **عين جالوت**: بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس، وقد دارت فيها معركة فاصلة بين المسلمين بقيادة سيف الدين قطز سلطان مصر، والتتار بقيادة كتبغ، سنة ٦٥٨هـ. وانتهت بهزيمة التتار هزيمة ساحقة وحاسمة مع التتار. «**الطالع السعيد**» ص٥٧٨.

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٧، ٥٧٨، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١١).

(٤) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٨ «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١١).

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٨ «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١١).

- **وكان ابن الأرسوفي وصَّىٰ بوصية ومات**: فقال الصاحب **تاج الدين** - وكان في نفسه مِنَ الشيخ **تقي الدين**- لفقير مِنَ المصريين: رحْ إلىٰ الشيخ، واطلب منه شيئًا مِنَ الوصية، وقل: كذا وكذا، فإذا فرغت، قل له: لو كان فلان القوصي وفلانة دفعتَ لهم. ورتَّبه، فحضر بجامع مصر وذكر ما رُتِّب فيه، فلما فرغ وخرج رفسه بغل، فمات مِنْ ساعته[1].

- **وحكاية ابن القصري مشهورة**: وأنَّ الشيخ قال له: نُعيتَ لي في هذا المجلس ثلاث مرات، فمات بعد ثلاثة أيام[2].

ولا حاجة إلىٰ القول: إنَّ الإمام **ابن دقيق العيد** كان بعيدًا عن الطريقة الغالية في التصوف، ويدل علىٰ ذلك ما نقله عنه **الذهبي** أنه قال: جلست مع **ابن سبعين**[3] مِنْ ضحوة إلىٰ قريب الظهر، وهو يسرد كلامًا تعقل مفرداته، ولا تعقل مركباته![4].

وقال شمس الدين الأكفاني: دخل الشيخ كريم الدين مرة إلىٰ الشيخ **تقي الدين ابن دقيق العيد**، وتكلم زمانًا طويلًا والشيخ ساكت، فلما خرج مِنْ عنده؛ قال للحاضرين: هل فيكم مَنْ فهم عنه تراكيب كلامه، لأني أنا ما فهمت غير مفرداته![5].

وقال الذهبي: قال الشيخ **عز الدين ابن عبد السلام** في ابن العربي[6] هذا: شيخ سوء، كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجًا.

---

(١) **«الطالع السعيد»** ص٥٧٩ **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ٢١١).

(٢) **«الطالع السعيد»** ص٥٧٩ **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٩/ ٢١١).

(٣) عبد الحق بن إبراهيم ابن سبعين، أبو محمد قطب الدين الإشبيلي. ولد سنة ٦١٣هـ.أحد زهّاد الفلاسفة، والقائلين بوحدة الوجود. درس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلىٰ سبتة، وحج، واشتهر أمره. شَرَحَ كتاب إدريس عليه السلام الّذي وضعه في علم الحرف. له رسائل ابن سبعين. مات سنة ٦٦٩هـ. **«الوافي بالوفيات»** (١٨/ ٣٧)، الأعلام (٣/ ٢٨٠).

(٤) **«الوافي بالوفيات»** (١٨/ ٣٧).

(٥) **«أعيان العصر وأعوان النصر»** (٣/ ١٣٤).

(٦) يعني ابن عربي الصوفي.

قال الذهبي: هكذا حدثني شيخنا **ابن تيمية الحراني**، به عن جماعة حدثوه، عن شيخنا **ابن دقيق العيد**، أنه سمع الشيخ **عز الدين** يقول ذلك. وحدثني بذلك المقاتلي، ونقلته مِنْ خط **أبي الفتح ابن سيد الناس** أنه سمعه مِنَ **ابن دقيق العيد**(١).

الأمر الثالث: القول بجواز التبرك بالصالحين:

عن **أبي جحيفة** رضي الله عنه قال: «**رأيت بلالًا أخرج وضوءًا، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء؛ فمَنْ أصاب منه شيئًا تمسح به، ومَنْ لم يصب منه أخذ مِنْ بلل يد صاحبه**»(٢).

قال الإمام ابن دقيق العيد: يؤخذ مِنَ الحديث التماس البركة بما لابسه الصالحون بملابسته؛ فإنه ورد في الوضوء الذي توضأ منه النَّبي ﷺ، ويعدَّىٰ بالمعنىٰ إلىٰ سائر ما يلابسه الصالحون(٣).

وتعقبه الصنعاني: بأنْ تعديته إلىٰ ما يلابسه غيره مِنْ أهل الصلاح محل توقف؛ لأنَّ هذه التعدية بالقياس، ولا يعلم أنَّ أحدًا مِنَ الصالحين في رتبته ﷺ حتىٰ يلحق به، كما هو مقتضىٰ القياس(٤).

قلت: مأخذ المسألة إذن قياسي؛ فمن صحَّح قياس التبرك بآثار الصالحين علىٰ التبرك بآثار النَّبي ﷺ أجاز، ومَنْ أفسده منع، ولذا فلا ينبغي أنْ يغلظ فيها الكلام ما دام أنَّ الفقهاء أنفسهم اختلفوا في إجراء القياس فيها أو منعه؛ فهي مسألة برتبة فقهية، تتردد بين الصواب والخطأ، والقائل بالمنع أسعد بالدليل، فإنَّ الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تبركوا بآثار النَّبي ﷺ لم يعرف عنهم الاشتغال بعده بالتبرك بآثار كبار أصحابه، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) «**تاريخ الإسلام**» (١٤/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٨٤ رقم ٣٧٦) في كتاب «**الصلاة**»: باب: «**الصلاة في الثوب الأحمر**».

(٣) «**إحكام الأحكام**» (٢/ ١٧٥).

(٤) «**العدة حاشية الصنعاني**» (٢/ ١٧٥).

الأمر الرابع: تأويل بعض النصوص إذا كان قريبا مستعملا في لغة العرب[1]:

ومِنْ أمثلة ذلك:

المثال الأول: تأويل صفة اليد:

قرر ابن دقيق العيد: أنَّ مِنْ معاني اليد المجازية: الاهتمام بالشيء وفعله بغير واسطة: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سُورَةُ صٓ: **٧٥**]؛ فإنه خُلِقَ باختراع الله تعالىٰ الذي ليس إلَّا الله تعالىٰ، قال بعضهم: وخص لفظ اليد؛ إذا صور لنا المعنىٰ إذ هي أجل الجوارح التي يتولىٰ بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنىٰ لا لنتصور منه تشبيها[2].

المثال الثاني: تأويل حديث: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله مِنْ رائحة المسك»[3]:

قال ابن دقيق العيد: التنزيه عن الجسمية ولوازمها توجب استحالة الاستلذاذ بالروائح في حق الله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي هو ثابتٌ فينا[4].

ولما كانت لفظة: «أطيب» مذكورة في الحديث كان مِنْ وظائف الشارح أنْ يعرض لمعناها، وينظر **هل يمكن إجراؤها علىٰ ظاهرها المعلوم في العادة أو لا؟** فإنْ لم يكن نظر في وجه المجاز، فهذا داعٍ إلىٰ بيان استحالة إرادة المعنىٰ الظاهر منها عرفًا.

---

(١) قال ابن حجر: (وقد اختلف في معنىٰ النزول علىٰ أقوال . . ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعملًا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدًا مهجورًا، فأوَّل في بعض وفوض في بعض، وهو منقول عن مالك، وجزم به مِنَ المتأخرين ابن دقيق العيد) «**فتح الباري**» (٣/ ٣٠).

(٢) «**شرح الإلمام**» (٣/ ٤٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤ رقم ١٨٩٤) في كتاب: «**الصوم**»: باب: «**فضل الصوم**»، ومسلم (٢/ ٨٠٧ رقم ١١٥١) في كتاب: «**الصيام**»: باب: «**فضل الصيام**»، مِنْ حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «**شرح الإلمام**» (٣/ ٢١٦).

والذي قاله مِنَ استحالة الاستلذاذ علىٰ الوجه المعلوم في العرف متفق عليه بين المتكلم والمتفلسف المشتَرِكين في التنزيه، وإنما اختلفا في اللذة العقلية، وليس هذا موضع الكلام علىٰ ذلك، وإنما يجوِّز هذا الظاهرَ الحشويُّ المصرِّح المبرح بالجسمية، والإلغاء للغيرية[1].

المثال الثالث: تأويل صفة الحياء:

قال ابن حجر: الحياء لغة تغير وانكسار، وهو مستحيل في حق الله تعالىٰ، فيحمل هنا علىٰ أنَّ المراد أن الله لا يأمر بالحياء في الحق أو لا يمنع مِنْ ذكر الحق، وقد يقال إنما يحتاج إلىٰ التأويل في الإثبات، ولا يشترط في النفي أنْ يكون ممكنًا لكن لما كان المفهوم يقتضىٰ أنه يستحيي مِنْ غير الحق عاد إلىٰ جانب الإثبات، فاحتيج إلىٰ تأويله، قاله **ابن دقيق العيد**[2].

قلت: هذا أقصىٰ ما وقفت عليه مما يمكن تسجيله مؤاخذات علىٰ الإمام **ابن دقيق العيد** في باب الاعتقاد وما يضاف من مسائل إلىٰ أصول الدين.

ويُرجع في دراستها وبيان وجه الصواب فيها: إلىٰ مظانّ ذلك مِنْ كتب أهل العلم، وليس منها هذا الموطن، فإنه موضع ترجمة وإشارات، والله أعلم.

التقريرات الجيدة للإمام ابن دقيق العيد رحمه الله في مسائل الاعتقاد:

يجدر بنا الآن بعد دراسة المآخذ علىٰ **الإمام ابن دقيق العيد** تسجيل التحريرات الحسنة التي حُفِظَت عنه في باب الاعتقاد؛ فإنَّ هذا يقتضيه مقام العدل والإنصاف، ومما حفظ عنه في هذا الباب ما يلي:

- **ما يتعلق بمسائل الصحابة:**

يقول رحمه الله: ما نُقِلَ عنهم فيما شجر بينهم، واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل وكذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحًا أوَّلناه علىٰ أحسن التأويلات، وطلبنا

---

(١) «**شرح الإلمام**» (٣/ ٢١٧).

(٢) «**فتح الباري**» لابن حجر (١/ ٣٨٩).

له أجود المخارج؛ لأنَّ الثناء عليهم مِنَ الله سابق، وما ذُكِرَ مِنَ الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل الملحق المعلوم، وعلىٰ هذا أئمة الفتوىٰ، وأكابر أصحاب الحديث المتمكنين بالسُّنَّة(١).

● الألفاظ المشكلة بين الإثبات والتأويل:

أولا: القاعدة عند المتكلمين المنتسبين إلىٰ السنة: أنَّ كل ما ورد في القرآن العظيم، وصحَّت به الرواية عن رسول الله ﷺ فإنه يجب أنْ يعتقد علىٰ ما هو عليه مِنَ الظاهر من غير تأويل إذا كان ظاهرُه جائزًا في العقل، وننزه الله تعالىٰ عما لا يليق بجلاله، ونؤمن بأنها حق وصدق علىٰ الوجه الذي أراده الله ورسوله(٢).

قلت: قوله: «**إذا كان ظاهره جائزا في العقل**» يحتمل أنْ يريد به معنىٰ صحيحًا، وسيضرب له بعض الأمثلة، كما سيأتي، ويحتمل أيضًا: أنه يريد منه تأويل بعض الصفات الخبرية والفعلية التي يدَّعىٰ منافاة إثباتها للعقل، ويدل علىٰ هذا القصد ما تبع ذلك مِنَ الكلام علىٰ التنزيه.

ثانيًا: يفرِّق الإمام **ابن دقيق العيد** في الألفاظ المشكلة الواردة في الكتاب والسُّنَّة: بين ما كان تأويله قريبًا مستعملًا في كلام العرب، وبين ما كان بعيدًا مهجورًا، فالتأويل يختلف باختلاف المَحال:

١- فمَنْ أوَّل شيئًا منها؛ فإنْ كان تأويله قريبًا علىٰ ما يقتضيه لسان العرب ونفهمه مِنْ مخاطباتها لم ننكر عليه ولم نبدعه.

٢- وإنْ كان تأويله بعيدًا [توقفنا](٣) عن قوله، واستبعدناه، ورجعنا إلىٰ القاعدة في الإيمان بمعناه، والتصديق به علىٰ الوجه الذي أريد به مع التنزيه.

---

(١) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم ٤).

(٢) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم ٤)، «**شرح الإلمام**» (٤/ ٤٧٠).

(٣) العبارة في المخطوطة [لوقفنا]، والتصحيح مِنْ كتاب «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (طبقة دار الكتبي ٥/ ٤١).

٣- وما كان معناه مِنْ هذه الألفاظ ظاهرًا مفهومًا في تخاطب العرب قلنا به، وأولناه مِنْ غير توقف فيه(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): وقسْ علىٰ ذلك، وهو تفصيل بالغ قلَّ مَنْ تيقَّظ له(٣).

ثالثا: الحكم علىٰ التأويل بالجواز أو البدعة أو الكفر يختلف بحسب مراتب دلالات الظاهر، وفي دلالتها تفاوت:

المرتبة الأولىٰ: ما انتهىٰ إلىٰ القطع بأن المراد الظاهر وما دل عليه اللفظ، وذلك لكثرة ورود الأمثال، وقيام القرائن، وما تلقته الأمة خلفًا عن سلف، بحيث يحصل لهم العلمُ القطعي بإرادة الظاهر، ومنه: الإيمان بحدوث العالم، وحشر الأجساد: جزمنا بذلك، والمخالف في ذلك كافر خارج عن الملة، وما يبديه مِنَ التأويلات، كما يفعله الفلاسفة المنسوبون إلىٰ الإسلام فهو مردود عليه، للقطع في مثل هذه المسائل.

وقد أشار ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك:** إلىٰ تكفير الغزالي(٤) للفلاسفة لأمور ثلاثة:

١- القول بقدم العالم.

٢- إنكار حشر الأجساد.

---

(١) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم٢)، «**فتح الباري**» (١٣/ ٣٨٣).

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أبو الفضل الشافعي. الحافظ. ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ. لازم البُلقيني والعراقي، وأخذ عنه السخاوي، اشتهر في حياته. له: فتح الباري، ولسان الميزان. مات سنة ٨٥٢ هـ. «**الضوء اللامع**» (٢/ ٣٦)، «**البدر الطالع**» (١/ ٨١).

(٣) «**شرح الإلمام**» (٤/ ٤٧٠)، «**فتح الباري**» (١٣/ ٣٨٣).

(٤) محمد بن محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الغزالي الشافعي. حجة الإسلام. ولد سنة ٤٥٠هـ. لازم الجويني، وأخذ عنه ابن العربي. برع في الفقه والكلام. كان متنسكًا، اعتزل الناس بعد اشتهاره. له: المستصفىٰ في الأصول، والبسيط والوسيط والوجيز في الفقه، وإحياء علوم الدين في السلوك. توفي سنة ٥٠٥هـ. «**وفيات الأعيان**» (٤/ ٢١٦)، «**سير أعلام**» (١٩/ ٣٢٢).

٣- إنكار العلم بالجزئيات[١].

وأنَّ بعض المتأخرين ممن يدعي الحذق في المعقولات، ويتكلم في الفلسفة مِنَ الأندلسيين[٢] أراد أنْ يشوش فيما قال، وزعم أنَّ في تكفير مَنْ خالف الإجماع خلافا، وهذه سَقْطة راسبة، وعثرة لا لعًا لها[٣]، إمَّا عن عمىً في البصيرة، أو عن تعامٍ؛ لأنَّ حدوث العالم مِنْ قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل.

وبيَّن الإمام ابن دقيق العيد أن الحق فيها: أنَّ المسائل الإجماعية إنْ صحبها التواتر في الإخبار عن صاحب الشرع، كالصلاة، فإنه لا شك في تكفيره مِنْ جهة المخالفة فيما يثبت بالتواتر عن صاحب الشرع لا لأجل مخالفة الإجماع، فهو مِنْ قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل عن صاحب الشريعة، وإنْ لم يصحبها التواتر فلا يكفر، وليس وقوع الإجماع مما يلازمه التواتر؛ فإنَّ الإجماع قد يقع علىٰ مقتضىٰ خبر الواحد، وليس مما تواتر عن الرسول ﷺ[٤].

قال الزركشي رحمه الله[٥]: هذا هو الصواب، وعليه فلا ينبغي عدّ جحد المجمع عليه في أنواع الردة[٦].

---

(١) وذلك في كتابه تهافت الفلاسفة.

(٢) يريد ابن رشد الحفيد في كتابه تهافت التهافت.

(٣) **لا لعًا لها**: أي لا إقامة لها. لسان العرب (**مادة**: لعا)، تاج العروس (**مادة**: لعو).

(٤) «**إحكام الأحكام**» (٤/ ٣٠٠)، «**فتح الباري**» لابن حجر (١٢/ ٢٠٢)، «**مغني المحتاج**» (٤/ ١٣٥)، «**شرح البهجة الوردية**» (٥/ ٧٧).

(٥) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي التركي المصري. ولد سنة ٧٤٥هـ. عني بالاشتغال مِنْ صغره، وأخذ عن ابن كثير والإسنوي والبُلقيني ولازمه. كان منقطعًا لا يتردَّد إلىٰ أحد إلا إلىٰ سوق الكتب، وإذا حضره لا يشتري شيئا، وإنما يطالع ويُعَلِّق، ثم يرجع، فينقله إلىٰ تصانيفه. له: «**البحر المحيط**»، و«**شَرَحَ علومَ الحديث لابن الصلاح**». مات بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ. «**الدرر الكامنة**» (٣/ ٣٩٧)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٣/ ١٦٧).

(٦) «**شرح البهجة الوردية**» (٥/ ٧٧).

المرتبة الثانية: ما استفاض استفاضة لا تنتهي إلىٰ القطع بدَّعناه.

المرتبة الثالثة: ما تقل فيه الألفاظ، ولا تقوم فيه الألفاظ المفيدة للقطع، فهذه المرتبة لا يليق بها التشديد، ولا يبدع فيها المخالف في التأويل، ولا يعادىٰ في الدين، كما فعل الجهال، فينبغي أن يُتحرَّز فيها عن التكفير والتبديع، ولقد أكثر الخياطُ مِنَ الحنابلة في تكفير الناس[1]، وجَسَرَ عليهم في ذلك جسارة، لعلها أنْ تعقبه خسارة، فاحترز علىٰ نفسك مِنْ هذا إن كان لك بها عناية، ولسلامتها مِنْ عذاب الله رعاية[2].

المرتبة الرابعة: ما هو متوسط، وهو أنْ تكثر تلك الألفاظ كثرة لا تنتهي إلىٰ الدرجة الأولىٰ، ولا تنحط عن السفلىٰ، فهذه المرتبة هي محل الإشكال، وفيها يقع الاختلاف، ومِنَ الناس من يلحقها بالمرتبة الأولىٰ فيكفر أو يبدع، ومنهم من يلحقها بالمرتبة الأخرىٰ فيتأول.

وبحسب اختلاف هذه المراتب: وقعت طامةٌ أوجبت افتراق الأمة، ورمي بعضهم بعضًا بالتكفير أو التبديع، وتساهل آخرون فيما يجب فيه التشديد[3].

رابعًا: لم يكتف الإمام ابن دقيق العيد بالتقرير النظري، فبسط في ذلك الأمثلة يفسر فيها ما قعَّده، فكشف عن سلامة مرامه، وصحة أساسه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أ- مثل قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٥٦]، فإنَّ المراد به في استعمالهم الشائع حق الله، فلا يتوقف في حمله عليه.

---

(١) لم يتبين لي رجل من الحنابلة اجتمع له هذا اللقب (الخياط)، وهذا الوصف (تكفير الناس).

(٢) «**شرح الإلمام**» (٤/ ٤٧٠).

(٣) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم٢)، «**إحكام الأحكام**» (٣/ ١٩٤، ١٩٦)، «**شرح الإلمام**» (٤/ ٤٦٨)، «**فتح الباري**» (١٣/ ٣٥٧).

ب- وكذا قوله عليه الصلاة والسلام: «**قلب المؤمن بين أصبعين مِنْ أصابع الرحمن**»(١)، فإنَّ المراد به إرادة قلب ابن آدم مصرفة بقدرة الله وما يوقعه فيه، وهكذا ترد الأمور الظاهرة المعنىٰ عند سامعها ممن يعرف كلام العرب(٢).

ت- وكذا قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، معناه: خرب الله بنيانهم.

ث- وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، معناه: لأجل الله.

ج- قوله ﷺ: «**لأنها صفة الرحمن**»(٣)، يحتمل أنْ يكون مراده أنَّ فيها ذكر صفة الرحمن، كما لو ذكر وصف فعبر عن الذكر بأنه الوصف وانْ لم يكن نفس الوصف، ويحتمل غير ذلك إلَّا أنه لا يختص ذلك بهذه السورة، لكن لعل تخصيصها بذلك لأنه ليس فيها إلَّا صفات الله ﷻ، فاختصت بذلك دون غيرها.

ح- قوله: «**أخبروه أنَّ الله يحبه**».

يقول ابن دقيق العيد: يحتمل أنْ يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أنْ يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرَّب دالة علىٰ صحة اعتقاده(٤).

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين مِنْ أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**» أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤) في كتاب القدر: باب تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف شاء.

(٢) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم ٢).

(٣) عن عائشة رضي الله عنها: «**أنَّ رسول الله ﷺ بعث رجلا علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أنْ أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يحبه**» أخرجه البخاري (٩/ ١١٤رقم ٧٣٧٤) في كتاب «**التوحيد**»: باب: «**ما جاء في دعاء النَّبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تبارك وتعالىٰ**»، ومسلم (١/ ٥٥٧، رقم: ٨١٣) في كتاب: «**صلاة المسافرين وقصرها**»: باب: «**فضل قراءة: قل هو الله أحد**».

(٤) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (اللوح رقم٢)، «**فتح الباري**» (١٣/ ٣٥٧).

خـ- قوله: «**ما مِنْ أحد أغير مِنَ الله مِنْ أنْ يزني عبده أو تزني أمته**»[1].

يقول ابن دقيق العيد: المنزهون لله تعالىٰ عن سمات الحدث ومشابهة المخلوقين بين رجلين: إمَّا ساكت عن التأويل، وإما مؤول علىٰ أن يريد شدة المنع والحماية من الشيء؛ لأنَّ الغائر علىٰ الشيء مانع له، وحام منه، فالمنع والحماية مِنْ لوازم الغيرة، فأطلق لفظ الغيرة عليهما من مجاز الملازمة أو علىٰ غير ذلك مِنَ الوجوه السائغة في لسان العرب، والأمر في التأويل وعدمه في هذا قريب عند مَنْ يسلم التنزيه؛ فإنه حكم شرعي، أعني الجواز وعدمه، ويؤخذ كما تؤخذ سائر الأحكام، إلَّا أنْ يدعي المدعي أنَّ هذا الحكم ثبت بالتواتر عن صاحب الشرع، أعني المنع مِنَ التأويل ثبوتًا قطعيًّا، فخصمه يقابله حينئذ بالمنع الصريح، وقد يتعدىٰ بعض خصومه إلىٰ التكذيب القبيح[2].

د- **بيَّن الإمام ابن دقيق العيد**: خطأ قول بعض المغالين في الإثبات بأنَّ ما جاء مِنْ طلوع الشمس بين قرني الشيطان حقيقة علىٰ ظاهره مِنْ غير تكييف، ومحل الاستدراك أنَّ قوله: «**مِنْ غير تكييف**» لا ضرورة إليه، وإنما نضطر إلىٰ ذلك فيما يستحيل ظاهره علىٰ الله تعالىٰ، والقرن غير مستحيل علىٰ الشيطان، اللّهم إلَّا أنْ يريد يقوله: «**مِنْ غير تكييف**» مِنْ غير تعيين للمراد مِنَ المحامل الجائزة[3].

قلت: في ذيل كلام **ابن دقيق العيد** تعقّب علىٰ ما ورد في صدر كلامه؛ فإنَّ المقصود مِنْ نفي التكييف هو نفي تحديد قدر زائد للصفة لم يأت به النص، وإنْ كانت إشارته مليحة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٤ رقم ١٠٤٤) في أبواب الكسوف: باب: «**الصدقة في الكسوف**»، ومسلم (٢/ ٦١٨ رقم ٩٠١) في كتاب: «**الكسوف**»: باب: «**صلاة الكسوف**»، مِنْ حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) «**إحكام الأحكام**» (٣/ ١٩٤، ١٩٦).

(٣) «**شرح الإلمام**» (٤/ ٤٦٨).

خامسًا: التكفير بمخالفة الإجماع:

اعتبر الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ التكفير بمخالفة الإجماع ليس بالهين[1].

وبيَّن أن القانون الصحيح: ألَّا يكفر أحدٌ مِنْ أهل القبلة إلَّا بإنكار متواتر مِنَ الشريعة عن صاحبها، وحينئذ يكون مكذبًا للشرع، وليس مخالفة القواطع مأخذًا للتكفير، وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقًا ودلالة[2].

وقال ابن حجر: قال شيخنا في شرح الترمذي -يعني البلقيني-: الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه مِنَ الدين بالضرورة كالصلوات الخمس[3].

قال الصنعاني: هذا هو الإنصاف[4].

وعبر بعضُ أصحاب الأصول عن هذا بما معناه: إنَّ مَنْ أنكر طريق إثبات الشرع لم يكفر كمن أنكر الإجماع، ومَنْ أنكر الشرع بعد الاعتراف بطريقه كفر لأنه مكذب[5].

وحث ابن دقيق العيد: علىٰ الرجوع فيه إلىٰ ما ثبت في النفس عن التأمل في مصادر الشريعة ومواردها[6].

---

(١) **«إحكام الأحكام»** (٤/ ٣٠٠)، **«شرح البهجة الوردية»** (٥/ ٧٧).

(٢) **«إحكام الأحكام مع حاشية الصنعاني»** (٤/ ٢٨٦)، **«شرح الإلمام»** (٤/ ٣١٦)، **المنثور «في القواعد الفقهية»** (٣/ ٩١، ٩٢)، **«فتح الباري»** (١٢/ ٢٠٢).

(٣) **«فتح الباري»** (١٢/ ٢٠٢).

(٤) **«حاشية الصنعاني»** (٤/ ٢٨٦).

(٥) **«إحكام الأحكام مع حاشية الصنعاني»** (٤/ ٢٨٦)، **«شرح الإلمام»** (٤/ ٣١٦)، **«فتح الباري»** (١٢/ ٢٠٢).

(٦) **«شرح الإلمام»** (٤/ ٣١٥-٣١٧)، **«إحكام الأحكام»** (٤/ ٣٠٠).

سادسًا: تكفير المسلمين:

قال ابن دقيق العيد: (لا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا بإنكار قطعي من الشريعة)[1].

ومَنْ وصف غيره بالكفر فقد رتب عليه الرسولُ ﷺ قوله: «**حار عليه**»[2]، أي: رجع عليه، وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدًا مِنَ المسلمين، ولم يكن كذلك، وهي ورطة[3] عظيمة، وقع فيها خلقٌ كثير مِنَ المتكلفين، ومِنَ المنسوبين إلىٰ السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا علىٰ مخالفهم، وحكموا بكفرهم، وخَرَق حجابَ الهيبة في ذلك جماعة مِنَ الحشوية، وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك[4].

ويرىٰ الصنعاني: أنَّ أحق الفرق بأنهم خرقوا حجاب الهيبة في باب التكفير هم الخوارج؛ فإنهم كفروا المسلمين، وأول مَنْ كفروه رأس المسلمين وسابقهم إليه أمير المؤمنين، وهم قائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار[5].

سابعًا: سبب القول بتكفير المبتدعة:

قال ابن دقيق العيد: (قد اختلف الناس في التكفير وسببه، حتىٰ صُنِّف فيه مُفْردًا)[6].

---

(١)) «**فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**» (٢/ ٧٣).

(٢) عن أبي ذر ﷺ، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلَّا حار عليه**» أخرجه مسلم (١/ ٧٩) في كتاب الإيمان: باب بيان حال إيمان مَنْ رغب عن أبيه وهو يعلم.

(٣) **ورطة**: الهلاك، وأصلها الوحل تقع فيه الغنم، فلا تقدر علىٰ التخلص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة، فلا طريق فيها يرشد إلىٰ الخلاص، ثم استعملت في كل شدة وأمر شاق. «**لسان العرب**» (**مادة**: ورط)، وينظر: «**حاشية الصنعاني**» (٤/ ٢٨٤).

(٤) «**إحكام الأحكام مع حاشية الصنعاني**» (٤/ ٢٨٤).

(٥) «**حاشية الصنعاني**» (٤/ ٢٨٤).

(٦) «**إحكام الأحكام**» (٤/ ٢٨٥).

وقد اعتبر أنَّ السبب الذي دَعَا بعضَهم إلىٰ تكفير المبتدعة هو اعتباره أنَّ مآل المذهب مذهب، فيقول: المجسمة كفار؛ لأنهم عبدوا جسما، وهو غير الله تعالىٰ، فهم عابدون لغير الله، ومَنْ عبد غير الله كفر، ويقول: المعتزلة كفار؛ لأنهم وإنِ اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات، ويلزم مِنْ إنكار الصفات إنكار أحكامها، ومَنْ أنكر أحكامها فهو كافر، وكذلك المعتزلة تنسب الكفر إلىٰ غيرها بطريق المآل[١].

ثامنا: قول من قال: لا أكفِّر إلا من كفَّرني:

يقول الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منهم مَنْ حمل هذا الحرف علىٰ غير مَحْمَله الصحيح، والذي ينبغي أنْ يحمل عليه أنه قد لمح هذا الحديث: «**مَنْ قال لأخيه: كافر. فقد باء بها أحدهما**»[٢]، وكأنَّ المتكلم يقول: الحديث دل علىٰ أنه يحصل الكفر لأحد الشخصين: إمَّا المكفِّر أو المكفَّر، فإذا كفرني بعض الناس فالكفر واقع بأحدنا، وأنا قاطع بأني لست بكافر، فالكفر راجعٌ إليه[٣].

تاسعًا: إبطال النصوص باستبعادات وخيالات:

يقول الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن إبطال النظَّام لحديث الذباب**[٤]: إنه وقع له ذلك بكلام رديء مِنْ خلال استبعادات وخيالات، وأنَّ هذا وأمثاله مما ترد به الأحاديث الصحيحة:

١- إنْ أراد به قائله إبطالها بعد اعتقاد كون النَّبي ﷺ قالها كان كافرًا مجاهرًا.

---

(١) «**إحكام الأحكام**» (٤/ ٢٨٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «**إحكام الأحكام**» (٤/ ٢٨٦).

(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ، أنه قال: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه؛ فإنَّ في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء**» أخرجه البخاري في كتاب «**الطب**»: باب: «**إذا وقع الذباب في الإناء**» (٧/ ١٤٠رقم ٥٧٨٢).

٢- وإنْ أراد به إبطال نسبتها إلىٰ الرسول ﷺ بسبب يرجع إلىٰ متنه، فلا يكفر بذلك، غير أنه مبطل لصحة الحديث بطريق سنده الصحيح، وهذه طريقة لجماعة مِنَ المتكلِّمة، وبعض الفقهاء.

كمن أبطل: حديث العالية[١] في مسألة العِينة[٢]، بقول **عائشة** ﵂: «**أبلغي زيدًا أنه أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إنْ لم يتب**»[٣].

وكما يشنِّع به أهل الحديث: علىٰ **أبي حنيفة** في قوله في حديث: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**»[٤]: أرأيت إنْ كانا في سفينة، **فكيف يفترقان؟** فكأنه أبطل استناده إلىٰ الرسول ﷺ، هذا إنْ صح عنه[٥].

● **ومن جملة الإشارات التي ألمح إليها الإمام ابن دقيق العيد في باب الاعتقاد وما يتعلق به:**

١- إثبات الشفاعة العظمىٰ خلافًا للوعيدية[٦].

---

(١) قال **ابن عبد الهادي**: قالوا: العالية امرأة مجهولة، فلا يقبل خبرها. قُلنا: بل هي امرأة جليلة القدر، معروفة، ذكرها **محمد بن سعد** في «**الطبقات**»، فقال: العالية بنت أيفع ابن شراحيل، امرأة أبي إسحاق السَّبيعي، سمعت مِنْ عائشة. «**تنقيح التحقيق**» (٤/ ٦٩)، وينظر تعليق **محقق كتاب** «**شرح الإلمام**» (ط. دار أطلس ٢/ ١٧٨).

(٢) **العِيْنة**: هي أنْ يبيع مِنْ رجل سِلعةً بثمن معلوم إلىٰ أجل معلوم، ثم يشتريها منه نقدًا بأقل مِنَ الثمن الذي باعها به، وسمِّيت عِينةً لحصول النَّقد لطالب العينة، وذلك أنَّ العِينة اشتقاقها مِنَ العين، وهو النَّقْد الحاضر. «**لسان العرب**» (**مادة**: عين)، «**التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**» للمناوي (ص ٥٣١).

(٣) عزاه جماعةٌ مِنْ أهل العلم إلىٰ مسند الإمام **أحمد**، وساقوه بإسناده، وليس في «**المطبوع**»، وأخرجه عبد الرزاق في «**الصنعاني**» (٨/ ١٨٤، رقم: ١٤٨١٢، ١٤٨١٣)، والدارقطني في «**سننه**» (٣/ ٥٢)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**» (٥/ ٣٣٠)، وجَوَّد ابنُ عبد الهادي إسنادَ الإمام أحمد، ورَدَّ علىٰ مَنْ ضَعَّفه. «**تنقيح التحقيق**» (٤/ ٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٦٤، رقم: ٢١١٠) في كتاب: «**البيوع**»، باب: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**»، ومسلم (٣/ ١١٦٤، رقم: ١٥٣٢) في كتاب: «**البيوع**»، باب: «**ثبوت خيار المجلس للمتبايعين**»، مِنْ حديث حكيم بن حزام ﵁.

(٥) «**شرح الإلمام**» (١/ ٣٣٤-٣٣٧).

(٦) **قال ابن دقيق العيد**: («**وأعطيت الشفاعة**»: الأقرب أنَّ اللام فيها للعهد، والمراد الشفاعة العظمىٰ في إراحة الناس من هول الموقف، ولا خلاف في وقوعها) «**فتح الباري**» (١/ ٤٣٦).

٢- انقسام الذنوب إلىٰ كبير وأكبر[١].

٣- جواز وقوع السهو مِنَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال خلافًا للشُذَّاذ مِنَ النظار[٢].

٤- التعريض بمن يدعي الحِذق في المعقولات، ويميل إلىٰ الفلسفة[٣].

٥- ذم المنطق[٤].

٦- العبادات والتقديرات فيها لا تؤخذ إلَّا بتوقيف[٥].

● **تساؤل!**

قد يقول قائل: قدمتَ جملة مِنَ المؤاخذات علىٰ **الإمام ابن دقيق العيد** في باب الاعتقاد؛ **فكيف يكون مجدِّدًا، وهذا حاله؟**

وأقول: في كتابي: «**مِنْجَنِيق الغرب: ابن حزم**» بسطت الكلام في أنَّ الاعتبار في الانتساب إلىٰ السُّنَّة والجماعة هي الأصول والمآخذ لا النتائج.

وبهذا تنحل العقدة التي أرَّقت كثيرًا مِنَ الفضلاء في انتساب جماعة كبيرة مِنْ أئمة العلم إلىٰ بعض الفرق الكلامية، أو ما وقع لهم مِنَ الأغلاط في هذا الباب.

والإمام ابن دقيق -كما تبين في هذا الباب- أستاذٌ ملهم بالنظر إلىٰ حسن

---

(١) **قال ابن دقيق العيد**: (يستفاد مِنْ قوله: «**أكبر الكبائر**» انقسام الذنوب إلىٰ كبير وأكبر) «**فتح الباري**» (١٠/ ٤١١).

(٢) **قال ابن دقيق العيد**: (وهو قول عامة العلماء والنظار، وشذت طائفة فقالوا: لا يجوز علىٰ النَّبي السهو، وهذا الحديث يرد عليهم لقوله ﷺ فيه: «**أنسىٰ كما تنسون**»، ولقوله: «**فإذا نسيت فذكروني**» أي: بالتسبيح ونحوه) «**فتح الباري**» (١/ ٥٠٤).

(٣) «**شرح الإلمام**» (٤/ ٣١٦).

(٤) «**القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق**» للسيوطي، «**الحاوي للفتاوي**» (١/ ٣٠٠).

(٥) «**عقيدة ابن دقيق العيد**» (الألواح: ١-٥)، «**إحكام الأحكام**» (٢/ ١٦٩)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٣/ ٣٨٧).

تقريراته، وسلفيٌ أصيل بالنظر إلىٰ نقاء موارده، ومجانبته الخوض في علم الكلام، ووقعت له -مع ذلك- جملة أغلاط لم تغلظ مآخذها.

قال ابن دقيق العيد: كان أبو حاتم -يعني ابن حبان البستي- من المنزهة المؤولة متحفظا في الكلام علىٰ الأحاديث المشكلة، نافيا عن أهل الحديث عُقَد التشبيه، ناطقا في هذا الفن بملء فيه، فربما نسب في ذلك أو بعضه إلىٰ الشناءة والشناعة من مخالفيه، واختلاف الناس في العقائد والمذاهب جزيلا طويلا، وأرتع بعضهم في أعراض بعض مرتعا وبيلا، وسدد في الطعن من السهام ما لا ترده دروع الزجر ولا الملام، وبث في الأرض داهية يحق أن يقال لها: صمِّي صمام[1]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥][2].

(١) صمي صمام: يضرب للرجل يأتي الداهية، أي: اخرسي يا صمام. (لسان العرب: صمم).

(٢) «**شرح الإلمام**» (١/ ٤٨٢).

المطلب الثاني
مذهبه الفقهي

استهل **الإمامُ تقي الدين ابن دقيق العيد** رحمه الله بواكيرَ حياته الفقهية بدراسة المذهب المالكي، وقد ذكر المترجمون أنه مَهَرَ فيه، وبالنظر في تناول **الإمام ابن دقيق العيد** لأقوال المالكية في مصنفاته، فإنه يتضح صدق ذلك، وحذقه للمذهب، وخبرته بأسراره، وقد تلقىٰ دراسته المالكية في أول أمره علىٰ أبيه وأستاذه: **الشيخ مجد الدين** رحمه الله وكان مالكيَّ المذهب(١)، ولعله أخذ المذهب يدًا بيد مِنْ شيخه **ابن الحاجب** رحمه الله(٢) إمام المالكية في عصره(٣)، ولعل هذا يفسر سبب العناية الخاصة للابن بمختصرات **ابن الحاجب المالكي**، فقد شَرَحَ مختصره الأصولي، وهو مفقود، وشَرَحَ مختصره الفقهي المسمىٰ بـ«**جامع الأمهات**»(٤)،

(١) «**رحلة العبدري**» ص٣٠٠.

(٢) عثمان بن عمر ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين المالكي. ولد سنة٥٧٠هـ كان حاذقًا في الفنون، بارعًا في التصنيف. له: «**جامع الأمهات**»، و«**المختصر الأصولي**». توفي بالإسكندرية سنة ٦٤٦هـ. «**وفيات الأعيان**» (٣/٢٤٨)، «**السير**» (٢٣/ ٢٦٤).

(٣) استفدتُ هذا مِنْ خلال ما نُقِلَ عن أبيه أنه سمعه يحكي عن ابن الحاجب، أنه سئل عن شيء مِنْ مختصره المشهور، فلم يأت منه بجواب، وذكر أنه إنما وضعه علىٰ الصحة. «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٣٨).

(٤) مطبوع بتحقيق الدكتور الأخضر الأخضري. ط. اليمامة-دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

وقد بقي منه مقدمته التي حفظها لنا **تاجُ الدين السبكي في** طبقاته، وهي تدل علىٰ مدىٰ احتفائه بشيخ أبيه **ابن الحاجب**، وقد ذبَّ عنه، وأوضح أنَّ عيبَ الناس لمختصراته سببه ضعف الهمم، والميل إلىٰ الدعة، وأنَّ الشيخ إنما صنف مختصراته لقرائح غير قرائح[1].

وعلىٰ عادته؛ فقد أكثر **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله مِنَ الاعتراض علىٰ **ابن الحاجب** رحمه الله، ولذا اشتغل المالكية بتعقب **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله فيما استدركه علىٰ **ابن الحاجب** رحمه الله ظهر هذا في شروح مختصر خليل.

ولما درّس بالمدرسة النجيبية، وباشر القضاء فيها عن المالكية مدة، لما كانت الثلاث يشاركون الشافعي في التّولية في المدن الكبار، كالمحلّة، وقوص، ثم ترك ذلك[2].

ثم تمذهب **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله بمذهب **الشافعي** رحمه الله، فدرسه علىٰ تلميذ والده **بهاء الدين هبة الله القِفْطي** رحمه الله، وكان يقول: البهاء مُعَلِّمي، ثم رَحَلَ قاصدًا **الإمامَ العز ابن عبد السلام**، وهو أحد أئمة الشافعية الكبار، فتفقه عليه، ولازمه[3].

وفي دراسة **الإمام ابن دقيق العيد** رحمه الله للمذهبين، تكرار لطريقة أبيه، فقد درس الأبُ المذهبين أيضًا، ودرَّسهما لتلامذته، ومِنْ جملتهم **ابن دقيق العيد الابن!**[4]، وهو أيضًا تكرار لطريقة جدّه لأمه: **تقي الدين المقترح**، كما تقدم في ترجمته، فدراسة المذهبين عِرْقٌ متجذر في آل **ابن دقيق العيد** رحمه الله، ولم يأت لقبه بمفتي المذهبين مِنْ فراغ، فهو إرثٌ حمله باقتدار.

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٣١).

(٢) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٣).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٤) سبق الإشارة إلىٰ ذلك في ترجمة أبيه، وانظر: «**الطالع السعيد**» ص٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٥٧٥.

• وقد ذاع تحقيق **الإمام ابن دقيق العيد** للمذهبين، وقيامه بفروعهما محققًا حتىٰ كان يستفتىٰ فيهما[1]، وذكر **ابن الزملكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان يحقق المذهبين تحقيقًا عظيمًا[2].

ونظم بعضهم هذا المعنىٰ، فأنشد:

صبا للعِلم صبًّا في صِباه ... فأعْلِ بهِمَّة الصبِّ الصبيِّ
وأتقنَ والشبابُ له لِباس ... أدلَّةَ مالك والشافعيِّ[3]

وكانت غالب اختيارات **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ توافق المذهب الشافعي، وقد تحققتُ من ذلك عبر إحصائية لأقواله، فبان يقينا أن اختياراته استقرت في محل إلىٰ الشافعية منه أقرب إلىٰ المالكية.

ويظهر -والله أعلم- أنَّ انتقال **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن المذهب المالكي إلىٰ المذهب الشافعي لم يكن انتقال انتسابٍ فحسب، وإنما كان انتقالًا علميًّا، بمعنىٰ أنَّ **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد اطلاعه علىٰ أقوال المذهبين وفروعهما، وجد نفسَه شافعيًا في غالب اختياراته، وإنْ كانت تبقىٰ له اختيارات قوية توافق المذهب المالكي خلافًا للمذهب الشافعي، ويفسر هذا إمامته، فهو أحد الأئمة الكبار الموصوفين بالاجتهاد المطلق[4].

---

(١) «**أعيان العصر**» (٤/ ٥٧٧).

(٢) «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٣).

(٣) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٠).

(٤) علىٰ أنَّ العبدري أشار في رحلته أنَّ الإمام ابن دقيق العيد انتقل بعدُ شافعيًّا لصورة تسمج، وقضية عن أحكام المروءة تخرج، وأنه ذُكِر له كلامٌ عنه في حق الإمام مالك. ينظر: «**رحلة العبدري**» ص٣٠٠.

قلت: هذا النقل علىٰ جهالة سنده فهو يخالف النهج العام لكتاباته، فقد ذكر الإمامُ ابن دقيق الإمامَ مالكا مئات المرات، ولم يتعرض له، كما أنَّ التراجم الواسعة للإمام ابن دقيق العيد لم تشر إلىٰ شيء مِنْ هذا، بل إنَّ الإمام ابن دقيق العيد نص في مقدمات كتبه إلىٰ منهجه في الاعتذار عن أهل العلم؛ فوقوع مثله في مثل الإمام مالك في غاية البعد.

ويضاف إلىٰ ذلك: روحه النقدية، فقد كانت أحاديث الأحكام موضوع أشهر تصانيفه، فاتجهت كثير من نقوده نحو اعتذارات الحنفية والمالكية عن الأخذ ببعض النصوص، ولما كانت أكثر نقوده تسلطت علىٰ المالكية دون الشافعية، يكون الإمام انتقل عمليا إلىٰ المذهب الشافعي، انتسب إليه أو لم ينتسب، كما لا يستبعد فتنته بشيخه الشافعي الإمام العز ابن عبد السلام، فهو أعظم شيوخه أثرا عليه.

هذا المزيج الثري للإمام بدراسة المذهبين، جعله مشرفًا علىٰ أقوال العلماء، فأضاف إلىٰ اختياراته عمقًا وسعةً وفسحة، فمتىٰ ما توسع العالم في الاطلاع علىٰ مذاهب الناس كان أعذر لهم إذا أخطؤوا، وأبصر بهم إذا أصابوا، ولا يجد كلفة في التنقل في الاختيار متىٰ ما تبين له الحق ووجهه، بخلاف القاصرين علىٰ حدود المذهب المحدودة بحدودهم، فلا ترمي أبصارهم بأكثر مِنْ مدِّ مذاهبهم، فإن جزرت جزروا!.

المحور الرابع

مـؤلـفـاتـه

المحور الرابع
مـؤلـفاتـه:

صنَّف الإمام ابنُ دقيق العيد رحمه الله وأملىٰ كتبًا جليلة وبديعة، ومؤلفاته منقسمة علىٰ ثلاثة أشكال:

١- إمَّا تصنيفٌ بقلمه.

٢- وإمَّا إملاءٌ بلسانه، وتلامذته يقيِّدون.

٣- وإما خُطَبٌ وتعاليق كثيرة[١].

يقول القَمُولي رحمه الله[٢] في بعض شأن الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله في التصنيف: إنَّ الشيخ تقي الدين أعطاه دراهم، وأمره أنْ يشتري بها ورقا، ويجلده أبيض، قال: فاشتريتُ خمسة وعشرين كراسًا، وجلَّدتُها، وأحضرتها إليه، وصنَّف تصنيفًا، وقال: إنه لا يظهر في حياته[٣].

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، ٥٧٦، «**تذكرة الحفاظ وذيوله**» (٤/ ١٨٢)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٢) أحمد بن محمد بن مكي القَمُولي، أبو العباس نجم الدين. قاضي القضاة. ولد سنة ٦٥٣هـ. سمع ابن جماعة. اشتغل بالفقه بقوص، ثم بالقاهرة، وقرأ الأصول والنحو. كان مِنَ الفقهاء المتعبدين، وافر العقل، حسن التصرف. له البحر المحيط في شرح الوسيط، وشَرَحَ مقدمة ابن الحاجب في مجلدين. توفي بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ. «**الوافي بالوفيات**» (٨/ ٦١)، «**طبقات السبكي**» (٩/ ٣٠).

(٣) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦.

● **وفيما يلي ذكرٌ لما وقفتُ عليه مِنْ أسماء مصنفاته، ونبذة عن بعضها:**

١- الإمام في معرفة أحاديث الأحكام:

وموضوعه: الاستقصاء في جمع أحاديث الأحكام مع تخريجها، والنقد المستوفي لأسانيدها، وبيان عللها، وما أجيب عنها، وما يصح مِنْ هذه الأجوبة، وما لا يصح(١).

يقول عنه مؤلفه: أنا جازمٌ أنه ما وُضع في هذا الفن مثله(٢).

ووافقه علىٰ ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فقال:** هو كتاب الإسلام، ما عمل أحدٌ مثله، ولا الحافظ الضياء(٣)، ولا جدي أبو البركات(٤) (٥).

ويقول الأدفوي: لو كملت نسخته في الوجود لأغنت عن كل مصنف في ذلك موجود(٦).

يقول الذهبي: لو كمل لجاء في خمسة وعشرين مجلدا(٧).

ويقول عنه السبكي في الطبقات: جليلٌ، حافلٌ، لم يصنف مثله(٨).

---

(١) ينظر «**مقدمة محقق الكتاب**»: (١/ ٧).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، ٥٧٦.

(٣) محمد بن عبد الواحد الحنبلي، ضياء الدِّين المقدسي. الحافظ. ولد سنة ٥٦٩هـ. لازم عبد الغني المقدسي، وسمع ابن الجوزي، وعنه ابن نقطة. له: الأحاديث المختارة. توفي سنة ٦٤٣هـ، «**فوات الوفيات**» (٣/ ٤٢٦)، «**السير**» (٢٣/ ١٢٦).

(٤) عبد السلام بن الخضر ابن تيمية، مجد الدين أبو البركات. الفقيه. ولد سنة ٥٩٠هـ. تفقّه علىٰ عمّه فخر الدين الخطيب، وعليه ابنه عبد الحليم. له: المحرر في الفقه. توفي بحران سنة ٦٥٢هـ. «**السير**» (٢٣/ ٢٩١)، «**فوات الوفيات**» (٢/ ٣٢٣).

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، ٥٧٦.

(٦) المصدر السابق ص٥٧٥.

(٧) «**سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**» (رقم: ٦٠٩٨).

(٨) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢).

والكتاب قُدِّر: بعشرين مجلدة، عُدِمَ أكثرُه بعده، وقد طبع القدر المتبقي منه في أربع مجلدات[1]، ينتهي بفصل في وقت الفضيلة، وما بعده مِنْ ذكر التغليس بصلاة الصبح، فهو في حكم المفقود، يضاف إلىٰ ذلك: المقدمة فهي مفقودة أيضا، وحجم المطبوع بالنسبة إلىٰ المفقود: نحو «**مجلدة واحدة**» مِنْ مجموع عشرين مجلدًا![2].

٢- الإلمام بأحاديث الأحكام:

يقول عنه مؤلفه: هذا مختصر في علم الحديث، تأملت مقصوده تأملا، ولم أدع الأحاديث الجَفَلىٰ[3]، ولا ألوْتُ في وضعه محررا، ولا أبرزته كيف اتفق تهورًا، فمن فهم مغزاه شد عليه يدَ الضّنانة[4]، وأنزله مِنْ قلبه وتعظيمه الأعزين: مكانًا ومكانة[5].

يقول الأدفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حاز علىٰ صغر حجمه مِنْ هذا الفن جملة مِنْ علمه[6].

وسبب تأليفه: استخشان أهل عصره طول كتابه «**الإمام**»، وأنه وَضَعَ ذلك الكتاب مقتضيًا للاتساع، ومقصوده موجبًا لامتداد الباع، فعدل قومٌ عن استحسان

---

(١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور سعد آل حميد، لدىٰ دار المحقق.

(٢) «الدرر الكامنة» (٤/ ٩٢)، «**مقدمة محقق كتاب الإمام في معرفة أحاديث الأحكام**» (١/ ١٩، ٣٧، ٤/ ٧٨)

(٣) **الجَفَلَىٰ: أن تدعو الناس إلىٰ طعامك عامة، وهي خلاف النَّقَرَىٰ. قال طَرَفَة:**

نحنُ في المَشتاةِ ندعو الجَفَلَىٰ لا ترىٰ الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

معجم مقاييس اللغة (مادة: جفل).

(٤) **الضِّنانة**: مِنَ الضن، وهي ما تختصه، وتضن به لمكانه مِنك وموقعه عندك. «**الفائق في غريب الحديث**» (ض ن).

(٥) «**الإلمام بأحاديث الأحكام**» (١/ ٤٦).

(٦) «الطالع السعيد» ص٥٧٦.

إطابته إلىٰ استخشان إطالته، ونظروا إلىٰ المعنىٰ الحامل عليه، فلم يفضوا بمناسبته ولا إخالته، فأخذ الإمام **ابن دقيق العيد** يعرض عنهم بالرأي الأحزم، وقال عند سماع قولهم: «**شِنْشِنَة أعرفها مِنْ أخزم**»(١)، ولم يكن ذلك مانعًا له مِنْ وصل ماضيه بمستقبله، ولا لأن يقطع ما أمر الله به أنْ يوصل:

فما الكَرَج الدنيا، ولا الناس قاسم(٢).

فجعل كتابَ «الإمام»: كتابَ مطالعة ومراجعة عند الحاجة إليه، لا كتاب حفظ ودرس يعتكف في التكرار عليه.

ويكون كتابُ «الإلمام»: مختصرًا لتحفيظ الدارسين، ورأس مال لإنفاق المدرسين(٣).

وشرْطُه في الكتاب: ألَّا يورد إلَّا حديث مَنْ وثَّقه إمام مِنْ مزكي رواة الأخبار، وكان صحيحًا علىٰ طريقة بعض أهل الحديث الحفاظ، أو أئمة الفقه النظار، فإنَّ لكل منهم مغزىٰ قصده وسلكه، وطريقًا أعرض عنه وتركه، وفي كل خير(٤).

وقد اعتنىٰ بكتاب الإلمام جماعة من أهل العلم:

فشرحه:

١) الشيخ محمد بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله(٥).

---

(١) **الشنشنة**: الطبيعة والخليقة، وأخزم: هو جد حاتم الطائي، وهذا مثل عربي قديم، وله قصة، ومعناه: هذه خليقة أعرفها من شبيهك. «**جمهرة اللغة**» (١/ ٥٩٥).

(٢) **الكَرَج**: مدينة بالجبل بين أصبهان وهمذان، وهي حصن أبي دلف القاسم الأمير، المشهور بالجود والشجاعة، وصدر البيت: دعيني أجوب الأرض في فلواتها .. الأمثال المولدة ص٣٢٨، القاموس المحيط (مادة: الكرج)، «**لسان العرب**» (**مادة**: كرج).

(٣) «**شرح الإلمام**» (١/ ٦، ٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الحموي الأصل الشافعي، المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي. ولد سنة ٧٧٧هـ. بدمشق، فحفظ، وتفقه، واعتنىٰ بهذا الشأن، ورحل بصحبة تلميذه =

٢) والقاضي يوسف بن حسن الحموي رحمه الله[١].

ولخصه:

١) **الحافظ قطب الدين الحلبي** رحمه الله، وسماه: «**الاهتمام بتلخيص كتاب الإلمام**»[٢]، وكان الإمام **ابن دقيق العيد** رحمه الله قد توفي ولم يتم تبييض كتابه: «**الإلمام**»، فبسبب ذلك وقعت فيه أماكن علىٰ وجه الوهم، نبه عليها **الحافظ قطب الدين الحلبي** في كتابه المذكور[٣].

٢) **الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي** رحمه الله[٤]، وسماه: «**المحرر**»[٥]، يقول **الحافظ ابن حجر** رحمه الله: والمحرر في الحديث اختصره مِنَ الإلمام، فجوَّده جدًّا[٦].

٣) **العلَّامة ابن بَلْبَان الفارسي** رحمه الله[٧].

= ابن فهد المكي، وأتقن فن الحديث حتىٰ صار المشار إليه، ولم يخلف بعده مثله، درس وأفتىٰ وأفاد. له: الرد الوافر، وبديعة البيان عن موت الأعيان في ألف بيت، وشرحه في التبيان، وتوضيح المشتبه، وغير ذلك. قتل مسمومًا سنة ٨٤٢هـ. «**الضوء اللامع**» (٨/ ١٠٣-١٠٦)، «**الأعلام**» (٦/ ٢٣٧).

(١) لم أقف له علىٰ ترجمة.

(٢) طبع في ٦٨٠ صفحة، بتحقيق حسام رياض في مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت عام ١٩٩٠م.

(٣) «**تذكرة الحفاظ وذيوله**» (٤/ ١٨٢)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٥٠)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة، شمس الدين المقدسي الحنبلي. ولد سنة ٧٠٥هـ. تردَّد إلىٰ ابن تيمية. كان جبلًا في العلل والرجال. له: الصارم المنكي، والمحرَّر في الحديث. مات سنة ٧٤٤هـ. «**ذيل طبقات الحنابلة**» (٥/ ١١٥)، «**الدرر الكامنة**» (٣/ ٣٣١).

(٥) الكتاب متداول ومشهور، وله طبعات كثيرة، منها: طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق: خالد ابن ضيف الله الشلاحي.

(٦) «**الدرر الكامنة**» (٣/ ٣٣٢)، ينظر «**مقدمة محقق المحرر المرعشلي**» ص٦٩.

(٧) علي بن بَلْبَان الفارسي المصري، أبو الحسن علاء الدين الحنفي. الأمير. ولد سنة ٦٧٥هـ. سمع الدمياطي، وتفقّه علىٰ السروجي. رتَّب صحيح ابن حبان. توفي سنة ٧٣٩هـ. «**المعجم المختص بالمحدثين**» ص١٦٤، «**أعيان العصر**» (٣/ ٣١٢).

ومما يدل علىٰ أهمية الكتاب: أنَّ الحافظ عبد الرحيم العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ[١] حفظه عن ظهر قلب[٢].

وقد طبع الكتاب في مجلدين، مشتملًا علىٰ ١٦٣٢حديثا[٣].

٣- شرح الإلمام:

وهو شرح مطول للمختصر السابق، شَرَعَ في شرحه، فخرج منه أحاديث يسيرة، أتىٰ فيها بالعجائب الدالة علىٰ سعة دائرته في العلوم، خصوصًا في الاستنباط، لكنه توفي ولم يتمه، ويقدر تمامه بعشرين مجلدًا[٤] [٥].

قال الفوِّي رَحِمَهُ اللَّهُ[٦]: إنه كان يملي عليه شرح الإلمام مِنْ لفظه، وهو الذي

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين، زين الدين العراقي. ولد سنة ٧٢٥هـ. أخذ عن برهان الدين الرشيدي، ولازمه ابنُ حجر عشر سنين. ولي قضاء المدينة، ثم سكن القاهرة، خرَّج أحاديث الإحياء. توفي سنة ٨٠٦هـ. «**طبقات الشافعية**» (٤/ ٢٩)، «**إنباء الغمر**» (٢/ ٢٧٥).

(٢) «**مقدمة محقق كتاب الإلمام**» (١/ ١٩).

(٣) **للكتاب طبعتان:**

الأولىٰ: في دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م، وراجعه وعلق عليه الأستاذ محمد سعيد المولوي.

والثانية: طبعة حديثة لدىٰ دار المعراج الدولية، ودار ابن حزم، بتحقيق حسين الجمل. ينظر: «**مقدمة محقق كتاب الاقتراح**» ص١٥٩.

(٤) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٩٢).

(٥) **للكتاب طبعتان:**

الطبعة القديمة: في مجلدين وتشتمل علىٰ شرح سبعة أحاديث فقط. تحقيق: عبد العزيز السعيد، ط. دار أطلس، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

الطبعة الحديثة: في خمسة مجلدات، مشتملًا علىٰ شرح خمسة وخمسين حديثًا نبويًا. تحقيق: محمد خلّوف العبد الله، ط. «**دار النوادر**»، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٦) علي بن محمد الأنصاري، شمس الدين الفوِّي. سمع الدمياطي وابن دقيق العيد، وعلق عنه مِنْ شرح الالمام وغيره، وكان ابن دقيق العيد ندبه في تركته، فرفع عليه فيها بعد موته إلىٰ ابن جماعة فأنكره. مات سنة ٧٤٠ هـ. «**الدرر الكامنة**» (٤/ ١١٨).

كتبه عنه، وكذلك حكىٰ **القاضي شمس الدين محمد ابن القمَّاح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فإنه قال: جلسنا عنده غير مرة، وهو يملي شرح الإلمام مِنْ لفظه[2].

يقول الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشرح بعض الإلمام شرحًا عظيمًا[3].

ويقول الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يكمل، ولو كمل لم يكن للإسلام مثله، وكان يجيء في خمسة وعشرين مجلدًا[4].

ويقول الأدفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف بشرح الإلمام وما تضمنه مِنَ الأحكام، وما اشتمل عليه مِنَ الفوائد النقلية، والقواعد العقلية، والأنواع الأدبية، والنكت الخلافية، والمباحث المنطقية، واللطايف البيانية، والمواد اللغوية، والأبحاث النحوية، والعلوم الحديثية، والملح التاريخية، والإشارات الصوفية[5].

ويقول عنه ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الكتاب الكبير، العظيم الشأن[6].

وقال الحافظ قطب الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل: إنه لَمْ يتكلم علىٰ الحديث مِنْ عهد الصحابة إلىٰ زماننا مثل **ابن دقيق العيد**، ومَنْ أراد معرفة ذلك فعليه بالنظر في القطعة التي شرح فيها الإلمام، فإنَّ مِنْ جملة ما فيها أنه أورد حديث **البراء بن عازب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع**»[7]، واشتمل علىٰ أربعمائة فائدة[8].

---

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن القماح الشافعي، شمس الدين أبو المعالي المصري. ولد سنة ٦٥٦هـ. قرأ الحديث بنفسه. كان حافظا لتواريخ المصريين. توفي سنة ٧٤١هـ. «**طبقات السبكي**» (٩/ ٩٢)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٣/ ٥١).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٨١، ٥٨٢.

(٣) «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢).

(٤) «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨).

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥.

(٦) «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

(٧) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٣ رقم ٥٨٤٩) في كتاب: «**اللباس**»، باب: «**الميثرة الحمراء**»، ومسلم (٣/ ١٦٣٥رقم ٢٠٦٦) في كتاب: «**اللباس والزينة**»، باب: «**تحريم استعمال إناء الذهب والفضة**».

(٨) «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

وقال الإسنوي رَحِمَهُ اللهُ: وكان رَحِمَهُ اللهُ قد أكمل كتابه الكبير العظيم الشأن، المسمّىٰ بـ«**الإمام**» بهمزة مكسورة بعدها ميم، وهو الذي استخرج منه كتابه المختصر المسمّىٰ بـ«**الإلمام**» بزيادة اللام، فحسده عليه بعض كبار هذا الشأن ممن في نفسه منه عداوة، فدسّ مَنْ سرق أكثر هذه الأجزاء وأعدمها، وبقي منها الموجود عند الناس اليوم، وهو نحو أربعة أجزاء، فلا حول ولا قوة إلّا بالله، كذا سمعته مِنَ **الشيخ شمس الدين ابن عدلان** رَحِمَهُ اللهُ،وكان عارفًا بحاله[1].

وعن أبي حيان النحوي رَحِمَهُ اللهُ: أنَّ **ابن دقيق العيد** شرح الإلمام، وأنه جاء في نحو ستين سفْرًا أو أكثر مِنْ ذلك، وأنَّ بعض المالكية حَقَدَ عليه انتقاله عن مذهب **مالك**، وحَسَدَ الشافعيةَ كيف صار منهم، وأنه ارتَصد غيبة الشيخ، فصادف فرصَة، فأخذ الكتاب، فوضعه في فسقية[2] الصالحية، فلما فَقَدَ الشيخُ الكتابَ تألَّم، وأصبح الناس، فرأوا ماء الفسقية أسود، فبحثوا عن ذلك، فوجدوا الكتابَ داخل الفسقية، وأن القطعة الموجودة بأيدي الناس كان بعض الطلبة انتسخها[3].

يقول الحافظ ابن حجر: في سياق هذه القصة مُجَازَفات كثيرة، وقد كنت أسمع شيخنا **حافظ العصر أبا الفضل ابن الحسين** يحكىٰ أنَّ الشيخ أكمل الإمام، فجاء في عشرين مجلدًا، وأنَّ بعض المحدثين حسده عليه، فَتَرَقَّبَ وفاته، فأخذ الكتاب فأعدمه. وكان شيخنا في بعض الأحيان يسمي الذي أخذ الكتاب، وهو مِنَ الحنابلة، فلا أُوثر تسميته.

---

(١) «**طبقات الشافعية**» للإسنوي (٢/ ١٠٣)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٣٤٧)، «**مقدمة محقق كتاب الاقتراح**» ص١٦٤، «**مقدمة محقق كتاب الإمام**» (١/ ٣٩).

(٢) **الفسقية**: حوض من الرخام ونحوه، مستدير غالبًا، تمج الماء فيه نافورة، ويكون فِي القصور، والحدائق، والميادين. «**المعجم الوسيط**» (٢/ ٦٨٩).

(٣) «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

الخلط بين الإمام وشرح الإلمام:

أشار **الحافظ ابن حجر** رحمه الله إلىٰ خلط بعض الطلبة بين الكتابين، وعدم التفريق بينهما، وبيَّن أنَّ الأمر ليس كذلك، فـ«**الإمام**» كتابٌ في أحاديث الأحكام علىٰ الأبواب، والموجود منه قطعة نحو الربع، لكنها مفرّقة، وأكثرها في ربع العبادات، وليس فيها شيء مِنَ الاستنباط، وإنما يذكر علل الحديث كثيرًا، ثم اختصره في «**الإلمام**»، ثم شرح هذا المختصر بـ«**شرح الإلمام**»، ويوجد منه قطعة مِنْ أول الطهارة(١).

٤- إحكام الأحكام في شرح كتاب عمدة الأحكام:

وهو كتابٌ جم الفوائد، أملاه إملاء علىٰ **إسماعيل ابن الأثير** فاضل العصر الذي يعرفه، وهو الذي سمّاه بإحكام الأحكام، كما صرح بذلك في مقدمة الشرح(٢).

وقد قرئ هذا الكتاب: علىٰ الإمام ابن دقيق العيد مصححا لألفاظه، ومتفهما لبعض معانيه، في مجالس، أولها: مستهل المحرم سنة ٦٩٧هـ وآخرها: الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ.

قرأه عليه: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيىٰ بن سيد الناس اليعمري، ونقله عنه كما شاهده: أبو سعيد أحمد بن أحمد بن أحمد الهكاري، ومن خطه: نقله شاهده أفقر عباد الله إلىٰ مغفرته ورحمته: عمر بن أحمد بن أبي الفتوح فرج بن أحمد الصفدي(٣).

---

(١) «**رفع الإصر**» ص٣٩٤.

(٢) «**إحكام الأحكام**» (١/ ٥٣)، «**الوافي بالوفيات**» (٤/ ١٣٨)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٥.

(٣) من تعليق الناسخ علىٰ إحكام الأحكام (مطبعة السنة المحمدية ٢/ ٣٣٥)، وقد أشار الصنعاني في هذا الموضع من نهاية الكتاب أنه استغرق أعواما وشهور عدة في تصنيف حاشيته علىٰ شرح العمدة، المسماة بـ «العدة».

يقول الأدفوي رحمه الله: لو لم يكن له إلَّا ما أملاه علىٰ «**العمدة**» لكان عمدة في الشهادة بفضله، والحكم بعلو منزلته في العلم ونبله[(١)].

ويقول عنه ابن فرحون: أبان فيه عن علم واسع، وذهن ثاقب، ورسوخ في العلم[(٢)].

وعلىٰ الكتاب عدة تقييدات:

منها: القول المفيد في إيضاح شرح العمدة **لابن دقيق العيد، للحافظ السخاوي**[(٣)]، كتب منه اليسير مِنْ أوله[(٤)].

ومنها: شرح علىٰ شرح العمدة **لابن دقيق العيد**، في مجلدات، **للفارسكوري**[(٥)]، جمع فيه أشياء حسنة، ولكنه عدم، ووقف **السخاوي** علىٰ كراريس منه، وفيه تحقيق ومتانة[(٦)].

ومنها: العدة حاشية العلَّامة **محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني**[(٧)] علىٰ إحكام الأحكام، وهي مطبوعة متداولة، وهي مِنَ النفاسة بمكان، وبدأت عناية **ابن الأمير** بكتاب **ابن دقيق العيد** سنة ١١٣٤هـ. عندما حجّ للمرة الثالثة، فقرأ

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٥، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

(٢) «**الديباج المذهب**» ص٣٢٥.

(٣) محمد بن عبد الرحمن، أبو الخير شمس الدين السخاوي. الحافظ، الرحالة. ولد بالقاهرة سنة ٨٣١هـ. لازم ابن حجر. له زهاء مئتي مصنف، منها: المقاصد الحسنة. توفي بالمدينة سنة ٩٠٢هـ. «**الضوء اللامع**» (٨/ ٢)، «**فهرس الفهارس**» (٢/ ٩٨٩).

(٤) «**الضوء اللامع**» (٨/ ١٦).

(٥) عبد الرحمن بن علي الفارسكوري، زين الدين أبو المعالي المصري. ولد بفارسكور سنة ٧٥٥هـ. تقدم في علوم العربية، وارتقىٰ في الفقه وأصوله، جاور بمكة. توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. «**الضوء اللامع**» (٤/ ٩٦، ٩٧)، «**الأعلام**» (٣/ ٣١٨).

(٦) «**الضوء اللامع**» (٤/ ٩٦، ٩٧).

(٧) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. ولد سنة ١٠٩٩هـ. بَرَعَ في جميع العلوم، وتفرَّد برئاسة العلم في صنعاء، وتَظَهَّر بالاجتهاد، ونَفَرَ عن التقليد. له: سُبُل السلام، والعدة حاشية علىٰ شرح العمدة لابن دقيق العيد. توفي سنة ١١٨٢هـ. «**البدر الطالع**» (٢/ ١٣٣).

«**شرح العمدة**» **لابن دقيق العيد** علىٰ العلَّامة **محمد بن أحمد الأسدي** مفتي مكة المكرمة (المتوفىٰ سنة ١١٣٧هـ)، وشَرَعَ مِنْ ذلك الحين بتقييد تعليقاته عليها إلىٰ أنْ أتمّها، يقول **الصنعاني**: ثم نسجت عليها عناكب الاشتغال، وضربت عليها مِنْ أكفّ النسيان أقفال، حتىٰ عطف الله بعطف العنان للتدريس في ذينك الكتابين لجماعة مِنْ عيون الأعيان، فأعدت النظر فيما علقته أولًا، وأطلقت لسان البسط والتفصيل لما كنت أشرتُ إليه مجملًا، وحررتُ ما كنتُ أرجو نفعه في الدارين، وأنْ يكون مِنَ الآثار المحمودة بعد العين(١).

٥- تحفة اللبيب في شرح التقريب:

شرحٌ علىٰ متن أبي شجاع(٢)، المختصر الشافعي المشهور، ويعتبر هو أقدم شرح لمتن أبي شجاع والكتاب مطبوع، يقع في مجلدين، وقد اقتصر علىٰ شرح العبارة، مع الاستدلال: إمَّا بالنص، وإمَّا بالتعليل(٣).

يقول الإمام ابن دقيق العيد في مقدمة هذا الشرح: إني مشيرٌ علىٰ مَنْ لا تساعده الأيام علىٰ الترقي في الفقه إلىٰ رتبة الإمام، ألَّا يترك الكل فينحط إلىٰ حضيض العوام، وأنْ يقنع بكتاب مختصر يشتمل علىٰ أصول الأحكام، وقد صنَّف العلماء رحمهم الله مطولات ومختصرات علىٰ مراتب الأفهام، فأقل المختصرات حجمًا في المباني، وأكثرها جمعًا للمعاني: كتاب التقريب الذي صنّفه القاضي الفقيه **أبو الطيب الأصفهاني أبو شجاع**، وها أنا أشرحه بحمد الله

---

(١) الحاشية مطبوعة مع الكتاب الأصل في أربعة مجلدات، وطبعتها المشهورة هي الطبعة التي كانت بعناية **محب الدين الخطيب، وعلي بن محمد الهندي**، لدىٰ المكتبة السلفية بالقاهرة، وينظر: «**حاشية الصنعاني**» (١/ ٥، ٤٥).

(٢) أحمد بن الحسن الأصفهاني، أبو شجاع الشافعي. ولد بالبصرة سنة ٤٣٤هـ. درس بها المذهب الشافعي أزيد من أربعين سنة. توفي بعد سنة خمسمائة. له المختصر المشهور: التقريب. «**طبقات السبكي**» (٦/ ١٥)، «**مقدمة محقق تحفة اللبيب**» (١/ ١٥).

(٣) طبع لدىٰ دار ابن حزم ودار أطلس الخضراء، بتحقيق د. عبد الستار عايش الكبيسي، وللكتاب طبعة أخرىٰ لم أقف عليها.

تعالىٰ شرحًا ينتفع به القاصي والدّاني، قاصدًا الثواب عند مَنْ لا تخيب لديه الأماني، وسمّيته «**تحفة اللبيب في شرح كتاب التقريب**»، وأسأل الله أنْ ينفع به إنه سميع قريب مجيب، وأنْ يجعلنا ممن يقصده بالعلم فقاصده لا يخيب، تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

يقول المحقق عن منهج المؤلف في كتابه: كان منهج **ابن دقيق العيد** في كتابه: «**تحفة اللبيب في شرح التقريب**» منهجًا علميًّا رصينًا؛ حيث يذكر أشهر أدلة المسألة الفقهية التي يستدل بها المذهب الشافعي، كما يورد بعض أدلة المخالفين في تلك المسألة، وخصوصًا خلاف المذهب المالكي والحنفي للشافعية، ثم يذكر بعد ذلك الإجابة عن كل دليل مِنْ أدلة المخالفين وردها، وكثيرًا ما يشرح الألفاظ الفقهية واللغوية، كما يحكم في بعض المواضع علىٰ بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ويذكر بعض رواة الأحاديث والحكم عليهم جرحًا وتعديلًا(١).

وأقول: الكتاب يختلف تمامًا عن شرحي **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الإلمام أو عمدة الأحكام، ولك أنْ تقول: ويختلف أيضًا عن شرحه لمختصر **ابن الحاجب** الفرعي المفقود، بحسب مقدمته التي كُتِبَ لها الحياة، فبقيت.

لقد كان **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «**تحفة اللبيب**» شخصية أخرىٰ، بعيدًا كل البُعد عن النقد الفقهي الذي كان السمة الرئيسة الأولىٰ في كتاباته الفقهية والأصولية، واقتصر في هذا الكتاب علىٰ شرح المتن مستدلًّا له بالنص أو الإجماع أو المعنىٰ، بأخصر عبارة، هذه هي السِّمة الأساسية للكتاب مِنْ أوله إلىٰ آخره، ولا تكاد تجد له موضعًا أبرز فيه رأيه مخالفًا للمذهب الشافعي، غاية ما هنالك أنه يشير إلىٰ الصحيح مِنَ المذهب إذا تعدّدت أقوال أصحابه في المسألة، وقد يشير إلىٰ الخلاف في المسألة، وينتقد الرأي الآخر

---

(١) «**تحفة اللبيب**» (١/ ٥٠).

المخالف للشافعي بألطف عبارة، وقد تقع له الإشارة إلىٰ الخلاف مِنْ غير أنْ يتعرض له.

وأبرز ما شدني في الكتاب أمران اثنان:

الأول: لطافة الاستدلال، ووقعت له مِنْ ذلك جمل رائقة في مواطن متعددة، وأتوهم أننا قد نجد نمطًا مِنَ الاستدلالات في هذا الكتاب المختصر يعزُّ علينا أنْ نجد نظيره في غيره.

الثاني: أنَّ **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللهُ مع تجذر شخصيته النقدية، حتىٰ أنه لم يسلم مِنَ اعتراضاته أحد؛ كيف استطاع -والحال هذه- أنْ يلجم عنان قلمه عن السير في جبلته وعادته مِنَ الاعتراض والنقد.

لقد أدرك **الإمام ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللهُ سبب تصنيف **أبي شجاع** لمختصره، فما أراد أنْ يفسد عليه اختصاره بالتطويل والاستطراد، فأبقىٰ الكتاب علىٰ هيئته، وأضاف إليه ما انتهىٰ إليه علمه مِنْ خلاصة الاستدلالات.

وكم مِنَ المتون المختصرة أغار عليها الشراح بالتطويل والتعقيد بما أفسد غرض المختصرين! فالكتاب المختصر ينبغي أن يكون شرحه علىٰ قدره بما يكشف غطاءه.

٦- الاقتراح في معرفة الاصطلاح وما أضيف إليه من الأحاديث المعدودة في الصحاح(١): الكتاب مشهور في فن «**المصطلح**»، وله عدة طبعات(٢)، ورتبه علىٰ طريقة شرح المصطلحات، وفي الكتاب نكت وفوائد وتحريرات(٣).

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، ٢١.

(٢) أشهرها وأجودها التي بتحقيق الدكتور قحطان الدوري، طبع دار العلوم، وللكتاب طبعة أخرىٰ جيدة بتحقيق عامر صبري لدىٰ دار البشائر الإسلامية.

(٣) انظر في قيمة الكتاب العلمية ومنهجه في الكتاب: مقدمة عامر صبري في تحقيق للكتاب ص١٥٣، «**مقدمة قحطان الدوري**» ص١٨٥

٧- **شَرَحَ مختصر ابن الحاجب الأصلي**، يعني المختصر الأصولي المشهور، ولم يكمله.

٨- **شَرَحَ مختصر ابن الحاجب الفرعي**، يعني جامع الأمهات، ولمْ يتمه، ويقدر تمامه بعشرين مجلدًا[١].

قال الشيخ أبو عبد الله ابن مرزوق: إنَّ **الشيخ تقي الدين** وصل في شرح **ابن الحاجب** إلىٰ كتاب الحج، بحسب ما بلغه.

يقول ابن فرحون: الذي وقع لي منه إلىٰ آخر التيمم، وأظنه بلغ إلىٰ كتاب الصلاة[٢].

يقول عنه مؤلفه: وقد حكيت في هذا الكتاب مِنْ غرائب الأخبار، وشوارد الآثار، ما يعز وجوده عند الفقهاء، الذين خصوا الفقه بالعناية، وحَصُّوا[٣] جناحَ المسير إلىٰ الرواية[٤].

ويقول عنه الحافظ قطب الدين الحلبي: لم أر في كتب الفقه مثله[٥].

والكتاب مفقود، وبقي منه: مقدمة نفيسة جدًّا، حفظها لنا بتمامها **تاج الدين السبكي**[٦]، فجزاه الله عنّا وعن الشيخ خيرًا[٧].

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢)، «**الديباج المذهب**» ص٣٢٥، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٦، «**حاشية البجيرمي علىٰ الخطيب**» (٣/ ٢٤٠).

(٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٢٥.

(٣) **الحص**: حلق الشعر، يقال: طائر أحص الجناح، أي: قليل شعره. الصحاح (**مادة**: حصص)، وانظر تعليق «**محقق طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٤٠).

(٤) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٤٠).

(٥) «**رفع الإصر**» ص٣٩٦.

(٦) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

(٧) المصدر السابق (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

وقد بيَّن الإمام ابنُ دقيق العيد في هذه المقدمة سببَ تأليفه لهذا الكتاب، يقول في ذلك: فقد آن إذن، وحق أنْ نشرح هذا الكتاب شرحًا يعين الناظريه علىٰ فك لفظه، وفهم معانيه، علىٰ وجه يسهل للماهر مساغه وذوقه، ويرفع القاصد، فيلحقه بدرجة مَنْ هو فوقه، ويسلك سبيل معرفته ذللًا، ويدرك به ناظره مِنْ وضوحه أملًا(١).

ويقول عن منهجه في عرض المسائل: أذكر المسألة، أبسط العبارة فيها، وأقتصر علىٰ ذلك إنْ رأيت أنه يكفيها، وإلَّا رجعت إلىٰ تنزيل ألفاظ الكتاب علىٰ ذلك الذي بسطته موضعًا موضعا لأجمع بين البيان الإجمالي والتفصيلي معًا(٢).

ومقاصده من الكتاب عشرة أمور:

الأول: التعرض لبسط ألفاظه المقفلة، وإيضاح معانيه المشكلة، وإظهار مضمراته المهملة.

الثاني: تفسير ألفاظه الغريبة واللغوية، وكيفية النطق بها علىٰ مقتضىٰ العربية، وذكر شيء مِنَ الاشتقاقات الأدبية، والتحرز مما يعد مِنْ لحن العوام، والتحفظ مِنَ التصحيف الذي هو إحدىٰ الطوام، ولقد بلي بذلك مِنْ ضعفة الفقهاء مَنْ صفر مِنَ الأدب مزاده، وقلَّ في طريق العربية زاده، وخفت عن تلك اللطائف طباعه، وتناءت عن تلك المناهل رباعه.

الثالث: أنسب الأقوال المهملة إلىٰ أربابها إذا أطلقت، وأميز أقوال الإمام مِنْ أقوال الصحابة، إذا علمت المخالفة بينهم تحققت، أبين الأصح مِنَ القولين إذا لم يبين، وأُعَيِّن الأشهر مِنَ الخلاف إذا لم يعين، كل ذلك بحسب ما انتهىٰ علمي إليه، ووقف بحثي بحسب الحال الحاضر عليه.

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٢٣٨-٢٤٣).

الرابع: أراعي في المسائل المذهبية التوجيه والتعليل، ولا أدعها تتردّد بين أنحاء التعليل؛ فما قويت في الاعتبار منَّته[1] ومبانيه، ورجّحت عند النظار رتبته ودرايته، أوضحت الطريق إليه أي إيضاح، وجلوت الحق هنالك كالقمر اللياح، وما ضعفت مِنَ القواعد مادته، وخفيت علىٰ التحقيق جادته، اكتفيت فيه بالميسور مِنَ التعليل، أو أخذت علىٰ غيري فحكيت ما قيل: فما كل مسك يصلح وعاء للمسك، ولا كل ضعيف يوسم بسمة الترك.

الخامس: أحكم مِنْ صناعة الحديث ما أورده، وأتقن ما أنص فيه وأسرده، فإنْ حكمت بصحة حديث بإسناد ذلك إلي، فبعد أنْ أنزع رداء التعصب عن منكبي، وأؤدي حق النصيحة للسُّنَّة كما يتعين، وأحترز مِنَ الميل إلىٰ نصر مذهب معين، فإنْ وجد المستدل مطلوبه بنىٰ علىٰ أوثق أساس، وإلَّا فليعدل إلىٰ غير النص مِنْ أنواع الاستدلال والقياس، وإنْ حكيت الصحة عن غيري، فعن حق لا تمتد يد الشك إلىٰ لبسه، وقد قيل: مَنْ أحال علىٰ غيره فقد احتاط لنفسه، وما عزوته إلىٰ الكتب المشهورة، فهو فيها عند المراجعة موجود، فإنْ وجد في مظنته وإلَّا فعند التتبع يحصل المقصود، وقد وقع لجماعة مِنَ الفقهاء وغيرهم في ذلك خلل، وأقدم بعضهم علىٰ أمر ليته عنه نكل.

السادس: ما جزمت بنقله عن أئمة الاجتهاد تحريت فيه، ومنحته مِنْ طريق الاحتياط ما يكفيه:

- **فإن كان من أحد المذاهب الأربعة**: نقلته مِنْ كتب أصحابه، وأخذته عن المتن، فأتيت الأمر مِنْ بابه، ولم أعتبر حكاية الغير عنهم، فإنه طريق وقع فيه الخلل، وتعدد مِنْ جماعة مِنَ النقلة فيه الزلل، وحكىٰ المخالفون للمذاهب عنها ما ليس منها.

---

(١) **مُنَّته**: قوته. «**الزاهر في معاني كلمات الناس**» (١/ ٤١٤).

- **وما كان من الأقوال للمتقدمين للصحابة، ومن شذ عمن ذكرناه من المخالفين**: فاعتمادي فيه علىٰ كتاب «**الإشراف**» **للحافظ أبي بكر ابن المنذر**، فبأنواره اهتديت، وبطريقه إلىٰ تلك الغاية اقتديت.

- **فإن لم يكن ذلك النقل في كتاب الإشراف**: نقلت مِنْ غيره بعبارة ملخّصة، فقلت: وحكي عن فلان كذا أو عن فلان كذا إلّا ما جزمت بصحته فإني أقطع القول بنسبته إليه.

- **ولما كنت لا أرىٰ لأحد قولا إلا ما نص عليه، وتعذر عليَّ في كثير من المسائل معرفة نص صاحب المذهب لكون المسألة متفقا عليها عند ناقلته**: رأيت أنْ أقول في مثل ذلك: قالت **الحنفية** أو **الشافعية** أو **الحنبلية**، أو قال **الحنفي** أو **الحنبلي**.

- **وما قلتُ: قد نقل عن فلان أو اشتهر عنه**: فلا ألزم نقله عن كتب أصحاب ذلك الإمام لصدق اللفظ المذكور وإنْ لم ينقل مِنْ كتبهم.

السابع: أذكر في المسائل الخلافية المعروفة بمسائل الطريقة مواد أصل الاجتهاد، فإنْ تعدّدت اخترت الأمتن، وقصدت الأحسن، لا علىٰ وجه الإطالة الموجبة للملالة، ولا علىٰ طريقة الإجمال المفضي إلىٰ الإخلال.

الثامن: الاطراد في الاحتجاج، وعدم الثعلبة، ومجانبة مقابلة الذم بمثله، ويحفظ لأهل العلم فضلهم.

التاسع: الاقتصار علىٰ شرح المسائل المجموعة في المتن، فهو المقصود مِنَ التصنيف، فليتوقف الغرض عليه، ولتتوجّه الدواعي والهمم إليه، وهذا هو اللائق بذلك، مِنْ غير جلب زوائد الفروع المسطورة، وحصر شوارد المسائل المذكورة ما لم يتضمنه المختصر، مع منح طرف مِنَ العناية للأقوال المتصلة بما وضعه المصنف وذكره، والفروع المقارنة لما نظمه وسطره.

العاشر: ذكر الاستشكالات، وكشف أستارها[١].

قلت: اختصرتُ بعض الشيء في جملة مِنْ هذه المقاصد بسبب إيرادها بتمامها في مناسبات أخرىٰ، وقد آثرتُ ألَّا أختصر ما استطعت؛ لأنها تمثل منهجية مثالية في التصنيف وآدابه، ومنهجية **لابن دقيق العيد** خصوصًا، وهي بحق جديرة بإمعان النظر بالدراسة والتدريس.

وهذه قائمة من مصنفات الإمام ابن دقيق العيد:

١- عقيدة **ابن دقيق العيد**، وسنقوم في الملحقات بإذن الله بإبراز نصه، وذكر ما يتعلق به.

٢- التشديد في الرد علىٰ غلاة التقليد[٢].

٣- طبقات الحفاظ: في مجلدين[٣].

٤- رسالة بيَّن فيها صعوبة الحد[٤].

٥- اقتناص السوانح: أتىٰ فيه بأشياء غريبة، ومباحث عجيبة، وفوائد كثيرة، ومواد غزيرة[٥].

٦- إملاء علىٰ مقدمة كتاب «**الأحكام الصغرىٰ**» لعبد الحق الإشبيلي[٦].

٧- شرح عيون المسائل لابن سهل الفارسي[٧].

٨- شرح علىٰ التبريزي في الفقه[٨].

---

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٣٨-٢٤٣).

(٢) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠.

(٣) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠.

(٤) «**البحر المحيط في أصول الفقه**» (١/ ٩٥).

(٥) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦.

(٦) «**الطالع السعيد**» ص٥٧٦.

(٧) «**هدية العارفين**» (٢/ ١٤٠).

(٨) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢).

٩- شرح مقدمة المطرِّزي في أصول الفقه، وهو مشهور عند العلماء بشرح العنوان[(١)]، وهو إملاءٌ في أصول الفقه[(٢)].

١٠- فوائد حديث بريرة قريبًا مِنْ مائتي فائدة[(٣)].

١١- جمع أسماء كل مَنْ وصف في الأسانيد بالحفظ[(٤)].

١٢- الأمالي التي أملاها بدار الحديث السابقية بقوص[(٥)].

١٣- أربعينات: أربعون حديثًا تُساعية الإسناد مِنْ تخريجه مِنْ مسموعاته، مسلسلة بالعلماء، فلم يذكر فيها إلَّا عن عالم، قرأها عليه الذهبي بدار الحديث الكاملية مِنَ القاهرة[(٦)].

١٤- الإقليد[(٧)].

١٥- نهاية البيان[(٨)].

١٦- رسالة إلىٰ نوابه في القضاء[(٩)].

---

(١) **عنوان كتاب المطرزي:** «عنوان الوصول إلىٰ علم الأصول».

(٢) «**تذكرة الحفاظ للذهبي**» (٤/ ١٨٢)، «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢١٢)، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، وقد نقل عنه الزركشي في البحر المحيط في مواضع متعددة.

(٣) «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١).

(٤) «**رفع الإصر**» ص٣٩٦.

(٥) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠.

(٦) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، ٢١، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٠)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٨٢).

(٧) «**حاشية البجيرمي علىٰ الخطيب**» (١/ ٣٤٩).

(٨) نقل منه الرملي في حاشيته علىٰ أسنىٰ المطالب، وأظن أنه وهْم أو تصحيف؛ حيث لم يشر أحد إلىٰ هذا الكتاب، أو نقل منه. أسنىٰ المطالب في شرح روض الطالب (١/ ٢٢٣).

(٩) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧-٥٩٩، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٤-٥٠٦)، رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء، تحقيق: أ. عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

١٧- ديوان خطب مشهورة بليغة[١].

١٨- شعر كثير بليغ رقيق[٢].

● **تنبيه:**

لا يصح -والله أعلم- نسبة شرح الأربعين النووية إلىٰ ابن دقيق العيد رحمه الله، لجملة أمور:

أولا: أنَّ هذا الكتاب لم ينسبه أحدٌ إلىٰ **ابن دقيق العيد** رحمه الله ممن ترجم له.

ثانيها، وهو أقواها: أنَّ في الكتاب المنسوب إحالات إلىٰ كتب مصنَّفة بعد وفاة **ابن دقيق العيد** رحمه الله، ففيه مثلًا نقلٌ عن **السعد التفتازاني** رحمه الله[٣]، وهو متوفىٰ عام ٧٩٢هـ. أي: بعد وفاة **ابن دقيق العيد** رحمه الله بتسعين عامًا!

ثالثها: أنَّ الكتاب لا يجري وأسلوب **ابن دقيق العيد** رحمه الله.

رابعها: أكد بعضُ الباحثين[٤] أنَّ الكتاب إنما هو **لابن حجر العسقلاني** لما هو مثبت في مخطوطته مكتبة برلين رقم (٦٧)، جامعة برنستون رقم (٦٧٠)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم (٢١٧٦)، وعضدوا ذلك بتطابق الموجود فيه مع مادة «**فتح الباري**»، ويزيد هذا تأكيدًا أنه ينقل عن

---

(١) «**مستفاد الرحلة**» ص٢٠، «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، «**الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ**» (١/ ٢٤١).

(٢) «**طبقات الشافعية**» لابن قاضىٰ شهبة (٢/ ٢٣١)، «**رفع الإصر**» ص٣٩٧-٤٠٣، «**فوات الوفيات**» (٤/ ١٤١-١٤٧).

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني. ولد سنة ٧١٢هـ. انتهت إليه معرفة البلاغة والمعقول. بدأ التصنيف وعمره ١٦ سنة. له: تهذيب المنطق، وحاشية علىٰ شرح العضد. توفي سنة ٧٩٢هـ. الدرر الكامنة (٦/ ١١٢)، «**الأعلام**» (٧/ ٢١٩).

(٤) اسم الباحث: محمد ابن القاضي، وعنوان بحثه: «**الأربعون النووية لابن حجر العسقلاني وتخطئة نسبته لابن دقيق العيد**».

النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بـ«**قال الشيخ محيي الدين النووي**»، وهذه عادة الحافظ في الفتح، أمَّا **ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ فلا يقع له هذا، فهو أسن مِنَ **النووي** بست سنوات، وإنْ كان **النووي** توفي مبكرًا، و**عُمِّر ابنُ دقيق العيد** بعده بستة وعشرين عامًا، وإنما يصفه عندما ينقل عنه بـ«**قال بعض المتأخرين**»، أو «**قال بعض الشراح**»، ونادرًا ما يصفه باسمه، ويكثر من تعقبه.

المحور الخامس

ملحقات

ملحق (١): عقيدة ابن دقيق العيد.

ملحق (٢): تقريظ الإمام ابن دقيق العيد لكتاب «**زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري**».

ملحق (٣): مقدمة شرح ابن دقيق العيد المفقود على مختصر ابن الحاجب الفقهي.

ملحق (٤): مقدمة شرح الإلمام لابن دقيق العيد.

ملحق (٥): رسالة ابن دقيق العيد إلى نُوَّابه في القضاء.

ملحق (١)

عقيدة ابن دقيق العيد

أولا : معلومات المخطوط .

ثانيًا : شروح المخطوط .

ثالثا : صور المخطوط .

رابعًا : تحقيق المخطوط .

أولا: معلومات المخطوط:

يقع المخطوط: في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تاريخ النسخ: ١٢١٩هـ. رقم المخطوط (٧/٩٧٥٧).

كُتِبَ في أولها: هذه عقيدة في أصول الدين لمولانا **الشيخ أبي الفتح تقي الدين الشهير بابن دقيق العيد**.

وفي نهاية المخطوط: تمت العقيدة بعون الله تعالىٰ علىٰ يد أفقر الورىٰ، وخادم نعال الفقير، الراجي عفو الإله: **حسين بن عبيد القادر** السفسطي لقبًا، الشافعي مذهبًا، الأشعري عقيدة، الدمشقي بلدًا، الصالحي وطنًا، عفىٰ الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين، أمين القدس الشريف في حرم الأقصىٰ الشريف، تم قراءتها في المحل المذكور علىٰ عين أعيان الزمان، ووارث علوم سيد الأكوان، قصب دائرة الوجود علىٰ الإطلاق، وقامع رقاب أهل الزندقة والنفاق، الجامع لكل فضل وخير، سيدنا وأستاذنا **الشيخ محمد**، الشهير **بالبدير**، نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين في شهر المحرم في ١٢١٩هـ[١].

ثانيا: شروح المخطوط:

لهذا المخطوط المختصر شرحان:

الأول: العقد النضيد شرح عقيدة **ابن دقيق العيد**.

والثاني: عنوان العطاء والفتح في شرح عقيدة **ابن دقيق العيد أبي الفتح**.

وكلا الشرحين: لابن أبي شريف البرهاني[٢].

---

(١) «**عقيدة ابن دقيق العيد**»: اللوح رقم (٥)، والذي به ينتهي المخطوط المتعلق بعقيدة **الإمام ابن دقيق العيد**.

(٢) **ينظر**: مركز الملك فيصل: رقم الحفظ (٠٩٧٥٧-٧)، «**هدية العارفين**» (١/ ٢٥).

ثالثا: صور المخطوط:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

قسم الميكروفيلم

رقم المخطوط	٧٥٩٥/٧
العنوان	تقييد في أصول الدين
اسم المؤلف	احمد بن قاسم العبيد
عدد الأوراق	٢٢ - ٢٥
تاريخ النسخ	١٤١٩
الناسخ	

ملاحظات :

هذه عقيدة في أصول الدين لمولانا الشيخ أبو الفتح
تقي الدين القوصي ابن دقيق العيد قال

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الشيخ الإمام حجة الإسلام بقية المجتهدين [illegible] قاضي المسلمين [illegible] ابن مطيع القشيري
الشافعي تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب [illegible] عفا عنه
[illegible] دقيق العيد أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته
[illegible] لله إله العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد ولد آدم
قال نؤمن بأن الله تعالى موجود حي [illegible] لم يزل ولا يزول [illegible] لا ابتداء له ولا انتهاء
وكل ما عداه ممكن وذلك [illegible] [illegible] [illegible]
جوهر [illegible] سبحانه وتعالى لا يستحق الوجود إلا الواجب [illegible]
السموات والأرض [illegible] عنه [illegible] القدم كانت بعد أن لم
تكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بأنه تعالى عالم
بجميع المعلومات محيط علمه بالكليات والجزئيات [illegible]
[illegible] المسموعات بصير [illegible] المبصرات [illegible] أنه تعالى
[illegible] الصفات لا يخرج عن [illegible] [illegible] الوصف
[illegible] قادر على جميع الممكنات [illegible] [illegible]
[illegible] السموات [illegible] [illegible] الأشياء [illegible]
ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المرادات
بالموجودات [illegible] على كل شيء قدير [illegible] [illegible] [illegible]
بالوجود [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]
على [illegible] إرادته [illegible] العالم [illegible] [illegible] أمره إذا أراد
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وأنه متكلم [illegible] هدى للناس وبينات
القرآن [illegible] على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ولا يشبهه
شيء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الذوات
[illegible] صفاته صفات المخلوقات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صفة
[illegible] صفاته في شيء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الذات [illegible] تعالى [illegible] [illegible]

متقدس عن قبول أن الاوهام حد لمن احاطة الاوهام بحكم
من نقص الاصل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وانه
متصف بكل كمال مبرأ من كل نقص [illegible] جلت آلائه
[illegible] الادمى [illegible] بالخليقة [illegible] [illegible]
ولا نقله الكمال من نفي الصفات [illegible] الواقع [illegible]
يعترف بالنقص [illegible] [illegible] حادث من ذات وسند [illegible]
[illegible] للفضيحة [illegible] [illegible] ان [illegible]
قدرته [illegible] على جميع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ان [illegible]
في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
وانه تعالى [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله
الله عليه وسلم [illegible] الذي [illegible] النبي صلى
[illegible] تعالى [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] على [illegible] الذي اراده [illegible]
[illegible] [illegible] كان [illegible] على ما [illegible] الاول
[illegible] [illegible] لسان العرب
لم [illegible] [illegible] [illegible]
التصديق [illegible] [illegible] [illegible]
معناه [illegible] الاول [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] العرب [illegible]
[illegible] [illegible] عليه الصلاة والسلام
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في التعريف

وهكذا بين الوجوه الظاهرة التي يعرف سامعها صحتها من كلام العرب
ودعوا من يجري ما لا يليق بالله تعالى وكتبه ورسله أنبيائه [illegible]
نبيه باسم جبريل وميكائيل وبالكتب التي يجب الإيمان بها [illegible]
ومثل تعريف اسم أنبيائه الكرام وأسماء الكتب المنزلة والأنبياء الرسل
من جملتها اسم يجب الإيمان به [illegible] وتعليم اسمه إجمالا
فأما أن يكون ذلك علمنا بالنص والقياس [illegible] ما [illegible]
أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الذي كان قد علم [illegible] بالمعجزات
الباهرة التي منها القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [illegible]
أن يأتوا بمثله لقال تعالى لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
[illegible] فأتوا بعشر سور مثله [illegible]
[illegible]
للنبي من الله تعالى [illegible] التي تظهر على
[illegible] عن الغيب [illegible] والله [illegible]
[illegible]
[illegible]
عليه صلى الله عليه وسلم من [illegible] في الدنيا [illegible] في الآخرة
[illegible] الله تعالى [illegible]
في الاجتهاد [illegible]
[illegible]
[illegible]
كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible]
[illegible] العالم
وا

وانتقال الغائبين بأجسامهم إلى الدار الآخرة ليجزى أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ووضع الموازين لحساب ووزن
الأعمال وجوازهم على الصراط واستقرارهم في دار النعيم وهي الجنة أو
دار العذاب وهي النار وكل ذلك راجع إلى أمور محسوسة من الجزاء والثواب
من النعيم والعذاب وكما ورد في القرآن العظيم وصح من الروايات عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشار به على ظاهره إذ كان ذلك غير خارج عن العقل
ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين عن الإيمان والتصديق
والتوحيد وبما ورد من خروج الدجال وبجميع ما صح من أشراط الساعة
على وجوهها وكيفيتها كنزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وقتله الدجال
وخروج يأجوج ومأجوج ودابة الأرض ونشهد أن أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أحد منهم [illegible] ولا
نبغض أحدا منهم ونذكر محاسنهم [illegible]
[illegible] عز وجل [illegible] السلام [illegible] قبل
ولا نفضل [illegible] على خصلة من فضائل الصحابة [illegible] الدين فلو لسان ينطق بالثناء
[illegible] وهو [illegible]
[illegible] والإيمان أفضل الصحابة [illegible]
[illegible] بكر [illegible] السنن ولا [illegible]
[illegible] وذلك [illegible] الأجر وما [illegible]
كان [illegible] أو [illegible] على أحسن التأويلات [illegible]
[illegible] من [illegible] وما يحتمل للتأويل [illegible]
[illegible] وخلافة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق وعمر
وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين [illegible]
مقام [illegible] شرعي [illegible]
[illegible] من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر رضي ذلك شكر وبكى حتى ابتلت
لحيته وكان اصحاب الحديث المتمسكين بالسنة يعتقدون ان الآجال
التي علم الله تعالى بها لا تتقدم ولا تتاخر عما في علمه ولا يستطيع اجل احد
من وقت الذي علمه الله تعالى في خلقه [illegible] حتى [illegible] الوصي
بالمرض فهو الشهيد [illegible] الملك [illegible] ولم يخف على نفسه
من [illegible] شديد يشق عليه احتماله رحمه الله الذين فيهم السعود لا
ريب [illegible] النبي صلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وسيد المرسلين وسلم تسليما الذي [illegible] العقيدة [illegible] الله
على يد [illegible] وخادم [illegible] الى [illegible] الفقير الى [illegible]
[illegible] الشافعي [illegible] الاشعري
[illegible] الدمشقي [illegible] القرآن [illegible]
[illegible] [illegible] القدس [illegible] الاقصى
[illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] على [illegible]
اهل [illegible] كل فصل [illegible] سيدنا [illegible]
[illegible] في الدنيا
والاخرة آمين [illegible] على سيدنا محمد
[illegible] وسلم [illegible] الامام [illegible]
[illegible]
[illegible]

رابعا: تحقيق المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عقيدة ابن دقيق العيد

قال الشيخ **الإمام حجة الإسلام**، بقية المجتهدين، علم علىٰ المسلمين، قاضي القضاة: **تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن أبي مطيع القشيري**، المعروف **بابن دقيق العيد**، أعاد الله علينا وعلىٰ المسلمين مِنْ بركته آمين:

الحمد لله إله العالم، والصلاة والسلام علىٰ نبيِّه محمد سيد ولد آدم.

قال: نؤمن بأنَّ الله تعالىٰ موجود، حق، حي، لا أول لوجوده ولا انتهاء، وكل ما عداه مِنْ ملك وفلك وروح ونفس وإنس وجن وجوده مِنْ صنعته سبحانه وتعالى، لا يستحق الوجود الواجب سواه، وأنَّ السموات والأرض محدثة مبتدعة بعد القدم كانت بعد أنْ لم تكن، ومَنِ اعتقد قدمها فقد كفر، ونؤمن بأنه تعالىٰ عالم بجميع المعلومات، يحيط علمه بالكليات والجزئيات [وأخفىٰ الخفيات][1]، سميع يدرك[2] المسموعات، بصير يدرك المبصرات، سواء في أجلىٰ الجليات وأخفىٰ

---

(١) هذه الجملة عليها شطب في المخطوط.

(٢) إرجاع الصفات الفعلية إلىٰ الإدراك والإرادة ونحو ذلك، مذهب مشهور للمتكلمة، يتأولون به =

الخفيات، لا يعزب عن عمله مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، وبأنه قادر علىٰ جميع الممكنات، لا يمنع قدرته مانع ولا في السموات، ولا يدفع مشيئته دافع، قدرته علىٰ الأشياء بلا مزاج، وصنعته بلا علاج، وهو علىٰ كل شيء، قدير، وبأنه مريد تخصيص الجائزات بالوجود دون بعض علىٰ حسب مشيئته، ويميز صفات بعضها علىٰ بعض علىٰ حسب إرادته، وصدور العلم عنه بالمشيئة والقدرة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وأنه متكلم، آمرٌ، ناهٍ، أنزل القرآن المجيد علىٰ نبيه محمد ﷺ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأنه لا يشبهه شيء مِنَ المحدثات، ولا يشبه صفاته صفات المخلوقات، كما لا تشبه ذاته شيئًا مِنَ الذوات، ولا كل ذاته ولا صفة مِنْ صفاته في شيء، وكل صفة لا تكون إلَّا للمحدثات فهي محال عليه، تعالىٰ وتقدس، [بوجوب][1] قدمه[2] متقدسٌ عن تخيلات الأوهام، متعالٍ عن إحاطة الأفهام، متكبر عن نقص الأجسام، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأنه متصف بكل كمال، مبرأ مِنْ كل نقص، منتهىٰ الحاجات، إليه يرجع الأمر كله، منفرد بالألوهية، فلا شريك له، ولا ضد، ولا ند، ولا ولد له، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ونؤمن بالقدر كله، خيره وشره، فكل حادث من ذات وصفة وحركة وسكون، فمستند إلىٰ قدرته وإرادته، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، قدرته العظمىٰ حاكمة علىٰ جميع القدر، ومشيئته العليا قاهرة لجميع البشر، ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويمنع إرادة المخلوقات أن تقع

= نصوص الصفات، وهناك إشارات عدة إلىٰ انتساب الإمام ابن دقيق العيد إلىٰ مذهب المتكلمة الصفاتية، وسبق في مبحث عقيدة الإمام ابن دقيق العيد، ذكر أمارات علىٰ ذلك، نستغني بها عن التعليق علىٰ هذه العقيدة المختصرة؛ إذ المقصود هاهنا تحقيق النص وإخراجه، لا الدراسة والتقويم والرد.

(١) كذا في المخطوط، ولعل الصواب (لوجوب قدمه).

(٢) هنا نهاية اللوح الأول مِنَ المخطوط.

إذا شاء، ويوقفها في الأنفس من غير سبب إذا أراد، ويمنع المسببات عن مسبباتها، ويقطع المسببات عن أسبابها، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وأنه تعالىٰ تجوز رؤيته في الآخرة، كما أخبر عنه النَّبي ﷺ بالمعنىٰ الذي أراد والوجه الذي قصده مع التنزيه عن ما لا يجوز علىٰ الله تعالىٰ، وكذلك نقول في الألفاظ المشكلة الواردة في الكتاب والسُّنَّة: ننزه الله تعالىٰ عما لا يليق بجلاله، ونؤمن بأنها حق وصدق علىٰ الوجه الذي أراده الله ورسوله، ومَنْ أَوَّل شيئا منها، فإنْ كان تأويله قريبًا علىٰ ما يقتضيه لسان العرب ونفهمه مِنْ مخاطباتها لم ننكر عليه ولم نبدعه، وإنْ كان تأويله بعيدًا [توقفنا][1] عن قوله، واستبعدناه، ورجعنا إلىٰ القاعدة في الإيمان بمعناه، والتصديق به علىٰ الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان معناه مِنْ هذه الألفاظ ظاهرا مفهومًا في تخاطب العرب قلنا به وأوَّلناه مِنْ غير توقف فيه، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**قلب المؤمن بين أصبعين مِنْ أصابع الرحمن**»[2]، نحمله علىٰ أنْ إرادات القلب واعتقاداته متصرفة بقدرة الله تعالىٰ وما يوقعه في القلوب[3]، وهكذا سائر الأمور الظاهرة المعنىٰ عند سامعها ممن يعرف كلام العرب، ونؤمن بجميع ملائكة الله تعالىٰ وكتبه ورسله إيمانا كليا ممن يثبت تعيينه باسمه، فجبريل وميكائيل وملك الموت وجب الإيمان به عينًا، ومَنْ لم نعرف اسمه آمنا به إجمالًا، وكذلك الكتب المنزلة، والأنبياء المرسلون، مَنْ علمنا اسمه وجب الإيمان بعينه، ومَنْ لم نعلم اسمه آمنا به إجمالًا، وما كان مِنْ ذلك ثابتًا بالنص والتواتر كفر مَنْ يكفر به، ونؤمن بأنه أرسل محمدًا ﷺ إلىٰ كافة خلقه بالحق، وأيَّده بالمعجزات الباهرة التي منها القرآن المجيد الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، أعجز البلغاء، وأفحم الفصحاء بعد أن تحداهم أن يأتوا

(١) العبارة في المخطوطة [لوقفنا] والتصحيح مِنْ موضع لابن دقيق العيد في شرح الإلمام قرَّر فيه هذه القاعدة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) نهاية اللوح رقم: ٢.

بمثله فقال تعالىٰ: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم بسورة منه، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، فهزمهم العجز أجمعين، وأجاب مَنْ سبقت له الحسنىٰ مِنَ الله تعالىٰ، ثم أيده مع ذلك بالآيات المتعددة التي ظهرت علىٰ يده مِنَ الإخبار عن الغيوب، وتكثير الطعام والماء، وانقياد الشمس، وحنين الجذع، وانشقاق القمر، وغير ذلك مما صح به الإخبار، ونقله أهل العدالة ومَنْ يقطع بصحة اعتقادهم وتدينهم بتحريم الكذب، مع ما كان عليه ﷺ مِنَ الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة وما عند الله تعالىٰ، والاعتماد عليه في الأمور كلها، واطراح الأسباب في الاعتقاد، والاعتماد علىٰ رب الأرباب، وكثرة الذكر والعبادة والتبتل الذي أفضىٰ به إلىٰ تفطر قدماه منها، إلىٰ غير ذلك مِنْ أحواله الشريفة التي لا تحصىٰ كثرة، ولا يحتاج توقف معها إلىٰ سواها دليل ولا غيره.

ونؤمن بأنه كل ما جاء به النَّبي ﷺ مِنْ عند الله تعالىٰ حق وصدق مِنَ انفطار السماء، وانتشار النجوم، وتكوير الشمس، وزوال هيئة العالم(١)، وانتقال الخليقة بأجسامهم إلىٰ الدار الآخرة: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨]، ووقوفهم للحساب، ووزن الأعمال، وجوازهم علىٰ الصراط، واستقرارهم في دار النعيم، وهي الجنة أو دار العذاب، وهي النار، وكل ذلك راجع إلىٰ أمور محسوسة في الجنة والنار مِنَ النعيم والعذاب.

وكل ما ورد في القرآن العظيم وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ: آمنا به علىٰ ظاهره إذا كان ظاهره جائزا في العقل، ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه،

---

(١) انتهاء اللوح رقم: ٣.

ومسألة الملَكين عن الإيمان، والصور، والنفخ فيه، وردِّ الأرواح إلىٰ الأجساد، وبجميع ما صح مِنْ أشراطِ الساعة علىٰ وجهه وكيفيته، كنزول **عيسىٰ بن مريم** ﷺ، وقتله الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض.

ونتولىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نسب أحدًا منهم، ولا نضمر كراهة ولا بغضًا لبشر منهم، ونعرف لهم سوابقهم، وفضائلهم، ونصرتهم لدين الله ﷻ، وتمهيدهم للإسلام إلىٰ يوم الدين، فلا لسان ينطق بالشهادتين ولا ضمير يشتمل علىٰ خصلة مِنْ خصائل الإيمان إلَّا وهو في جملة حسناتهم، لتأسيس القواعد بهم، ولأنَّ، «**مَنْ سَنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلىٰ يوم القيامة**»(١)، والإيمان أفضل الحسنات، وأعظم السنن، ولا بلد ولا مسجد، ولا محل يذكر فيه اسم الله تعالىٰ إلَّا ولهم في ذلك نصيب مِنَ الأجر.

وما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل وكذب ولا التفات إليه، وما كان منه صحيحًا أوّلناه علىٰ أحسن التأويلات، وطلبنا له أجود المخارج؛ لأنَّ الثناء عليهم مِنَ الله سابق، وما يُنقل محتمل للتأويل، والمشكوك لا يبطل المعلوم، ونعتقد صحة إمامة **أبي بكر الصديق**، **وعمر الفاروق**، **وعثمان وعلي** رضوان الله عليهم أجمعين، لم يقم واحد منهم في مقام الخلافة إلَّا بحق ووجه شرعي، لا ظلم فيه لأحد، ولا حيف، ولا غصب، وسئل **مالك** عن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ(٢)، فقال: (**أبو بكر وعمر**، وفي ذلك شك؟!)، وعلىٰ هذا أيمة الفتوىٰ، وأكابر أصحاب الحديث، المتمكنين بالسنة.

ونعتقد أنَّ الآجال التي علم الله توقيتها لا تتقدم ولا تتأخر عما في علمه، ولا ينقطع أجل أحد في الوقت الذي علم الله تعالىٰ وقوعه فيه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٩ رقم ١٠١٧) في كتاب: «**العلم**»: باب: «**مَنْ سنّ سنة حسنة أو سيئة ومَنْ دعا إلىٰ هدىً أو ضلالة**».

(٢) نهاية اللوح رقم: ٤.

ونرىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ مَنْ قدر عليه، ولم يخف علىٰ نفسه ضررًا شديدًا يشق عليه احتماله، ومِنَ الله التوفيق والعصمة، ولا رب غيره، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، خاتم النَّبيين، وسيد المرسلين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا[1].

(١) اللوح رقم (٥)، والذي به ينتهي المخطوط المتعلق بعقيدة الإمام ابن دقيق العيد.

ملحق (٢)

تقريظ الإمام ابن دقيق العيد

لـكـتـاب:

«زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري»

تقريظ الإمام ابن دقيق العيد لكتاب
«زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري»

ذِكْرُ رسالة الشيخ تقىٰ الدين ابن دقيق العيد، المتضمنة تقريظ هذه الرسالة:

المملوك **محمد بن علي** يخدم الجناب الكريم العالي، المولوي، السيدي، العالمي، العلمي، الورعي، الأفضلي، الأكملي، الأبرعي، الأورعي، المحسني، الضيائي، لا زال بحرا وأنواع المعارف مأواه، بدرًا وأوجُ السعادة سماؤه، قطرًا وعزماتُ المكارم أنواؤه، صدر منه مبدأ الشرف وإليه انتهاؤه.

يقوم بنصر الدِّين في كل موطن ... بِهِ راية الإسلام تعلو وتنصبُ
ويأتي إلىٰ روضٍ علىٰ دِمْنَةٍ له ... فتحرقُه أنفاسُه وهو معشِبُ
فلا عُدم الإسلام مثلك ساعيًا ... له راعيًا ما الله يرعىٰ ويطلبُ
إذا أجمع البدعي في الغي أمره ... وأبصر ما يُمليه فهو المذبذبُ
وإنْ لاح مِنْ تلقائه في ظلامه ... سنا بارق إطفائه فهو خُلَّبُ
يُناديه في تقريبه لضلاله ... منه عنقاء مُغْرِبُ
أبىٰ لي أنْ يستهضم الحق جهرةً ... ويخذل أنصار لذاك ومغربُ
أولئك قوم نصَّ أَن ظهورهم ... علىٰ الحق ما داموا النَّبيُّ المقربُ

خدمة تقوم بواجب الفرض، ويملأ ثناها ذات الطول والعرض، ويصدق

ودها، فلا يرجىٰ عليه ثواب، ولا ينحىٰ به منحىٰ القرض، ويثبت عهدها، فإذا غيَّر النأي المحبين قال هو: فلن أبرح الأرض.

دعاوٍ لها من سالف الوُدِّ شاهدٌ يصدقه منك الضمير ويقبلُ
تدوم علىٰ الأيام والدهر ينقضي وتظفر بالبقيا إذا خاب يذبلُ
متىٰ تنتهِ الأفكار منه لغاية نظن مداها آخرا وهو أولُ
ويتلوه من إحسانك الجمّ شاهدٌ يزكيه طيب المنتمي ويعدّلُ

وحسبك بشاهدين مقبولين، ومزكىٰ بل حاكمين، لا يخشىٰ حكمهما نقضًا، ولا حديثهما تركًا، بل عَلَمين شاهدهما مَنْ أقبل وأدبر، ونصيرهما مَنْ أضحك وأبكىٰ، بل مفردين لا يقبل إفرادهما تثنية، ولا توحيدهما شركًا، بل جملتين لا يحكيهما متكلف وإنْ كانت الجمل قد تحكىٰ، وينهىٰ ورود الكتاب الكريم، والإحسان العميم، والفضل الذىٰ هو عنده وعند الله عظيم، قرينًا للحسناء التي صادت وصدت الكاس وصدت في مذهبها، فلم تجر علىٰ قاعدة القياس، ونفرت مِنَ المملوك، ولقد أعد لها الإيناس قبل الإبساس[1]، وعدلت عن ربعه، ولو مرت لقال ما في وقوفك ساعة مِنْ باس، هجرت والقلوب للهجر تدمىٰ، والعيون تتضرج، ونشرت ولعهدي بالحسناء تتزين، ثم تتبرج، وأخفت الخالص مِنْ نقدها، وإنما يخفىٰ ما يخاف أنْ يتبهرج، ولعلها تصوفت فرجحت عالم الغيب علىٰ عالم الشهود، أو تفقهت فرأت ألَّا حرج علىٰ الفار إذا نوىٰ أنْ يعود، أو تأدبت فقال: قد يرفض الأصل ويخرج عن المعهود، أو تصرفت فمالت إلىٰ الصلف ومخالفة محبوب **ابن داود**، فبات المملوك ليالي بليل المشوق، وقلق مِنْ بعد مزاره، فتعلل بلمح البروق، وكيف حال مَنْ أجدبت مراعيه، وأظلمت

(١) **الإيناس قبل الإبساس**: مثلٌ عربي، والإبساس أنْ يقول للناقة: بُس بُس، ويقال: ناقة بسوس إذا كانت لا تدر إلَّا علىٰ الإبساس، ومنه حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب حتىٰ تفانوا منه؛ لأنَّ أصل هذه الحرب إنما كانت لناقة عقرها جساس ابن مرة، وقيل: اسم المرأة التي كانت تحلب الناقة: بسوس، فيقال: أشأمُ مِنَ البسوس. «**تصحيفات المحدثين**» (١/ ٣٤٠)، المحكم والمحيط الأعظم (**مادة**: مقلوبة ب س س).

مساعيه، فهو ينتظر سحبًا تريق، أو أنوارًا تروق، ولما كان استقبال ليلة عزوبة زفت البكر التي هي مِنْ جناب سيدنا مألوفة، وبين أهل العصر غريبة، وأوفت والطفل جانح والنهار جامح، والغروب لآية المساء شارح، وإنسان العين في بحر مِنَ العسجد سابح، وحينئذ ترك المملوك عسىٰ ولعل، ورأىٰ نجم تعليله قد أفل، وحسن اختياره قد اضمحل، وتحقق أنَّ الصواب لمن وفق غير بعيد، وَمْن رضىٰ باختيار الله له فهو عين السعيد، وقال لنفسه: لعل التأخر ليجمع الله لك في ليلة واحدة بين ليلتي عيد، فتلقىٰ راية وصلها باليمين، وشدَّ يده عليها لما ظفر بالعقد الثمين، ورأىٰ ألفاظها الساحرة تقسم علىٰ سلب الألباب فلا تمين، فلو تمثلت أنا بشيء لقلنا: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصَّافَّات: ٢٨]، ولزمها لزوم الخطب للمنابر، والمقل للمحاجر، والقيظ بشهر ناجر[1]، والأعراض لمحالها مِنَ الجواهر، ولم يقض واجب الصلاة حتىٰ عرضها المملوك واستكملها، وأخذ مأخذ العزم فما فتر ولا لها، وقال لعينه: دونك، فتمتعي بحسناء لن تري مثلها، وتعقليه عقل الأدب، فإنْ عرض إشكال فمنك، وإنْ بهر إحسان فلها، ثم عزم علىٰ أنْ يبني عليها بناء الأجساد علىٰ حليها، والرياض علىٰ وسميها ووليها، والفصحاء مِنْ أبناء الكرام علىٰ مولىٰ النعمة ووليها، ويجرىٰ في ذلك جواد اللسان، ويطمع أنْ يأخذ بطرف مِنَ الإحسان، وحكم أنَّ لسان التقصير قصير، ومحل سيدنا مِنَ الفضل كبير، والخدام في نشر محاسنه كثير، ونشر سقط المتاع عين السفه، ولو وقف المملوك عند طوره لما فاه ببنت شفة، ومَنْ شرع في أمر ولم يكمله فما أنصفه، والعجز عن درك الإدراك نفس الإدراك وعين المعرفة، فأطال الله لسيدنا مِنَ العمر مداه، وأرغم به أنف المبتدعة، فما هم إلَّا عداه، وبيض وجهه بما حبر قلمه، وادخر كرامته لما قدمت يداه[2].

---

(١) **شهر ناجر**: هو الشهر الواقع في صميم الحر، مِنَ النجر، وهو فرط العطش. «**أساس البلاغة**» (٢/ ٢٥٠).

(٢) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٣/ ٤٣٨-٤٤٠).

ملحق (٣)

مقدمة شرح ابن دقيق العيد المفقود

على

مختصر ابن الحاجب الفقهي

مقدمة شرح
ابن دقيق العيد المفقود
على مختصر ابن الحاجب الفقهي

توطئة: هذا الملحق يتعلق بمقدمة **الإمام ابن دقيق العيد** لكتابه المفقود: «**شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي**»، وقد حفظها لنا بتمامها **تاج الدين السبكي** في كتابه الموعب: «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**»[1]:

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصِّل الخطاب، وفاتح أبواب الصواب، ومانحَ أسباب الثواب، أحمده وهباته تَنزِل بغير حساب، وأعبده وإليه المرجع والمآب، وأرجوه وأخافه فبيده الثواب والعقاب.

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، شهادة مُقدِّمات دلائلها مبيِّنة الأسباب، ونتيجة اعتقادها جنة مفتحة الأبواب.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله وقد طال زمنُ الفترة ونسيت الآداب، وبَعُدَ عهد النّبوة فزال الحق وانجاب، فمنازل الهدىٰ خراب، ومعاهده لا تعتاد ولا تُنتاب، وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب، حتىٰ أُفرِد النظرُ بالدنيا وادُّعِيَ تعدد الأرباب، فاختار الله محمدًا في أشرف الأنساب وخيرة الأحساب،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

نذيرًا بين يدي العذاب، وبشيرًا لمن أطاع الحق وأجاب، وأيَّده بمعجزات تدفع عارض الارتياب، وتكشف أنوار اليقين ليس دونها حجاب، وتدع القلوب مطمئنة لا ترتاع مِنْ جانب الشبهات ولا ترتاب، فصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد صلاة وسلامًا يدخل فيهما الآل والأصحاب.

أمَّا بعد:

فإن التصنيف في علم الأحكام وتبيين الحلال من الحرام: وإنْ كانت شدةُ الحاجة إليه تُوجِب وقفَ الهمم عليه، ووقوف الإمكان بين يديه.

فإن شدة خطره وعظيم غرره مما يوجِبُ: مهابة الشروع في تلك المشارع، والتوقف عن الحكم علىٰ مقاصد الشارع.

ما هي إلا:

- أعراض تنتهك! وأجسام تنتهك!
- وأعمال يتعب لها وينصب! وأموال يثبت ملكها ويسلب!
- ودماء تعصم وتسفح! وأبضاع تحرم أو تنكح!

هذا:

- مع تشعب مواقع النظر، وتعارض مسالك العبر
- وملال يعتري الأذهان، وتقصير جُبِل عليه طبع الإنسان

فالطريق: خفي المسارب، **والغاية:** مخوفة العواقب.

وما قلَّ من ذلك:

- يتقوىٰ الخاطر الرادع، ويتوقىٰ الرأي الخادع.
- ويخاف الآمن، ويقلق الرادع.

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم:

لطريق هذا الخوف: سالكين، ولأزِمَّة الورع والخشية: مالكين.

فتدافعوا: الفتوىٰ، لشدة: التقوىٰ.

وأجابوا: عن اليسير، عندما سئلوا: عن الكثير.

وأجروا: الدموع فَرَقًا، وجروا: إلىٰ غاية التحري طَلَقًا.

ثم آل الأمر:

- إلىٰ التسامح والتساهل، والغفلة والتغافل.

فأُطلِقت: أَعِنَّةُ الأقلام، **وأُرْسِلَت**: بوادرُ الكلام.

وطُوِيَ: بساط التورع رأسا! **وعُدَّ التوقف**: جهالة أو وسواسا!

وتوهموا:

التسرع: دليلًا علىٰ كثرة الحاصل! **والإحجام**: علامة علىٰ قلة الواصل!

وأحد الأمرين لازم لهم:

١- إمَّا أنْ يدَّعوا أنهم أعلم ممن سبق.

٢- أو يسلِّموا أنهم ما طَرَقَ قلوبَهم مِنْ مخافة الله ما ألَمَّ بقلوب العارفين وطَرَق.

هذا ما يتعلق بغرور الأخرىٰ.

وأمَّا في الدنيا وإنْ كان يعم كل تصنيف:

فإنَّ المرء:

- يُتعِبُ أفكاره، ويكدُّ ليله ونهاره
- ويقدحُ زناد القريحة حتىٰ يَرِى قَدْحُه، ويرقب فجر الحقائق حتىٰ يتبلَّج صُبحُه.
- ويَرُوضُ مصاعبَ النظر حتىٰ يُصحِبَ جامحُها، ويستدني شوارد العِبَر حتىٰ يقرُب نازحُها، فإذا ينجلي له من ذلك نادرة أبداها، وتأمل أن يودع بالفكر خاتمتها، ويتلقىٰ بالشكر مبداها

قام الحاسد:

- فقبَّح تلك الصورة الحسنة وشانها! وحقَّر تلك الجملة الجميلة وشانها!

وقال بلسان الحال أو المقال:

- لقد دلَّاك أيها المصنف الغُرورُ، واستهواك الغَرورُ!
- وخاب العنا، وصفر الإنا!
- وطاش السهم، وطال الوهم، وطاح الفهم!
- فالروض هشيم، والمرتع وخيم!
- والمورد وَشَلٌ وإنْ ظُنَّ أنه جميم[1].

إلىٰ أمثال ذلك مِنْ أثر الحسد الذي يدع:

- الخواطر في كمد، والنفوس في مجاهدتها في كبد
- ويكسف البال، ويقلص الآمال
- ويكدر من المشرب العذب الزلال
- ويحرم من الأحالة[2] السحر الحلال
- ويقبِّح من الإحسان أجمل الجلال

حتىٰ إنَّ الكتاب الذي صنفه الإمام العلَّامة الأفضل: أبو عمرو عثمان ابن عمر ابن أبي بكر الدويني الأصل، الصعيدي المولد، المعروف بابن الحاجب ﵀، وسماه الجامع بين الأمهات:

- أتىٰ فيه بالعجب العجاب، ودعا قصيَّ الإجادة فكان المُجاب، وراضَ عصيَّ المراد، فزال شِماسُه وانجاب.

---

(١) **يعني**: أن الماء قليل وإن ظُنَّ أنه كثير. تحقيق «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/٢٣٣).

(٢) قال محققا طبقات الشافعية الكبرىٰ: هكذا في الأصول. ولعلها «**الإجادة**»، وسيأتي نظيرها. (٩/٢٣٤).

• وأبدىٰ ما حقُّه أن تصرف أعِنَّة الشكر إليه، وتُلقَىٰ مقاليدُ الاستحسان بين يديه، وأنْ يُبَالغ في استحسانه، ويشكر نفحات خاطره ونفثات لسانه.

فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

• تيسرت له البلاغة، فتفيَّأ ظلها الظليل، وتفجرت ينابيع الحكمة، فكان خاطره ببطن المسيل، وقرَّب المرمىٰ، فخفف الحمل الثقيل، وقام بوظيفة الإيجاز، فناداه لسان الإنصاف: ما علىٰ المحسنين من سبيل.

ومع ذلك:

• **فلم يَعدَم**: الذامَ حسناؤه

• **ولا روعي**: اجتهاده في خدمة العلم واعتناؤه

• **بل أُنْحِي**: علىٰ مقاصده، فذمَّت أنحاؤه

• **وقُصِدَ**: أن يُستكفأ من الإحسان صحيفته وإناؤه

• **فتارة**: يعاب لفظه بالتعقيد!

• **وطَوْرًا يقال**: لقد رَمَىٰ المعنىٰ مِنْ أمدٍ بعيد!

• **ومرة**: ينسب إلىٰ السهو والغلط!

• **وأخرىٰ**: رجح غير المشهور، وذلك معدود من السقط!

• **وجعل ذلك**: ذريعة إلىٰ التنفير عن كتابه، والتزهيد فيه، والغض ممن يتبع أثر سلوكه ويقتفيه!

وهذا عندنا: مِنَ الجور البين، والطريق الذي سلوك سواه والعدول عنه متعين.

فأمَّا الاعتراض بالتعقيد والإغماض:

فربما كان سببه: بُعدَ الفهم، ويُعدُّ الذنب هناك للطرف لا للنجم!

وإنما وضعت هذه المختصرات:

- لقرائح غير قرائح!
- وخواطر إذا استسقيت كانت مواطر!
- وأذهان يتَّقدُ أُوارُها، وأفكار إذا رامت الغاية قصر مضمارُها!

فربما أخذها القاصر ذهنا:

- فما فكَّ لها لفظا ولا طرق معنىٰ.
- فإنْ وقف هناك وسلَّم سَلِم.
- وإنْ أنف بالنسبة إلىٰ التقصير فأطلق لسانه أثم.
- وهو مخطئ في أول سلوك الطريق.
- وظالم لنفسه حيث حمَّلها ما لا تطيق.

وسبيل هذه الطبقة:

- أنْ تطلب المبسوطات التي تفرّدت في إيضاحها
- وأبرزت معانيها سافرة عن نقابها.
- مشهورة بغررها وأوضاحها.

والحكيم:

- مَنْ يُقِرُّ الأمورَ في نصابها.
- ويُعطي كلَّ طبقة ما لا يليق إلَّا بها.

وأمَّا السهو والغلط: فما أمكن تأويله علىٰ شيء يُتأول، وما وجد سبيل واضح إلىٰ توجيهه حُمِل علىٰ أحسن محمل

- **وما استدت فيه الطرق الواضحة، وتؤملت أسباب حسنه أو صحته فلم تكن لائحة:** فلسنا ندعي لغير معصوم عصمة، ولا نتكلف تقدير ما نعتقده غلطًا بأنَّ ذلك أبهج وصمة، فالحق أولىٰ ما رُفِع علمُه، وروعيت ذممه، ووفيت مِنَ

العناية قسمه، وأقسم المحققُّ أن لا يعافه فبرَّ قسمه، وعزم النظر أن يلزم موقفه، فثبتت قدمه.

ولكن لا نجعل ذلك ذريعة:

• إلىٰ ترك الصواب الجم، ولا نستحل أنْ نقيم في حق المصنف شيئًا إلىٰ ارتكاب مركب الذم.

• والذنب الواحد لا يهجر له الحبيب، والروضة الحسناء لا تترك لموضع قبر جَديب.

• والحسنات يُذْهِبْن السيئات، وترك المصالح الراجحة للمفاسد المرجوحة مِنْ أعظم المباآت(١).

• والكلام يحمل بعضه بعضا، ومَنْ أَسْخَطَه تقصيرٌ يسير، فسيقف علىٰ إحسانٍ كبير فيرضىٰ.

ولو ذهبنا نترك كل كتاب وَقَعَ فيه غلطٌ أو فَرَطَ من مصنِّفه سهو أو سقط:

• لضاق علينا المجال، وقصر السجال، وجحدنا فضائل الرجال.

• وفاتنا فوائد تكاثر عديد الحصا، وفقدنا عوائد هي أجدىٰ علينا مِنْ تفاريق العصا.

ولقد نفع الله الأمة بكتب:

• طارت كل المطار، وجازت أجواز الفلوات، وأثباج البحار.

وما فيها إلا:

• ما وقع فيه عيب، وعرف منه غلط بغير شك ولا ريب

ولم يجعله الناس:

١- سببًا لرفضها وهجرها.

---

(١) قال محققا طبقات الشافعية الكبرىٰ: كأنه جمع «**المباءة**»، بمعنىٰ المرجع، ويكون المراد: مِنْ أعظم ما يرجع إليه. (٩/ ٢٣٦).

٢- ولا توقفوا عن الاستضاءة بأنوار الهداية مِنْ أفق فجرها.

وسلكنا عند الإنصاف تلك السبيل.

- **ولا بدع في أنْ يعطىٰ الشخص حكم السَّغَب والتبتيل**

يا ابن الأعارب ما علينا باس لم نأبَ إلَّا ما أباه الناسُ

- علىٰ أنه لما طال الزمان قليلًا، عاد جد ذلك السغب قليلًا.

- فحفظ هذا الكتاب الحفاظ، واعتُني منه بالمعاني والألفاظ، وشُدَّت عليه يدُ الضَّنانة والحِفاظ، وقامت له سوقٌ لا يدَّعيها ذو المجاز ولا عكاظ.

- فوكِّلت به الأسماع والأبصار، وكثرت له الأعوان والأنصار، وسَكَنَت الدهماء، فحمد ذلك النقع المثار، وأُسِّس بناء الإنصاف علىٰ التقوىٰ فهدم مسجد الضرار.

- فابيضَّت تلك الليالي السود، ومات الحسد أو مات المحسود.

فكان كما قلتُ:

ادأبْ علىٰ جمع الفضائل جاهدا وأدم لها تعب القَرِيحة والجسدْ
واقصد بها وجه الإله ونفع من بلغته ممن جدَّ فيها واجتهدْ
واترك كلام الحاسدين وبغيهم هَمَلًا فبعد الموت ينقطع الحسدْ

فقد آن إذن وحق أن نشرح هذا الكتاب شرحًا:

- يُعينُ الناظر فيه علىٰ فك لفظه وفهم معانيه

- علىٰ وجه يسهل للماهر مساغه وذوقه، ويرفع القاصد، فيلحقه بدرجة من هو فوقه

- ويسلك سبيل معرفته ذللا، ويدرك به ناظره من وضوحه أملا.

فاستخرت الله تعالىٰ في وضع هذا الشرح قاصدا فيه لعشرة أمور:

الأول: التعرض:

- لبسط ألفاظه المقفلة، وإيضاح معانيه المشكلة، وإظهار مضمراته المهملة.

فأذكر المسائل أو المسألة:

أبسط العبارة فيها، وأقتصر علىٰ ذلك إنْ رأيت أنه يكفيها، وإلَّا رجعت إلىٰ تنزيل ألفاظ الكتاب علىٰ ذلك الذي بسطته موضعا موضعًا لأجمع بين البيان الإجمالي والتفصيلي معا.

اللهم إلا مواضع يسيرة:

- أخذ الإشكالُ بخَنَقِها، ورامت الأذهانُ الرائقةُ سلوكَها، فالتبس عليها جميعُ طُرُقِها، فإنا نطوي تلك علىٰ غَرِّها[1]، ونربأ بأنفسنا عن ركوب مراكب العَسْف، مستعيذين بالله مِنْ شرِّها.

- والعاقل يختار السكوت علىٰ التخليط، وإذا لم يكن بد من أحد الحَمْلين فجيء هذا بالبسيط.

علىٰ أني لا أجزم بالصحة لتلك المواضع: ولا أعتقد العصمة إلا لمن يشهد له بها القواطع، ولقد سمعت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ يحكي ما معناه أو قريب منه: أنَّ المصنف سُئِل عن شيء مِنَ هذا الكتاب فلم يأت منه بجواب، وذكر أنه إنما وضعه علىٰ الصحة!

الثاني: تفسير ألفاظه الغريبة واللغوية، وكيفية النطق بها علىٰ مقتضىٰ العربية:

- وذكر شيء من الاشتقاقات الأدبية، والتحرز مما يُعدُّ من لحن العوام، والتحفظ من التصحيف الذي هو إحدىٰ الطوام.

- ولقد بلي بذلك من ضعفة الفقهاء من صفر من الأدب مزاده، وقلَّ في طريق العربية زاده.

- وخفَّت عن تلك اللطائف طباعه، وتناءت عن تلك المناهل رباعُه.

---

(١) **يقال**: طويت الثوب علىٰ غَرِّهِ، أي: كسره الأوَّل. «**الصحاح**» للجوهري (**مادة**: غرر).

الثالث: أنسب الأقوال المهملة إلىٰ أربابها إذا أُطلِقت، وأميِّز أقوال الإمام مِنْ أقوال الصحابة إذا عُلِمت المخالفة بينهم وتحققت.

- وأبيِّن الأصح مِنَ القولين إذا لم يُبيِّن.
- وأعيِّن الأشهر من الخلاف إذا لم يُعيِّن.

كل ذلك: بحسب ما انتهىٰ علمي إليه، ووقف بحثي بحسب الحال الحاضر عليه.

الرابع: أراعي في المسائل المذهبية التوجيه والتعليل، ولا أدعها تتردد بين أنحاء التعليل.

- فما قويت في الاعتبار مُنَّتُه ومبانيه، ورجحت عند النظار رتبتهُ ودرايتُه.
- أوضحت الطريق إليه أيَّ إيضاح، وجلوتُ الحق هنالك كالقمر اللِّياح.
- وما ضعفت مِنَ القواعد مادته، وخفيت علىٰ التحقيق جادته.
- اكتفيت فيه بالميسور من التعليل، أو أخذت علىٰ غيري فحكيتُ ما قيل.
- فما كل مَسْك[1] يصلُح وعاء للمِسك، ولا كل ضعيفٍ يُوسَم بسِمَة التَّرْك.

الخامس: أُحْكِمُ مِنْ صناعة الحديث ما أُورِدُه، وأُتقِنُ ما أَنُص فيه وأسردُه.

فإن حكمتُ بصحة حديث بإسناد ذلك إليَّ:

- فبعد أن أنزِعَ رداء التعصب عن منكبي، وأؤدِّي حق النصيحة للسنة كما يتعيَّن.
- وأحترز مِنَ الميل إلىٰ نصر مذهب معيَّن.
- فإنْ وجد المستدلُّ مطلوبه بنىٰ علىٰ أوثق أساس، وإلَّا فليعدل إلىٰ غير النص مِنْ أنواع الاستدلال والقياس.

---

(١) **المَسْك**: الإهاب؛ لأنه يمسك فيه الشيء إذا جُعِل سقاء. معجم مقاييس اللغة (**مادة**: مسك).

وإنْ حكيتُ الصحةَ عن غيري:

- فعن حق لا تمتد يد الشك إلىٰ لبسه، وقد قيل: مَنْ أحال علىٰ غيره فقد احتاط لنفسه.
- وما عزوتُه إلىٰ الكتب المشهورة فهو فيها عند المراجعة موجود، فإن وجد في مظنته وإلا فعند التتبع يحصد المقصود.

وقد: وقع لجماعة من الفقهاء وغيرهم في ذلك خلل، **وأقدم**: بعضهم علىٰ أمر ليته عنه نكل.

وقد حكيت في هذا الكتاب من:

- غرائب الأخبار، وشوارد الآثار
- ما يعز وجوده عند الفقهاء الذين خصوا الفقه بالعناية، وحصُّوا[(١)] جناح المسير إلىٰ الرواية.

السادس: ما جزمتُ بنقله عن أئمة الاجتهاد تحرَّيتُ فيه، ومنحتُه مِنْ طريق الاحتياط ما يكفيه.

فإن كان من أحد المذاهب الأربعة: نقلته من كتب أصحابه، وأخذته عن المتن، فأتيت الأمر من بابه.

ولم أعتبر حكاية الغير عنهم:

- فإنه طريق وقع فيه الخلل، وتعدد مِنْ جماعة مِنَ النقلة فيه الزلل، وحكىٰ المخالفون للمذاهب عنها ما ليس منها.

وما كان من الأقوال للمتقدمين للصحابة ومن شذ عمن ذكرناه من المخالفين:

- فاعتمادي فيه علىٰ كتاب: «**الإشراف**» للحافظ **أبي بكر بن المنذر** رحمه الله فبأنواره اهتديت، وبطريقه إلىٰ تلك الغاية اقتديت.

---

(١) **الحص**: حلق الشعر، ويقال: جناح أحص إذا ذهب الشعر كله. فقه اللغة وسر العربية، ص٦٤.

فإن لم يكن فيه ذلك النقل، ولم أره فيه:

نقلتُ مِنْ غيره بعبارة ملخصة، فقلتُ: وحُكيَ عن فلان كذا، أو عن فلان كذا إلَّا ما جزمتُ بصحته، فإني أقطع القول بنسبته إليه.

ولما كنتُ لا أرىٰ لأحد قولا إلا ما نص عليه وتعذر عليَّ في كثير مِنَ المسائل معرفة نص صاحب المذهب لكون المسألة متفقا عليها عند ناقلته:

رأيتُ أن أقول في مثل ذلك: قالت **الحنفية** أو **الشافعية** أو **الحنبلية**، أو قال **الحنفي** أو **الحنبلي**.

وما قلتُ: قد نُقِلَ عن فلان أو اشتهر عنه فلا ألزم نقله عن كتب أصحاب ذلك الإمام لصدق اللفظ المذكور وإنْ لم ينقل مِنْ كتبهم.

السابع: أذكر في المسائل الخلافية المعروفة بمسائل الطريقة: مواد أصل الاجتهاد.

- **فإنْ تعددت:** اخترت الأمتن، وقصدت الأحسن
- **لا علىٰ وجه:** الإطالة الموجبة للملالة، **ولا علىٰ طريقة:** الإجمال المفضي إلىٰ الإخلال.

ثم إن لأهل عصرنا وما واتاه:

- نكتا رشيقة، وطُرُقا روضاتها أنيقة
- أخذوا فيها مأخذ الإعراب، وأبدوا عرائسها كالكواكب الأتْراب.
- وأمَّلوا الإبداع فأدركوا التأميل، وظفروا فيه بالمُعلَّىٰ لما أرسلوا أقداح المُجِيل.

إلا أن أكثرهم:

- أُولع من تعبير المُبين، وبالغ في إغلاقها حتىٰ لا تكاد تُبين.
- إنما هو جدال كالجِلاد، وخيال تزخرفه الألسنة الحِداد.

فلم أرَ إخلاء هذا الكتاب عن شيء منها، ولا استحسنتُ مع ظرافها أنْ أعرض بالكليّة عنها.

- فكسوتُ بعض المسائل الفقهية ذلك الوشْيَ المرقوم، وأنفتُ أنْ يضحي صاحب هذه الصنعة بأثر من رزقها محروم.
- ولم أبالغ في الإغلاق والإبهام، ولا أكثرت من هذا النوع، فإنه خروج عن المصطلح في كتب الأحكام.

الثامن: ما أسلكه من الطرق في الحِجاج:

- لا أرُوغ فيه رَوَغان الثعالب، ولا أُرجِّح مِنْ جانب ما ضعَّفتُه في جانب.
- ولا ألتزم فساد الذم عند المخالفة بمثله، ولا أضع شخصا تقدم مني ذكر فضله.
- ولا أسلك طريق اليمن، فإنْ رضيتُ مدحت، وإنْ سخطتُ قدحت، ولا أتهافت، فإنْ فعلت، فما أنصفتُ نفسي ولا نصحت.
- **فلقد فعل ذلك قوم** أوجبوا السبيل إلىٰ ذمِّهم، فأقروا عند ذكر العيوب عين خصمهم.
- فأطال عليهم في التشنيع، وبدّد بسوء ذلك الصنيع.
- ونسب إليهم مجاولة تغليط الناظر، وتُوهَّم فيهم أنَّ المقصود المغالبة في الوقت الحاضر.
- ولا ضرورة تدعو إلىٰ ذلك، ولا حاجة إلىٰ سلوك هذه المسالك.

التاسع: لست بالراغب في:

- جلب زوائد الفروع المسطورة، وحصر شوارد المسائل المذكورة.
- ما لم يتضمنه هذا المجموع، ولا رفع ذكر هذا الموضوع.

• فإنَّ المقصود إنما هو الشرح، فليُتوقّف الغرض عليه، ولتتوجه الدواعي والهمم إليه.

• واللائق بذلك الغرض كتب المسائل.

• التي قصد إلىٰ جمعها، واستقلَّ أصحابُ التصانيف بوضعها، ولكل غاية طريق قاصد يناسبها، ولكل عزمة مأخذ من نحو ما يصاحبها.

فأما الأقوال المتصلة:

• بما وضعه المصنف وذكره، والفروع المقارنة لما نظمه وسطَره.

• فإني أمنحها طرفًا من العناية، وأوليها جانبَ الولاية.

العاشر: أذكر الاستشكالات في مباحث أنبِّه فيها:

• فهمَ الباحث وأرسلها إرسالًا، ولا أدعها تسير أرسالًا، وأوسع للناظر فيه مجالًا.

• حتىٰ إذا خرج مِنَ السعة للضيق، وتبارز في ميدان التسابق فرسان التحقيق.

• وأُخرِجت أحكامُ النفوس من السير، وكان الطريق مِيتاء ينفذها البصر ويستسير فيها العير.

• وسلمت الممادح مِنَ القوادح، ووقع الإنصاف فربما فضل الجَذَع علىٰ القارِح.

• فهناك تنكشف الأستار عن الحقائق، وتبين الفضيلة لسيل الوجيه ولاحق.

فهذه الطرق: التي أقصدها، والأنحاء: التي أعتمدها.

• **ومِنَ الله:** أعتمد العون، ومن الخسارة فيما نرجو ربحه: أسأله الصون.

- فبه القوة والحول، ومنه: الإحسان والطول
- فإنْ لم تفض مِنْ رحمته سِجال، ويتسع لمسامحته مجال.
- فالتباب والخسار، والتنائي عن منازل الأبرار، ونعوذ بالله مِنْ عمر وعمل تقتحمهما النار.

وهذا حين الشروع في المراد: والله ولي التوفيق والإرشاد، إنه علىٰ ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

آخر الخطبة المشار إليها، فرحم الله مُنْشِيها، والحمد لله رب العالمين»[١].

(١) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» للسبكي (٩/ ٢٣١-٢٤٤).

ملحق (٤)

مقدمة شرح الإلمام لابن دقيق العيد

مقدمة شرح الإلمام لابن دقيق العيد

هذه مقدمة فارس الأصول القائل: «**أصول الفقه يقضىٰ ولا يقضىٰ عليه**»[1]، أسفر فيها عن طريقته في شرح هذا الكتاب، وليتها تكون أنموذجًا للمشتغلين.

وقد اختار **الأدفوي** في الطالع السعيد هذه المقدمة ليستشهد بها علىٰ أنَّ لمترجمه **ابن دقيق العيد**: «**نثر أحسن مِنَ الدرر، ونظم أبهج مِنْ عقود الجوهر، ولو لم يكن له إلَّا ما تضمنته خطبة شرح الإلمام لشهد له مِنَ الأدب بأوفر الأقسام**»[2]، ثم ساق هذه الخطبة.

وساقها أيضًا **تاج الدين السبكي** في ترجمته[3]، وهي مطبوعة مع ما طبع مِنَ الجزء الأول مِنْ شرح الإلمام.

وإليكم المقدمة بتمامها:

الحمد لله شارح الصدور حرج الصدور بلطف، وشارح مُرْتَج الأمور بعطفه، نحمده علىٰ نعم لم تغرب عنا طوالعها، ولم تنضُب لدينا مشارعها.

ونشهد أنْ لا إله إلَّا الله، شهادة يفيض علىٰ الأسرار نورها، ويستفيض علىٰ الأقطار ظهورها.

---

(١) «**البحر المحيط**» (١/٨).

(٢) «**الطالع السعيد**» ص٥٨٧.

(٣) «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**» (٩/ ٢٣١).

ونشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الذي به سبغت نعمة الهداية أكمل سبوغ، وجعل له سلطانا نصيرًا أفضىٰ إلىٰ درْك غاية الظفر والبلوغ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، صلاة يبلغ بها أرفع المراتب مِنَ أقر به، **وبعد**:

فإنَّ التفقّه في الدين منزلة لا يخفىٰ شرفُها وعلاها، ولا تَحتجب عن العقل طوالعها وأضواؤها، وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل، البحثُ عن معاني حديث نبيه المرسل؛ إذ بذلك تثبت القواعد، ويستقر الأساس، وعنه يصدر الإجماعُ، ويقوم القياس، وما تعيَّن شرعًا تعيَّن تقديمه شروعًا، وما يكون محمولًا علىٰ الرأس لا يحسن أنْ يجعل موضوعًا، لكن شرط ذلك عندنا أنْ يحفظ هذا النظام، ويُجعل الرأي هو المؤتم والنص هو الإمام، وتُردُّ المذاهب إليه، وتضم الآراء المنتشرة حتىٰ تقف بين يديه.

وأمَّا أنْ يُجعل الفرعُ أصلًا، بردِّ النص إليه بالتكلف والتحيل، ويحمل علىٰ أبعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل، ويرُكب في تقرير الآراء الصعب والذلول، ويعمل مِنَ التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول، فذلك عندنا مَنْ أردأ مذهب، وأسوأ طريقة، ولا يُعتقد أنه تحصل معه النصيحة للدين علىٰ الحقيقة.

وكيف يقع أمرٌ مع رجحان منافيه؟ وأنىٰ يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه؟ ومتىٰ ينصف حاكم ملكته غضبية العصبية؟ وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية؟ وأنىٰ يحكم بالعدل عند تعاد الطرفين؟ ويظهر الجور عند تقابل المتحرِّفين؟

هذا، ولما خرج ما أخرجته مِنْ كتاب «**الإمام في معرفة أحاديث الأحكام**»، وكان وضعه مقتضيا للاتساع، ومقصوده موجبًا لامتداد الباع، عَدَلَ قومٌ عن استحسان إطابته إلىٰ استخشان إطالته، ونظروا إلىٰ المعنىٰ الحامل عليه فلم يفضوا بمناسبته ولا إخالته، فأخذتُ في الإعراض عنهم بالرأي الأحزم،

وقلتُ عند سماع قولهم: شِنشنة أعرفها مِنْ أخزم[1]، ولم يكن ذلك مانعًا لي مَنْ وصل ماضيه بالمستقبل، ولا موجبًا لأنْ أقطع ما أمر الله به أنْ يوصل، فما الكَرَج الدنيا، ولا الناسُ قاسمُ[2]، والأرض لا تخلو مِنْ قائم لله بالحجة، والأمة الشريفة لا بُدَّ لها مِنْ سالك إلىٰ الحق علىٰ واضح المحجة، إلىٰ أنْ يأتي أمر الله في أشراط الساعة الكبرىٰ، ويتتابع بعده ما بقي معه إلىٰ قدوم الأخرىٰ[3].

غير أنَّ ذلك الكتابَ كتابُ مطالعة ومراجعة عند الحاجة إليه، لا كتاب حفظ ودرس يعتكف في التكرار عليه، فصنفتُ مختصرًا لتحفظ الدارسين، وجمعتُ رأس مال لإنفاق المدرسين، وسميته بـ«**الإلمام بأحاديث الإحكام**»، وهذا التعليق الذي نشرع فيه الآن -بعون الله- فنشرح ما فيه مِنَ السنن علىٰ وجوه نقصدها، ومقاصد نعتمدها:

الأول: التعريف بمن ذُكِرَ مِنْ رواة الحديث والمخرجين له، والتكلم فيما يتعلق به علىٰ وجه الاختصار.

---

(١) **قال ابن دريد**: اخْتلفُوا فِي الْمثل السائر: شنشنة أعرفهَا مِنْ أخزم فَقَالَ ابْن الْكَلْبِيّ: أخزم ابن أبي أخزم جد حَاتِم طيئ وَهُوَ حَاتِم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم. وَكَانَ أخزم جوادا فَلَمَّا نَشأ حَاتِم وَعرف جوده قَالَ النَّاس: شنشنة من أخزم، أَي: قَطْرَة من نُطْفَة أخزم. وَقَالَ قوم: الشنشنة: الغريزة والطبيعة. وَقَالَ آخَرُون: بل هُوَ مَا شنشنه أخزم من نطفته، أَي: إنَّك من ولد أخزم يُشبههُ بِهِ. جمهرة اللغة (**مادة**: ش ن ش ن).

(٢) **الكَرَج**: مدينة بالجبل بين أصبهان وهمذان، وإلىٰ همذان أقرب، وهي حصن أبي دلف القاسم بن عيسىٰ العجلي، وهو أول مَنْ مصرها، وجعلها وطنه، وإليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم. وتمام البيت:

دعيني أجُوب الأرضِ في فلَواتها ... فما الكرَج الدنيا، ولا الناس قاسمُ

معجم البلدان (٤/٤٤٦).

(٣) **يقول الزركشي في شرح هذه الجملة**: (مراده: بالأشراط الكبرىٰ طلوع الشمس مِنْ مغربها مثلا، وله وجه حسن، وهو أن الخلو من مجتهد يلزم منه إجماع الأمة علىٰ الخطأ وهو ترك الاجتهاد الذي هو فرض كفاية). «**البحر المحيط**» (٦/٢٠٨).

الثاني: التعريف بوجه صحته، إمَّا علىٰ وجه الاتفاق أو الاختلاف، علىٰ وجه الإيجاز أيضًا.

الثالث: الإشارة أحيانًا إلىٰ بعض المقاصد في الاختيار **لِمَ الاختيار عليه؟**

الرابع: الكلام علىٰ تفسير شيء مِنْ مفردات ألفاظه إذا تعلق بذلك فائدة: إمَّا لغربته عن استعمال العادي، أو لفائدة لا تظهر عند أكثر المستعملين.

الخامس: إيراد شيء مِنْ علم الإعراب إذا احتيج إليه أحيانًا.

السادس: في علم البيان في بعض الأماكن.

السابع: الكلام علىٰ المعاني التركيبية، والفوائد المستنبطة، والأحكام المستخرجة، وهذا هو المقصود الأعظم.

الثامن: اعتماد ما تقدمت الإشارة إليه مِنْ عدم الميل والتعصب في ذلك لمذهب معين علىٰ سبيل العسف، فنذكر ما بلغنا مما استدل به أصحاب المذاهب لمذاهبهم، أو يمكن أنْ يستدل به لهم، فإن كان وجه الدليل ظاهرًا وإلَّا بدأنا ببيانه، ثم نتبع ذلك بما عساه يذكر في الاعتذار عن مخالفة ظاهره لمن خالفه إن تيسر ذلك.

التاسع: الإعراض عما فعله كثيرٌ مِنَ الشارحين، مِنْ إيراد مسائل لا تستنبط مِنْ ألفاظ الحديث، كمن يأتي إلىٰ حديث يدل علىٰ جواز المسح علىٰ الخفين أو الاستنشاق أو الظهار أو الإيلاء مثلا، فيأتي بمسائل ذلك الباب مِنْ غير أنْ تكون مستنبطة مِنَ الحديث الذي يتكلم عليه، وإنْ أمكن فبطريق مستعبد.

العاشر: ترك ما فعله قوم مِنْ أبناء الزمان ومَنْ يُعَدُّ فيهم مِنَ الأعيان، فأكثروا مِنْ ذكر الوجوه في معرض الاستنباط، واسترسلوا في ذلك استرسال غير مُتحرِّز ولا محتاط، فتخيَّلوا، وتحيلوا، وأطالوا وما تطولوا، وأبدوا وجوها ليس في صفحاتها نور، وذكروا أوهامًا لا تميل إليها العقول الراجحة ولا تَصُور، حتىٰ نُقِل عن بعضهم انه ادعىٰ الاستدلال علىٰ جميع مسائل مذهبه الذي تقلّده مِنَ الكتاب العزيز!.

الحادي عشر: تهذيب كثير مما ذكر الشارحون للحديث، وتلخيصه، والتحقيق فيه، والمواخذة والتحقيق فيه، والمؤاخذة فيما عساه يؤخذ علىٰ قائله.

الثاني عشر: جلب الفوائد المتبدِّدة من كتب الأحكام التي تقع مجموعة في كلام الشارحين للأحاديث فيما علمناه علىٰ حسب ما تيسر.

إلىٰ غير هذه الوجوه مِنْ أمور تَعرض، وفوائد تتصدىٰ للفكر فتعترِض، ولا تُعرض.

والله تعالىٰ يحسن العون في إتمامه، ويوفقنا لنية صالحة فيه تُعلي منازلنا في دار الكرامة»[1].

---

(١) «**شرح الإلمام**» (دار أطلس ١/٢١-٢٦، «**دار النوادر**» (١/٥-١٠).

ملحق (٥)

رسالة ابن دقيق العيد إلى نُوَّابه في القضاء

رسالة ابن دقيق العيد إلى نُوَّابه في القضاء

لما تولىٰ شيخُ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد قضاءَ القضاة بالدِّيار المصرية كتب إلىٰ نائبه ببعضِ البلاد بوصيَّةٍ، والكتابُ مِنْ إنشائه، بما صورتُه، وبمثله كَتَبَ إلىٰ كلِّ نائب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

صَدَرتْ هذه المكاتبة إلىٰ المجلس السامي، وفّقه اللهُ لقَبول النصيحة، وآتاه لما هو به قَصْدًا صالحًا، ونيّة صحيحة.

أصدرناها إليه بعد حمد الله الذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ويُمْهِل حتَّىٰ يَلْتَبِس الإمهالُ بالإهمال علىٰ المَغْرور، تُذكِّره بأيَّام الله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وتُحذِّره صَفْقَةَ مَنْ باع الآخرة بالدنيا، فما أحدٌ سواه مَغبون، عسىٰ الله أنْ يُرشدَه بهذا التِّذْكار ويَنْفَعَه، وتَأخذَ هذه النصائحُ بحُجْزَتِهِ عن النار، فإنِّي أخاف أن يتردَّىٰ فيخِرَّ مَنْ وَلّاهُ -والعياذ بالله- معه.

والموجِب لإصدارها ما لمحناه من الغَفْلة المُسْتَحكمة علىٰ القلوب، ومِنْ تقاعُد الهِمَم عن القيام بما يجب للربِّ علىٰ المربوب، ومِنْ أُنْسِهم بهذه الدار وهم مُزْعَجون عنها، وعِلْمِهم بما بَيْن أيديهم من عَقبة كؤود وهم لا يتخففون

منها، ولا سيما القضاة الذين يحملون أعباءَ الأمانة علىٰ كواهل ضعيفة، وظهروا بصُوَرٍ كبارٍ وهِمَمٍ نَحيفة.

ووالله إنّ الأمرَ لعظيم، والخَطْبَ لجسيم، ولا أرىٰ أنّ مع ذلك أَمْنًا ولا قرارًا ولا راحةً، اللّهم إلَّا رجلًا نبذ الآخرة وراءه، واتخذ إلهه هواه، وقَصر همّه وهمته علىٰ حظِّ نفسه ودنياه، فغايةُ مَطْلَبِه حبُّ الجاه، والرغبة في قلوب الناس، وتحسينُ الزّي والمَلبس والركبة والمجلس؛ غيرَ مستشعرٍ خِسَّةَ حاله، ولا ركاكةَ مَقْصَدِه، وهذا لا كلامَ معه، ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، فاتق الله ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، وأَقْصِرْ أَمَلَكَ عليه، فإنّ المحروم مِنْ فَضْلِه غيرُ مَرْحوم.

وما أنا وأنتم أيّها النّفَر إلَّا كما قال حبيبٌ العجمي -وقد قال له قائل: ليتنا لم نُخْلَق- فقال: (قد وَقَعْتُمْ فاحتالوا).

وإنْ خَفِيَ عليكَ بعضُ هذا الخَطَر، وشَغَلَتْك الدنيا أنْ تَقْضي مِن معرفته الوَطَر، فتأمل كلام النبوّة: **«القضاةُ ثلاثة»**[1]، وقولَه ﷺ **مُشفقا**: **«لا تأمّرن علىٰ اثنين، ولا تليّن مالَ يتيم»**[2]، لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

---

(١) عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النّبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأمّا الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضىٰ به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار» أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٩، رقم: ٣٥٧٣) في كتاب: **«الأقضية»**، باب: **«في القاضي يخطئ»**، قال **أبو داود**: هذا أصح شيء فيه يعني حديث **ابن بريدة**: القضاة ثلاثة، والترمذي (٣/ ٦٠٥، رقم: ١٣٢٢) في أبواب **«الأحكام»**، باب: **«ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي»**، والنسائي في **«الكبرىٰ»** (٣/ ٤٦١، رقم: ٥٩٢٢)، وابن ماجه (٢/ ٧٧٦، رقم: ٢٣١٥) في كتاب: **«الأحكام»**، باب: **«الحاكم يجتهد فيصيب الحق»**، وجوّد إسناده ابن عبد الهادي في **«المحرر»** رقم (١١٧٠)، وصحّحه الألباني في **«إرواء الغليل»** (٨/ ٢٣٥، رقم: ٢٦١٤).

(٢) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن علىٰ اثنين، ولا تولين مال يتيم» أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٧، رقم: ١٨٢٦) في كتاب: **«الإمارة»**، باب: **«كراهة الإمارة بغير ضرورة»**.

وَمَا أَنَا والسَّيْرَ في مَتْلَفٍ يُبَرِّحُ بالذَّكَرِ الضَّابِطِ، هيهات! جفّ القلمُ، ونَفَذَ أمرُ الله، ولا رادّ لما حكم.

إيْه، ومِنْ هنالك شمَّ الناسُ مِنْ فم الصدِّيق رضي الله عنه رائحةَ الكَبِد المشوي، وقال الفاروق: «ليت أمّ عمر لم تلده»، واستسلم عثمان، وقال: (مَنْ أَغْمَدَ سيفَه فهو حُرّ)، وقال عليّ -والخزائنُ بين يَديه-: **من يشتري منِّي سيفي هذا؟** ولو وجدتُ ما أشتري به رداء ما بِعْتُه)، وقطع الخوفُ نِيَاطَ قلبِ **عمر بن عبد العزيز** فمات مِنْ خشية العَرْض، وعلّق بعضُ السلف في بيته سوطًا يؤدِّب نفسَه إذا فَتَر؛ فترىٰ ذلك سُدًى، أمْ وَضَحَ أنّا نحنُ المقرّبون وهمُ البُعَداء؟! وهذه أحوالٌ لا تُؤخذ مِنْ كتاب السّلَم والإجارة والجنايات، نعم! إنما تُنال بالخشوع، وبأن تظمأ أو تجوع وتحمي عينيْك الهُجوع.

وممَّا يُعِينُكَ علىٰ الأمر الذي دعوتُ إليه، ويزوِّدُك في مسيرك إلىٰ العرض عليه، أنْ تجعل لك وقتًا تَعْمُره بالفكر والتدبير، وإناءً تجعلُها معدة لجلاء قلبكَ، فإنَّه إنْ استحكم صَدَاه صَعُب تلافيه، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه. واجعلْ أكثرَ همومك الاستعداد للمعاد، والتأهب لجواب الملك الجواد، فإنه يقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

ومهما وجدتَ مِنْ همَّتك قصورًا، واستشعرتَ مِنْ نفسك عمّا يذلِّلُها نفورًا، فاجأرْ إلىٰ الله، وقِفْ ببابه واطلبْ منه، فإنه لا يُعرض عمّن صَدَق، ولا يَعْزُب عن علمه خفايا الضمائر ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

فهذه نصيحتي إليك، وحُجّتي بين يَدَي الله -إنْ فرّطتَ- عليك.

أسأل الله لي ولكَ قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا ونفسًا مطمئنةً، بمنِّه وكرمه وخفي لطفه، والسلام[1].

---

(١) «**الطالع السعيد**» ص٥٩٧-٥٩٩، «**مسالك الأبصار**» (٥/ ٥٠٤-٥٠٦)، رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء، تحقيق: أ. عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

خلاصة الترجمة

١) **هو**: أبو الفتح تقي الدين محمد بن مجد الدين علي بن وهب القُشَيري، البَهْزي، اليُنْبُعي المولد، المنفَلُوطي الأصل، القُوْصي المنشأ، القاهري المنزل، الحاكم، الشهير بابن دقيق العيد، وسبب هذا اللقب: أنَّ جَدَّه «**وهب**» كان عليه طَيْلَسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد.

٢) **ولد**: يوم السبت، الخامس والعشرين مِنْ شعبان، عند ارتفاع الضحىٰ، سنة ٦٢٥هـ. الموافق ٣٠ جولاي، تموز ١٢٢٨م. في ثَبَج البحر المالح (الأحمر)، بساحل ينبع، ووالداه متجهان مِنْ قوص إلىٰ مكة للحج، وقد أخذه والدُه، فطاف به، ودعا الله له في الملتزم أنْ يجعله عالمًا فقيهًا عاملًا.

٣) **والدته**: هي بنت الشيخ المُقْتَرَح أبي الفتح تقي الدين مظفر بن عبد الله بن علي المصري.

٤) **نشأته**: نشأ بقوص، وتفقه علىٰ والده، ودرس الأصول عليه، وأخذ منه المذهبين: المالكي والشافعي، ورحل في طلب الحديث إلىٰ دِمَشق، والإسكندرية، والحجاز، ودرس علىٰ بهاء الدين القفطي، وعنه أخذ فقه الحديث، وفقه الشافعي، وكان يقول: البهاء معلِّمي، وحضر عند القاضي شمس الدين الأصفهاني لما كان حاكمًا بقوص، وقرأ عليه الأصول، وقرأ العربية علىٰ شرف الدين المُرْسي، ثم رحل قاصدًا الإمام العز ابن عبد السلام، فلازمه،

وهو الذي لقبه بسلطان العلماء، وأخذ الحديث عن المنذري، وقرأ علىٰ خالته أم إبراهيم مريم بنت الشيخ المقترح، واجتمعت له مشيخة واسعة، وأجازه جمع كثير منهم.

٥) **تلامذته**: ذاع صيتُ الإمام ابن دقيق العيد ﷺ، فتوارد عليه الطلبة، وتخرَّج به أئمة، ومع كثرة محفوظاته ومسموعاته إلَّا أنَّ الرواية قد عسرت عنه لقلة تحديثه، وقد كان شديد التحري في ذلك، ومِنْ جملة تلاميذه: ابن الأثير الحلبي الكاتب، وهو الذي علق عنه شرح العمدة، ونجم الدين ابن الرِّفعة، وابن رُشيد السبتي، والقاسم التجيبي، وابن سيد الناس، والمزي، والذهبي في جماعات كثيرة يطول عددهم.

٦) **صفاته**: كان الإمام ابن دقيق العيد ﷺ شديد التدين، رأسًا في العلم والعمل، تام الورع، مشتغلًا بنفسه، لا يسلك المراء في بحثه، متواضعًا، منصفًا، عديم البطش، قليل المقابلة علىٰ الإساءة، عزيز النفس، صلبًا في الحق، وما خلَّص ابنَ بنت الأعز مِنْ ضرب العنق إلَّا ابنُ دقيق العيد، وكان سمحًا، جوادًا، لا سيما علىٰ المشتغلين بطلب العلم، كثير البر بهم، مشفقًا عليهم، وكان يقول لهم: ضابط ما يطلب مني أنْ يجوز شرعًا، ثم لا أبخل، وكان يعطي تلامذته الدراهم والذهب، ولم تكن للدنيا عنده قيمة.

٧) **إمامته في العلم**: تفرّد الإمام ابن دقيق العيد ﷺ في علوم كثيرة، فقد كان يعرف التفسير والحديث، ويحقق المذهبين تحقيقًا عظيمًا، ويعرف الأصلين، والنحو واللغة، وإليه النهاية في التحقيق والتدقيق، أقرَّ له الموافق والمخالف، وبالجملة فقد اعترف له أئمة كل فن بفنهم، وكان أشبه مَنْ يميل إلىٰ الاجتهاد، وقد توارد أهل العلم علىٰ وصفه بمجدد القرن السابع.

٨) **تقدمه في العربية**: كان الإمامُ ابن دقيق العيد ﷺ نحويًّا، أديبًا، غواصًا في المعاني، لم تر عينُ الأديب محمود الكاتب آدبَ منه، خفيف الروح، لطيفًا علىٰ نسك، ينشد الشعر بأصنافه، وهو في غاية الحسن والانسجام والعذوبة،

وجزالة الألفاظ، ولطف التركيب، حتىٰ قيل فيه: هكذا فليكن، وإلَّا فلا أدب الفقهاء.

٩) **علاقته بالقضاء**: تولىٰ الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله قضاء الشافعية بالديار المصرية في آخر عمره، بعد إباء شديد، وكان ذلك بعد موت التقي عبد الرحمن ابن بنت الأعز سنة ٦٩٥هـ. وسِنُّه يومئذ سبعون سنة، فباشره إلىٰ أن مات، وقد كان مِنْ ألمع مَنْ حَمَلَ لقبَ «**قاضي القضاة**»، فحُمِدَت سيرتُه، وكان إذا سمع ما يكرهه عَزَلَ نفسَه، فَعَلَ ذلك مرارًا، ويبدو أنه ندم علىٰ توليه القضاء، وكان يقول: والله ما خار الله لمن بلي بالقضاء.

١٠) **وفاته**: في أواخرْ سنة ٧٠١هـ. أقام الشيخ ضعيفًا مدة شهرين أو أكثر، ولم يحضر درسًا في سنة اثنتين، ولم يكن بالكاملية، وإنما خرج إلىٰ بستان، فأقام به إلىٰ أن توفي في يوم الجمعة الحادي عشر لصفر، سنة ٧٠٢هـ. الموافق ١٣٠٢م. ودفن يوم السبت بسفح المُقَطَّم، وكان يومًا مشهودا، ووقف جيشٌ ينتظر الصلاة عليه، وقد رثاه جماعةٌ من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص.

١١) **عقيدته**: كان الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله علىٰ طريقة فضلاء محدثي الأشعرية، الذين يختارون عدم الخوض في التأويل، ومجانبة علم الكلام، ويؤخذ عليه أنه كان مغرىٰ بالكيمياء، وأنفق فيها مالًا وعمرًا، كما كان له ميلٌ إلىٰ التصوف، وفي عباراته ما يوافق عبارة القوم، وقد نقل عنه مترجموه أنه كان له نصيب مما ينسب إلىٰ الصالحين من الكرامات، وما يعزىٰ إليهم مِنَ المكاشفات، وكان يتكلم علىٰ الخواطر، ويخبر بأمور ستأتي، فيقع كما قال، وجُرّب، بيد أنَّ تصوفه كان يسيرًا، وفي منطقة نائية عن الطريقة الغالية في التصوف، وللإمام ابن دقيق العيد رحمه الله تقريرات جيدة في مسائل الاعتقاد: منها ما يتعلق بمسائل الصحابة، ومنها بحثه في الألفاظ المشكلة الواردة في الكتاب والسنة بين الإثبات والتأويل، ومنها التكفير ومسائله، وأسبابه، وأنواعه، وتقرير القانون الصحيح فيه، كما كان له موقف صارم مِنْ إبطال النصوص باستبعادات وخيالات.

١٢) **مصنفاته**: صنَّف الإمام ابنُ دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ كتبًا جليلة وبديعة، وهي منقسمة علىٰ ثلاثة أشكال: إما تصنيفٌ بقلمه، وإمَّا إملاءٌ بلسانه، وتلامذته يقيِّدون، وإما خُطَبٌ وتعاليق كثيرة، ومِنْ جملة آثاره: الإمام في معرفة أحاديث الأحكام، وموضوعه: الاستقصاء في جمع أحاديث الأحكام مع تخريجها، والنقد المستوفي لأسانيدها، وهو يقدَّر بعشرين مجلدة، عُدِمَ أكثرُه بعده، وقد طبع القدر المتبقي منه في أربع مجلدات، واختصره في الإلمام بأحاديث الأحكام، وسبب تأليفه: استخشان أهل عصره طول كتابه «**الإمام**»، فجعل كتابَ «**الإمام**»: كتابَ مطالعة، وكتابَ «**الإلمام**»: مختصرًا لتحفيظ الدارسين، وشَرْطُه في الكتاب: ألَّا يورد إلَّا حديث من وثَّقه إمام، وكان صحيحًا علىٰ طريقة بعض أهل الحديث الحفاظ، أو أئمة الفقه النظار، ثم شرحه شرحًا مطولًا، أتىٰ فيه بالعجائب الدالة علىٰ سعة دائرته في العلوم، خصوصا في الاستنباط، لكنه توفي ولم يتمه، وقيل: إنه لَمْ يتكلم علىٰ الحديث مِنْ عهد الصحابة إلىٰ زمنه مثله، وكان قد أكمل الكتاب، فحسده عليه بعضُ كبار هذا الشأن، ممن في نفسه منه عداوة، فدس مَنْ سرق أكثر هذه الأجزاء وأعدمها، وبقي منها الموجود عند الناس اليوم، ومِنْ كتبه: شرح للعمدة، أملاه إملاء علىٰ إسماعيل ابن الأثير، وهو الذي سمّاه بإحكام الأحكام، ومنها تحفة اللبيب في شرح التقريب، وهو شرحٌ علىٰ متن أبي شجاع، المختصر الشافعي المشهور، ويعتبر أقدم شرح لمتن أبي شجاع، والكتاب مطبوع، يقع في مجلدين، وقد اقتصر علىٰ شرح العبارة، مع الاستدلال: إما بالنصوص، وإما بالتعليل، ومنها الاقتراح في معرفة الاصطلاح وما أضيف إليه مِنَ الأحاديث المعدودة في الصحاح، والكتاب مشهور في فن «**المصطلح**»، ورتبه علىٰ طريقة شرح المصطلحات، وفي الكتاب نكت وفوائد وتحريرات، ومنها شرح مختصر ابن الحاجب الأصولي، وهو مفقود، ومنها شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي «**جامع الأمهات**»، وَلَمْ يتمه، بَلَغَ به إلىٰ كتاب الحج، وهو مفقود سوىٰ مقدمته، ولا يصح ما نُسِب إليه مِنْ شرح الأربعين النووية.

١٣) مدارات ابن دقيق العيد المعرفية: تدور حول (الدِّقة)، ومنها تتفرع مهاراته ووظائفه وعاداته، مثل: الاستنباط، والنقد، والورع، والتثبت، وعدّ الكلام، والوسوسة.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: مصنفات الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- **الإمام في معرفة أحاديث الأحكام**: أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ). تحقيق: د. سعد آل حميد. ط. دار المحقق- الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

٢- **الإلمام بأحاديث الأحكام**: ابن دقيق العيد. تحقيق: حسين الجمل. ط. دار المعراج الدولية- الرياض، ودار ابن حزم- بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣- **الإلمام بأحاديث الأحكام**: ابن دقيق العيد. راجعه وعلق عليه الأستاذ محمد سعيد المولوي. ط. دار الفكر بدمشق، سنة ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٤- **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**: ابن دقيق العيد. تحقيق: محمد خلّوف العبد الله. ط. دار النوادر، دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٥- **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**: ابن دقيق العيد. تحقيق: عبد العزيز السعيد. ط. دار أطلس، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ.

٦- **إحكام الأحكام في شرح كتاب عمدة الأحكام، وعليه حاشية الصنعاني (العدة)**: ابن دقيق العيد. عناية: محب الدين الخطيب، وعلي بن محمد الهندي. ط. المكتبة السلفية- القاهرة.

٧- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**،: ابن دقيق العيد. تحقيق: عبد المنعم إبراهيم. ط. في مكتبة نزار الباز- الرياض، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ١٤٢١هـ.

٨- **تحفة اللبيب في شرح التقريب**: ابن دقيق العيد. تحقيق: د. عبد الستار عايش الكبيسي. ط. دار ابن حزم - بيروت، دار أطلس الخضراء- الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٩- **الاقتراح في معرفة الاصطلاح وما أضيف إليه من الأحاديث المعدودة في الصحاح**: ابن دقيق العيد: تحقيق: قحطان الدوري. **ط. دار العلوم - الأردن. الطبعة: الأولىٰ ٢٠٠٦م.**

١٠- **الاقتراح في معرفة الاصطلاح وما أضيف إليه من الأحاديث المعدودة في الصحاح**: ابن دقيق العيد: تحقيق: عامر صبري. ط. دار البشائر-بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١١- **عقيدة في أصول الدين**: أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد (مخطوط في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تاريخ النسخ: ١٢١٩هـ. رقم المخطوط: (٧/٩٧٥٧).

١٢- **رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلىٰ نوّابه في القضاء**: ابن دقيق العيد. تحقيق: أ. عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

ثانيا: المراجع الأخرىٰ:

١٣- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٤- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**: أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ). تحقيق: مصطفىٰ السقا وآخرين. طبعت الأجزاء الثلاثة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م. ثم طبع الجزأين الآخرين: صندوق إحياء التراث الإسلامي - الرباط، بتحقيق: سعيد أحمد أعراب وآخرين.

١٥- **أساس البلاغة**: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٦- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**: خير الدين الزركلي (ت: ١٩٧٦م). ط. دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة ١٩٨٠م.

١٧- **أعيان العصر وأعوان النصر**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: علي أبو زيد وآخرين. ط. دار الفكر المعاصر- بيروت ١٤١٨هـ.

١٨- **الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوىٰ من ذكر في تهذيب الكمال**: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: ٧٦٥هـ). تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي. ط. منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي.

١٩- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ**: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ). ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١١هـ.

٢٠- **الأمثال المولدة**: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت: ٣٨٣هـ). ط. المجمع الثقافي- أبو ظبي، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ.

٢١- **الاهتمام**: قطب الدين أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي (ت: ٧٣٥هـ). تحقيق: حسام رياض. ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، سنة: ١٩٩٠م.

٢٢- **البحر المحيط في أصول الفقه**: بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ). تحقيق: عبد القادر العاني. ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت. الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٣- **البداية والنهاية**: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي البصري. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط. دار هجر، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٤- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٢هـ). ط. دار المعرفة -بيروت.

٢٥- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ). تحقيق: مصطفىٰ أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال. ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٦- **برنامج التجيبي**: القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي (ت: ٧٣٠هـ). تحقيق: عبد الحفيظ منصور. ط. الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨١م.

٢٧- **تاج العروس مِنْ جواهر القاموس**: السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ). ط. حكومة الكويت. تحقيق: مجموعة مِن المحققين. ١٣٨٥هـ -١٤٢٢هـ.

٢٨- **تاج العروس مِنْ جواهر القاموس**: السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ). ط. حكومة الكويت. ت. مجموعة مِن المحققين. ط. ١٣٨٥هـ-١٤٢٢هـ.

٢٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. تحقيق: د. بشار عواد. ط. دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٣٠- **تأريخ مدينة السلام (بغداد)**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ). تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢ م.

٣١- **التبيان لبديعة البيان عن موت الأعيان**: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي. إصدار: وزارة الأوقاف القطرية. ط. دار النوادر- دمشق، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

٣٢- **تحفة الحبيب علىٰ شرح الخطيب** (حاشية البجيرمي علىٰ الخطيب): سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت: ١٢٢١هـ). ط. دار الفكر، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

٣٣- **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. تصحيح: عبد الرحمن المُعَلِّمي ط. دار إحياء التراث الإسلامي، إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية.

٣٤- **تصحيفات المحدثين**: الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل، أبو أحمد العسكري (ت: ٣٨٢هـ). تحقيق: محمود أحمد ميرة. ط. المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٢هـ.

٣٥- **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**: أبو عبد الله محمد بن فتوح الحَمِيدي (ت: ٤٨٨هـ). تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. ط. مكتبة السنة- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٥ = ١٩٩٥م.

٣٦- **تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب**: محمد بن علي بن محمود المحمودي الصابوني (ت: ٦٨٠هـ). ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٧- **تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (ت: ٧٤٤هـ). تحقيق: سامي جاد الله، وعبد العزيز الخباني. ط. دار أضواء السلف ١٤٢٨هـ.

٣٨- **تهذيب الأسماء واللغات**: محي الدين أبو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ). ط. إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار الكتب العلمية: بيروت.

٣٩- **التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ). تحقيق: محمد رضوان الداية. ط. دار الفكر المعاصر. دار الفكر-بيروت، دمشق، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٠هـ.

٤٠- **جامع الأمهات**: جمال الدين عثمان بن عمر ابن الحاجب المالكي (ت: ٦٤٦هـ). تحقيق: الأخضر الأخضري. ط. اليمامة-دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٤١- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**: أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سوْرة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢- **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط. دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٩٨٧م.

٤٣- **حاشية العطار علىٰ شرح الجلال المحلي علىٰ جمع الجوامع**: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت: ١٢٥٠هـ). ط. دار الكتب العلمية.

٤٤- **الحاوي للفتاوي** (وضمنه القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق): جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ). ط. دار الفكر- بيروت، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

٤٥- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. دار إحياء الكتب العربية - عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولىٰ ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

٤٦- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الدمشقي (ت: ١١١١هـ). ط. دار صادر - بيروت.

٤٧- **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**: أحمد بن علي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ). تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري. ط. وزارة الثقافة في الجمهورية السورية-دمشق، ١٩٩٥م.

٤٨- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط. دار الجيل -بيروت ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

٤٩- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مراقبة: محمد عبد المعيد ضان. ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

٥٠- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: إبراهيم بن نور الدين بن فرحون المالكي (ت: ٧٩٩هـ). تحقيق: مأمون بن محيىٰ الدين الجنَّان. ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧هـ.

٥١- **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**: محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، أبو الطيب تقي الدين المكي (ت: ٨٣٢هـ)

٥٢- **الذيل علىٰ طبقات الحنابلة**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. تحقيق: عبد الرحمن العثيمين. ط. مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

٥٣- **رحلة العبدري**: أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري. تحقيق: د. علي إبراهيم كردي. ط. دار سعد الدين. دمشق، الطبعة: الثانية ٢٠٠٥م.

٥٤- **الرد الوافر**: محمد بن عبد الله القيسي، شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ). تحقيق: زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٣٩٣هـ.

٥٥- **رفع الإصر عن قضاة مصر**: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: د. علي محمد عمر. ط. مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

٥٦- **الزاهر في معاني كلمات الناس**: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت: ٣٢٨هـ). تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٥٧- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ). ط. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٥هـ-١٤٢٢هـ.

٥٨- **السلوك لمعرفة دول الملوك**: أحمد بن علي المقريزي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

٥٩- **سنن ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه لقب أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

٦٠- **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٦١- **سنن الدارقطني** (وبذيله التعليق المغني لأبي الطيب محمد آبادي): أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ). ط. عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٦٢- **السنن الكبرىٰ، وبحاشيته الجوهر النقي**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. ط. دار المعرفة -بيروت ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

٦٣- **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

٦٤- **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ). تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. ط. مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الحادية عشرة ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

٦٥- **سير أعلام النبلاء - الجزء المفقود**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ). تحقيق: خيري سعيد. ط. المكتبة التوفيقية، مصر.

٦٦- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ). تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرين. ط. دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٦٧- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار. ط. دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة ١٩٩٠م.

٦٨- **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: ٢٥٦هـ). إشراف: محمد زهير الناصر. ط. دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

٦٩- **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط. المكتبة الفيصلية.

٧٠- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ). ط. دار الجيل الجديد- بيروت، الطبعة: الأولىٰ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

٧١- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. ط. دار مكتبة الحياة - بيروت. **ط. إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ**= ٢٠٠٢م.

٧٢- **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**: أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت: ٧٤٨هـ). تحقيق: سعد محمد حسن. ط. الهيئة العامة المصرية للكتب- القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٧٣- **طبقات الشافعية الكبرىٰ**: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٧١هـ). تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي. ط. دار إحياء الكتب العربية.

٧٤- **طبقات الشافعية**: تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ). تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان. ط. دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٧ هـ.

٧٥- **طبقات الشافعية**: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٧٧٢هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ ٢٠٠٢م.

٧٦- **طبقات الشافعيين**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. ط. مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

٧٧- **الطبقات الكبرىٰ**: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ). تحقيق: إحسان عباس، ط. دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٩٦٨م.

٧٨- **طرح التثريب في شرح التقريب**: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ). ط. دار إحياء التراث العربي-بيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

٧٩- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**: بدر الدين محمود العيني. تحقيق: د. محمود رزق محمود. ط. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

٨٠- **الغرر البهية في شرح البهجة الوردية**: زين الدين أبو يحيىٰ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري. ط. المطبعة الميمنية.

٨١- **غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد** (فهرس مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي الجزائري المالكي المتوفىٰ سنة ٨٧٥هـ، ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي). ط. دار ابن حزم. تحقيق: محمد شايب الشريف. بيروت، ط: الأولىٰ ١٤٢٦ه= ٢٠٠٥م.

٨٢- **الفائق في غريب الحديث**: محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.

٨٣- **فتاوىٰ السبكي (وضمنه: الأدلة في إثبات الأهلَّة)**: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٥٦هـ). ط. دار المعارف.

٨٤- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب. ط. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

٨٥- **فقه اللغة وسر العربية**: عبد الملك بن محمد الثعالبي. تحقيق: مصطفىٰ السقا وآخرين. ط. مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي-مصر، ١٩٥٤م.

٨٦- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي الكتاني (ت: ١٣٨٢هـ). تحقيق: إحسان عباس ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٨٢م.

٨٧- **فهرسة اللبلي**: أبو جعفر شهاب الدين أحْمَد بن يُوسُف بن علىٰ بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ الفهري (ت: ٦٩١هـ). تحقيق: ياسين عياش، وعواد أبو زينة. ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٨٨- **فوات الوفيات**: صلاح الدين محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ). تحقيق: إحسان عباس. دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٩٧٣م.

٨٩- **القاموس المحيط**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. إصدار: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السادسة ١٤١٩هـ.

٩٠- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفىٰ بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ). نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة من مكتبة المثنىٰ، بغداد، ١٩٤١م.

٩١- **الكشكول**: بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني (ت: ١٠٣١هـ). تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

٩٢- **كناشة النوادر**: عبد السلام محمد هارون (ت: ١٤٠٨هـ). ط. مكتبه الخانجي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٩٣- **اللباب في تهذيب الأنساب**: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير الجزري. ط. دار صادر - بيروت.

٩٤- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**: أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني المكيّ الشافعي (ت: ٨٧١هـ). ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٩٥- **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. (ت: ٧١١هـ) ط. دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ.

٩٦- **مجاني الأدب في حدائق العرب**: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: ١٣٤٦هـ). ط. مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت، ١٩١٣م.

٩٧- **المحرر في الحديث**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤). تحقيق: خالد ضيف الله الشلاحي، وسمَّىٰ تعليقاته «الدرر في تخريج المحرر». ط. مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٩٨- **المحرر في الحديث**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي. تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي. ط. دار المعرفة-بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٩٩- **المحكم والمحيط الأعظم**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٠٠- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**: عفيف الدين أبو محمد عبد الله ابن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت: ٧٦٨هـ). وضع حواشيه: خليل المنصور. ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

١٠١- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيىٰ ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ). تحقيق: محمد خريسات وزملائه. ط. مركز زايد للتراث والتاريخ العين - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

١٠٢- **المستدرك علىٰ الصحيحين**: الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا. ط. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

١٠٣- **مستفاد الرحلة والاغتراب**: القاسم بن يوسف التجيبي السّبتي. تحقيق: عبد الحفيظ منصور. ط. دار العربية للكتاب-تونس، الطبعة: الأولىٰ ١٩٧٥م.

١٠٤- **مصنف عبد الرزاق**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ.

١٠٥- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب)**: ياقوت الحموي الرومي (ت: ٦٢٦هـ). تحقيق: إحسان عباس. ط.دار الغرب الإسلامي-بيرو ت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

١٠٦- **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**: محمد أحمد دهمان. ط. دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١٠٧- **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ). ط. دار صادر - بيروت.

١٠٨- **معجم الشعراء**: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ). تحقيق: الدكتور ف. كرنكو. ط. مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

١٠٩- **المعجم المختص بالمحدثين**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة. ط. مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

١١٠- **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة (ت: ١٤٠٨هـ). ط. مكتبة المثنىٰ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١١١- **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفىٰ - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار. ط. مجمع اللغة العربية.

١١٢- **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت: ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط. الدار الإسلامي-بيروت، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١١٣- **المغرب في ترتيب المعرب**: برهان الدين أبو الفتح ناصر بن عبد السيد أبي المكارم الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت: ٦١٠هـ). ط. دار الكتاب العربي.

١١٤- **مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج**: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ). ط. مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي-مصر، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

١١٥- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة**: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ). تحقيق: محمد عثمان الخشت. ط. دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١١٦- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن محمد ابن مفلح (ت: ٨٨٤هـ). تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط. مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

١١٧- **الملل والنحل**: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبىٰ بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ). ط. مؤسسة الحلبي.

١١٨- **من ذيول العبر**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. تحقيق: د. صلاح الدين المنجد. ط. مطبعة حكومة الكويت- الكويت.

١١٩- **المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي**: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ). تحقيق: محمد محمد أمين. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٢٠- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ). ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٢١- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفىٰ. ط. دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

١٢٢- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ). تحقيق: إحسان عباس. نشر: دار صادر - بيروت.

١٢٣- **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ). تحقيق: المرتضي الزين أحمد. ط. مكتبة الرشد - الرياض. الطبعة: الأولىٰ ١٩٩٩م.